



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية - التاريخ
الدراسات العليا

أصحاب الكساء (عليهم السلام)

في تراث عباس محمود العقاد دراسة تاريخية

رسالة مقدمة الى

مجلس كلية التربية / جامعة القادسية

وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

تقدمت بها

ألاء صافي حميدة الخُزري

بإشراف

أ. حمدية صالح دلي الجبوري



إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا

الأحزاب (٣٣)

صدق الله العلي العظيم



إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة اننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ
(أصحاب الكساء عليهم السلام في تراث عباس محمود العقاد دراسة تاريخية)
المقدمة من طالبة الماجستير (الاء صافي حميدة الخضري) وقد ناقشناها في
محتواها وفيما له علاقة بها ، ونرى انها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في
التاريخ الاسلامي بتقدير (جيد جداً) .


التوقيع :
أ. د . علي عبد مشالي طويني | لعلي
عضو اللجنة

التاريخ : / / ٢٠١٩


التوقيع :
أ . م . د. اياد كاظم راجح
عضو اللجنة

التاريخ : / / ٢٠١٩



التوقيع :
أ.د. اياد عبد الحسين صيهود
رئيس اللجنة

التاريخ : / / ٢٠١٩


التوقيع :
أ . حمدية صالح دلي
عضواً ومشرفاً

التاريخ : / / ٢٠١٩

مصادقة عمادة كلية التربية / جامعة القادسية على قرار لجنة المناقشة .


التوقيع :
الاستاذ الدكتور خالد جواد العادلي
عميد كلية التربية / جامعة القادسية
التاريخ : / / ٢٠١٩



الاهداء...

الى سيدي و حجة الله في ارضه .. الى الغائب عن الابصار.. الى الحاضر في القلوب و الشعور .. سيدي الحجة ابن الحسن صلوات الله وسلامه عليه.. الى الذي كان يدفعني قدماً نحو الامام لنيل المبتغى ..الى الانسان الذي امتلك الانسانية بكل قوة و الى مدرستي الاولى في الحياة ...ابي الغالي اطل الله في عمرك...

الى التي كانت دعواتها لي بالتوفيق تتبغني خطوة خطوة في عملي ..الى التي كانت سندي في الشدائد ..الى من كانت ابتسامتها في وجهي راحة ، نبع الحنان امي جزاك الله عني خيراً في الدارين...

الى زوجي ...

الى من يقف الحرف عاجزاً عن الافصاح الحقيقي للحب اليه...

الى من ساندي و شجعتني لإكمال المسير... الى من تحمل عناء الدراسة والسفر من أجلي وفقك ربي وحماك لي ..

الى عائلتي ...

الى عائلتي الثانية... الى من تحملوا معي عناء الدراسة ...

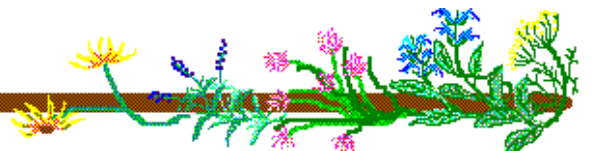
الى عمي الغالي (ابو ضرغام) الذي طالما انتظرني تحت حرارة شمس الصيف الحارقة.

الى خالتي العزيزة (ام ضرغام) التي كانت صاحبة التراثة الاولى لإكمال دراستي. وكل من (هديان و علي رضا)

الى اخوتي ... (علاء ، مؤمن ، ايوب ، محمد)

الى ابنتي ...

الى السعادة التي طرأت حياتي .. ابنتي (فاطمة الزهراء) فليحفظك الله لي ولوالدك .



شكراً وتقدير

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالثَّنَاءُ بِمَا قُدِّمَ، مِنْ عُمومٍ
نِعْمٍ ابْتَدَأَهَا، وَسُبُوغِ آلاءِ أَسْدَاهَا، وَتَمَامِ مَنِّ وَالإِهَا، جَمَّ عَنِ الإِحْصَاءِ عَدْدُهَا، وَنَأَى
عَنِ الْجَزَاءِ أَمْدُهَا، وَتَفَاوُتِ عَنِ الإِذْرَاكِ أْبْدُهَا، وَصَلَوَاتِهِ عَلَى رَسُولِهِ ابداً وسلامه
دائماً سرمداً ، تكون له رضا ولحقه اداء ورضا وعلى النور الاعلى آل بيته الاخيار
المصطفين الابرار ...

أما بعد ...

بعد الحمد والثناء جزيل الشكر والامتنان لفضله تعالى ، اوجه شكري
وتقديري الى اساتذتي الافاضل ومشرفتي الاستاذة الفاضلة (أ.حمديه صالح دلي)
لتوجيهاتها وارشاداتها في اجاز البحث ، واتقدم بجميل العرفان والامتنان الى من
كان معي و لجميع الزملاء الاعزاء لما قدموه لي من دعم معنوي في اكمال هذه
الرسالة ، ، واشكر كل من ساعدني ولو بكلمة لإتمام هذا البحث
كما اتوجه بالشكر والامتنان لأستاذي القدير الدكتور (عبد الرضا
الحسيناوي) صاحب التُّراثِ الالى لعنوان بحثي هذا ، ادعوا الله العلي القدير لك
بالمزيد من الابداع و التوفيق ، واتقد بالشكر أيضا الى كافة زملائي في الدراسة
وكل من قد لي يد العون والنصح، والشكر الوافر الى الاستاذ (خير الله الحجامي)
لمساعدته اياي في الحصول على المصادر المتعلقة بحياة العقاد والتي يصعب
الحصول عليها .

والشكر موصول الى مكتبة الامام الحسين العامة في محافظة المثنى ،
كما اتقدم بخالص الشكر و التقدير الى كافة العاملين في مكتبة كلية التربية
للعلوم الانسانية جامعة المثنى و المكتبة المركزية.
والى مكتبة الحكيم و مكتبة العتبة العباسية والحسينية المقدستين ، ومكتبة
الروضة الحيدرية ، ومكتبة معهد العلمين .

و في الختام جزى الله عني الجميع خيراً

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع	التسلسل
أ	الآية	١
ب	إقرار المشرف	
ج	إقرار المقوم اللغوي	
د	إقرار المقوم العلمي	
هـ	إقرار لجنة المناقشة والتقويم	
و	الاهداء	٢
ز	الشكر والتقدير	٣
ح - ك	قائمة المحتويات	٤
ل	قائمة الرموز	٥
٨-١	المقدمة	٩
٢٧-٨	التمهيد	١٠
٨٤-٢٨	الفصل الاول : النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في تراث عباس محمود العقاد	١١
٦٠-٢٩	المبحث الاول : عبقرية محمد الاجتماعية	١٢
٣٧-٣٣	نسبه ونشأته	١٣
٤٢-٣٧	صفاته	١٤
٤٤-٤٢	الدعوة المحمدية	١٥
٤٩-٤٤	معاملته لزوجاته	١٦
٥١-٥٠	تعدد الزوجات	١٧
٥٥-٥١	اسباب تعدد الزوجات	١٨
٦٠-٥٥	الاب- الابوة الروحية والنوعية	١٩
٦١-٦٠	عبقرية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الادارية	٢٠

٨٤-٦٢	المبحث الثاني: عبقرية محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) السياسية والعسكرية	٢١
٦٥-٦٢	عبقرية محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) السياسية	٢٢
٦٦-٦٥	الفتح المبين	٢٣
٦٩-٦٦	عبقرية محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) العسكرية	٢٤
٧٧-٦٩	حنكته السياسية	٢٥
٨١-٧٨	العقاد و المستشرقين	٢٦
٨٢-٨١	اسرى غزوة بدر	٢٧
٨٤-٨٣	بعد معركة الاحزاب	٢٨
١٥٦-٨٥	الفصل الثاني : الامام علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام) في تراث عباس محمود العقاد	٢٩
١١٦-٨٥	المبحث الاول: عبقرية علي الاجتماعية	٣٠
٨٨	نسبه	٣١
٩٦-٨٩	صفات الامام	٣٢
١٠٦-٩٧	اسلام الامام	٣٣
١١٢-١٠٦	ثقافة الامام	٣٤
١١٦-١١٣	الامام علي (عَلَيْهِ السَّلَام) مع اسرته	٣٥
١٥٦-١١٧	المبحث الثاني: عبقرية علي السياسية	٣٦
١٣٥-١١٧	بيعة الامام	٣٧
١٥١-١٣٦	سياسة الامام علي (عَلَيْهِ السَّلَام)	٣٨
١٥٦-١٥١	حكومة الامام علي (عَلَيْهِ السَّلَام)	٣٩
٢٠٠-١٥٧	الفصل الثالث: فاطمة الزهراء و السبط الحسن في تراث عباس محمود العقاد	٤٠
١٨٤-١٥٧	المبحث الاول فاطمة الزهراء في تراث عباس محمود العقاد ١٧٨-١٥٠ وولادة الزهراء ونشأتها	٤١

١٦٣-١٥٩	ام الزهراء(السيدة خديجة الكبرى عليها السلام)	٤٢
١٦٩-١٦٣	زواج السيدة فاطمة (عليها السلام)	٤٣
١٧٢-١٦٩	شخصية السيدة فاطمة الزهراء	٤٤
١٧٤-١٧٢	موقف السيدة فاطمة من خلافة ابي بكر	٤٥
١٧٨-١٧٥	موقف السيدة فاطمة من قضية فدك	٤٦
١٨١-١٧٨	بلاغة السيدة فاطمة الزهراء	٤٧
١٨٤-١٨١	وفاة السيدة الجليلة فاطمة الزهراء	٤٨
٢٠٠-١٨٥	المبحث الثاني: الامام الحسن (عليه السلام) في تراث عباس محمود العقاد	٤٩
١٨٩-١٨٥	الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) - اسمه	٥٠
١٩١-١٩٠	خلافته	٥١
١٩٦-١٩١	موقف معاوية من بيعة الامام الحسن (عليه السلام)	٥٢
١٩٧	شروط الصلح	٥٣
١٩٩-١٩٨	موقف الامام الحسين (عليه السلام) من الصلح	٥٤
٢٠٠-١٩٩	استشهاد الامام الحسن (عليه السلام)	٥٥
٢٦٠-٢٠١	الفصل الرابع: الامام الحسين (عليه السلام) في تراث عباس محمود العقاد	٥٦
٢٢٢-٢٠١	المبحث الاول : الامام الحسين (عليه السلام) دراسه في حياته الاجتماعية و اسباب التنافس مع يزيد	٥٧
٢٠٢-٢٠١	الحسين بن علي بن ابي طالب نسبه و اسرته	٥٨
٢٠٧-٢٠٣	صفات الإمام الحسين (عليه السلام)	٥٩
٢١٨-٢٠٧	اسباب الخصومة بين الحسين (عليه السلام) و يزيد بن معاوية	٦٠
٢٢٠-٢١٩	اهداف معاوية	٦١

٢٢٢-٢٢٠	خلافة يزيد	٦٢
٢٦٠-٢٢٣	المبحث الثاني: اسباب خروج الامام الحسين (عليه السلام) على حكم يزيد	٦٣
٢٢٤-٢٢٣	اسباب الخروج	٦٤
٢٣٠-٢٢٤	ابرز المحطات التي سار اليها الامام الحسين (عليه السلام)	٦٥
٢٤٠-٢٣٠	انصار الفريقين	٦٦
٢٤٣-٢٤٠	شجاعة اصحاب الحسين (عليه السلام)	٦٧
٢٤٨-٢٤٣	مصرع الامام الحسين (عليه السلام)	٦٨
٢٥٤-٢٤٩	وحشية جيش ابن زياد	٦٩
٢٥٦-٢٥٤	موطن رأس الحسين (عليه السلام)	٧٠
٢٥٨-٢٥٦	وقاحة عبيد الله بن زياد	٧١
٢٥٩-٢٥٨	علي بن الحسين (زين العابدين) (عليه السلام)	٧٢
٢٦٠-٢٥٩	الرأس المقدس عند يزيد	٧٣
٢٦١	الخاتمة	٧٤
٢٩٤-٢٦٢	قائمة المصادر و المراجع	٧٥
A-B	ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	٧٦

قائمة المختصرات

المعنى	الرمز	ت
السنة الهجرية	هـ	١
السنة الميلادية	م	٢
الوفاة	ت	٣
صلى الله عليه وآله	ص	٤
عليه السلام	ع	٥
تحقيق	تح	٦



المقدمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيب الله و صفيه محمد (ﷺ) و آل بيته الطيبين المنتجبين الى قيام يوم الدين .

اما بعد .

ان دراستنا هذه تستهدف تأريخ آل محمد (ﷺ) اصحاب الكساء دراسةً و فق منظور آخر غير منظور مؤرخي الشيعة ، و إن كانوا عليهم السلام غير مختصين بطائفة دون اخرى ، لكن تواتر العقبات بين المذاهب ، و إنكار حقهم من قبل بعضهم عمداً ، و انصافهم و إبراز مكانتهم من قبل الآخر جعل الناظر يرى على أنهم خصوا بفرقةً دون اخرى ، و إن من حاول اخفاء ما ورد فيهم من أحاديث لا يستطيع اخفاء ما جاء بهم في القرآن ، و ان هذا الجهل المقصود بحقهم قد يكون بعضه من اجل كسب رضا السلطة الحاكمة سواء كانت أموية أو عباسية أو ما جاء بعدهم لاسيما ممن اغدقوا الاموال و منحوا العطايا من أجل إنكار فضل آل محمد ، و ذلك لحقد دفين يجول خواطرهم ، لكنهم اجهدوا انفسهم دون جدوى ، فكتب المسلمون جميعاً تعج بأحاديث النبي الأكرم (ﷺ) و افعاله التي شاهدها من عاصره ، و نقلها عنه المنصف و غير المنصف .

فكانت فكرة الدراسة هو الاطلاع على تاريخ هذه الشخصيات المشرفة برؤى جديدة و بطرح تاريخي مغاير ألا و هو عند الاستاذ الأديب عباس محمود العقاد (١٩٦٤م / ١٣٨٤هـ) الذي عرف عنه بعض الانصاف ، و عدم المجاملة فنقل الحقائق و حللها حول كل شخصية منهم ، و كان باستطاعته ان يكتب بهم كتاب واحد جامعاً لهم ، لكن حسه الإيماني و معرفته بفضلهم دفعه الى التأليف فيهم منفردين ، فكان العقاد مؤمناً بحقهم و ألا ما ألف كتباً منفردة بحقهم و اجهد نفسه بالبحث و المطالعة و بعضٌ منهم اخذ منه الوقت الطويل لأنجازه ، فكان إيمانه بحق إيمان المنصف المدرك .

فألف كتبه في زمن برزت فيه جماعة الاخوان المسلمين في مصر و بدأت في بث افكارها السلفية المتطرفة ، و انتشرت الأقلام المأجورة ، التي تمولها بعض الدول العربية ذات الفكر الوهابي ، فجاءت كتب العقاد في زمن لو أباح الانسان البسيط بحبه و هواه لآل البيت لا تؤمن نتائجه ، فكيف بشخصية بارزة مؤثرة في الوسط العربي و الاجنبي كالعقاد .

فحورب العقاد و تعرض لمحاولات اغتيال على أفكاره المتنورة هذه ، و المطلع على كتب العقاد يرى الأنصاف بعينه .

و ان اتساع مادة البحث كانت من اهم الصعوبات التي واجهتنا في عملية الكتابة ، وذلك من حيث اشتماله على ستة شخصيات، وهم اصحاب الكساء الخمسة (عليهم السلام) اضافة الى شخص العقاد نفسه ، ولكل شخصية منهم ادواراً تاريخية جسيمة كان لها اثر كبير في الزمان الذي عاشوا فيه ومابعده ، فجمعهم في بحث واحد جعلنا نلجأ الى اقتناء الاحداث البارزة في حياتهم دون الاخرى من اجل احتوائهم في طيات هذا البحث .

أرتأت طبيعة الدراسة تقسيمها على : مقدمة و تمهيد و أربعة فصول و خاتمة .

حيث تناول التمهيد محورين المحور الأول : كان عن أصحاب الكساء (عليهم السلام) حيث تناول التمهيد التعريف بهم ومن هم وأصل هذه التسمية ، وكذلك أثبات حقهم في القرآن الكريم و السنة النبوية.

أما المحور الثاني : ويشمل دراسة عامة لشخص المؤلف عباس محمود العقاد و أصحاب الكساء (عليهم السلام) ، من حيث الاطلاع على شخص العقاد مولده و نسبه و ثقافته ، و مكانته العلمية التي أهلتها في مثل هكذا كتب تخص البيت العلوي و غيرهم .

أما الفصل الاول فقد تطرق الى دراسة شخص النبي محمد في كتاب العقاد(عبقريّة محمد صلى الله عليه واله وسلم) ، و أنقسم هذا الفصل على مبحثين :

تناول المبحث الاول : عبقريّة محمد الاجتماعية والشخصية من حيث المولد و النسب الشريف و حياته الاسرية قبل البعثة و بعدها ، زوجاته ، و أولاده ، و كيفية تأسيسه لمجتمع إسلامي متكامل .

أما المبحث الثاني : تطرق الى عبقرية محمد (ﷺ) السياسية ، من حيث بناء دولته ، وحرابه ، و قيادته الفذة لأمر الاسلام و الدولة الاسلامية ذات النشأة الحديثة.

جاء الفصل الثاني بعنوان " عبقرية علي " في كتاب العقاد (عبقرية الامام علي رضي الله عنه) و أنقسم أيضا الى مبحثين :

المبحث الاول : بعنوان " عبقرية علي الاجتماعية والشخصية " . بحث في أسم الامام ونسبه و تصديقه بالنبي (ﷺ)، كما وبحثنا في بعض ما تميزت به شخصية علي بن أبي طالب (ﷺ) ، و ينتهي بدراسة أحواله مع أسرته و معاملته داخل بيته .

أما المبحث الثاني : جاء بعنوان " عبقرية علي السياسية " . تناول بيعة الامام بالخلافة بعد وفاة الخليفة الثالث ، و كذلك تناول سياسة الامام علي في تأسيس دولته و قيادته للأحداث التي عصفت في حكمه .

وكان ثالث الفصول بعنوان " فاطمة الزهراء و السبط الاول الحسن (ﷺ) في تراث عباس محمود العقاد " . تناول هذا الفصل دراسة شخصيتين من آل البيت ، وذلك لأسباب ، أولها أن الكتاب الذي أختص بدراسة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الموسوم ب(فاطمة الزهراء و الفاطميون) لم يكن خاصاً بالسيدة الزهراء فحسب ، وإنما أسهب فيه العقاد بدراسة الدولة الفاطمية(٢٩٧هـ - ٥٦٧هـ) من حيث نشأتها و تأسيسها وهذا بعيداً عن موضوع الدراسة الذي يختص بشخص الزهراء فقط . فاعتمدنا ما يتعلق بشخصية الزهراء ، و تركنا ذكر الدولة الفاطمية .

أما السبب الثاني هو أن العقاد لم يكتب في الامام الحسن (ﷺ) كتاباً مستقلاً ، بل أكتفى بذكره في كتبه المتفرقة بمناسبات متفرقة ، فاعتمدنا على ما ذكره العقاد في كتبه الاخرى عن الحسن (ﷺ) . وينقسم هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الاول منه بعنوان " فاطمة الزهراء في تراث عباس محمود العقاد " . فتطرق هذا المبحث لذكر نشأة الزهراء من حيث ولادتها و نشأتها و التعرف على شخصيتها ، وأهم الأحداث التي مرت بها ، و ينتهي بوفاتها و معرفة أسباب تلك الوفاة .

أما المبحث الثاني : حمل عنوان " الحسن المجتبي في تراث عباس محمود العقاد " .
تناول هذا المبحث ذكر ولادة الامام ونشأته و خلفته ، و أهم مجريات أحداث عصره من حيث
بيعته بالخلافة و معارضة معاوية لهذه البيعة ، وتنازله عن الخلافة وعقد الصلح ، وموقف
الامام الحسين (عليه السلام) من هذا الصلح ، ثم استشهاده (عليه السلام) . حيث عملنا على جمع ما ذكره
العقاد عن الحسن (عليه السلام) من كتبه المتفرقة.

وجاء رابع الفصول بعنوان " الحسين الشهيد في فكر عباس محمود العقاد " . وهو
الفصل الاخير الذي تضمن سيرة سيد الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام) في كتاب العقاد (ابو
الشهداء الحسين بن علي) . و تضمن مبحثين أيضاً :

المبحث الاول : تحت عنوان " الحياة الاجتماعية والشخصية للحسين (عليه السلام) و أسباب
التنافس بينه و بين يزيد بن معاوية " ، حيث تطرق هذا المبحث الى نسب الامام و لقبه و نشأته
، و خلق الحسين (عليه السلام) و صفاته ، وشجاعته و مكانته ، و أسباب الخصومة بينه و بين يزيد ،
كما وتناول هذا المبحث خلافة يزيد وموقف الامام الحسين منها .

بينما المبحث الثاني خصص لدراسة " أسباب خروج الحسين (عليه السلام) على نظام الحكم
القائم " . و كان هذا المبحث موجهاً لتسليط الاضواء على أسباب خروج الحسين الى العراق ،
ورفضه حكم يزيد . و نزوله في كربلاء و تطرق أيضاً الى أصحاب الحسين و شجاعتهم
مقارنةً بجند يزيد ، و أنتهى بذكر مصرع الحسين (عليه السلام) و مكان دفنه و الموطن الحقيقي
لرأسه ، ودخول أهله واسرته على عبيد الله و يزيد .

أهم مصادر والمراجع المستعملة ، وكانت في مقدمتها مؤلفات العقاد التي تناولتها
هذه الدراسة وهي :

١- كتاب (عبقرية محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) : الذي تناول سيرة النبي (عليه السلام) ، على شكل
موضوعات متنوعة من جوانب حياته الشريفة ، الاجتماعية و السياسية ، و علاقاته مع
قومه و أهله ، و حروبه و أدارته ، و دوره القيادي الكبير في نشر الاسلام و تأسيس
دولته .

- ٢- كتاب (عبقرية الامام علي رضي الله عنه) : الذي تضمن سيرة الامام علي بن طالب (عليه السلام) ، لم يعتمد الكاتب فيه التسلسل الزمني لحياة الامام ، و إنما كان على شكل مواضيع متفرقة غطت جوانب مهمة من تاريخ حياته الحافلة بالأحداث العظام .
- ٣- كتاب (فاطمة الزهراء و الفاطميون) : تضمن جزء من هذا الكتاب حياة الصديقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله محمد (عليه السلام) ، يتألف هذا الكتاب من (١٤٤ صفحة) خصصت (٥٤ صفحة) فقط عن حياة السيدة الزهراء ، حيث ناقش فيه المؤلف مواضيع مختلفة ابتدأت بولادتها ونشأتها وانتهت بوفاتها ، و تطرق المؤلف فيه الى أهم ما عصف بحياة الزهراء من المصائب و الويلات ، وكان منصفاً فيها أحياناً ، و أحياناً أخرى يترك الحكم و الاقرار النهائي في بعض المسائل ليقف فيها موقفاً محايداً.
- ٤- كتاب (معاوية في الميزان) : أن سبب تضمن هذه الدراسة لهذا الكتاب هو أن العقاد لم يفرّد كتاباً خاصاً في سيرة الامام الحسن (عليه السلام) ، فرجعنا الى هذا الكتاب لعنا نجد شيء ما قد ذكره العقاد عن الامام الحسن (عليه السلام) هنا ، و ذلك للفترة الزمنية الواحدة التي عاشها الامام الحسن (عليه السلام) و معاوية ، إضافة للأحداث التي حصلت بين الحسن (عليه السلام) و معاوية بن أبي سفيان ، لكننا لم نجد سوى (٣ روايات) تخص الامام الحسن (عليه السلام) .
- ٥- كتاب (ابو الشهداء) : حيث تعرض هذا الكتاب لسيرة الامام الحسين (عليه السلام) ، و الاحداث التي جرت عليه في كربلاء ، حيث كان مشابهاً لمنهج العقاد في كتبه الاخرى من حيث الكتابة وفق موضوعات متفرقة ، أجاد فيه العقاد و أبدع في نقل الحوادث التاريخية و تحليلها وفق إطار علمي دقيق ، و بيان خفايا الامور و ظواهرها ، و قد وقف موقف المسلم الغيور من أجل اظهار مظلومية الامام الحسين (عليه السلام) ، فلم يترك شيء عن واقعة كربلاء ألا وكتب عنها ، فنقل أدق تفاصيل المعركة و أعماقها ، فوقف الى جانب الحق و نصره .

و لاشك أن دراسة بهذا مضمون لا بد أن يتصدر قائمة مصادرها كتاب الله العزيز القرآن الكريم .

أولاً - كتب الحديث : ويأتي في مقدمتها كتاب مسند (أحمد بن حنبل ت ٢٤٢هـ / ٨٥٥م) الذي يعد المصدر الاساس عند الاستشهاد بالاحاديث ، وكذلك الرجوع اليه من أجل معرفة الاحاديث الصحيحة منها و الموضوعة ، فضلاً عن مصادر الحديث

الآخري منها (صحيح البخاري) لمؤلفه (محمد بن أسماعيل البخاري ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) و كذلك شرح هذا الصحيح هو (فتح الباري) لمؤلفه (ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) ، و أيضا (صحيح مسلم) لمؤلفه (مسلم بن الحجاج ت ٢٦١ هـ / ٨٢٥ م) و الذي يعد أهم كتب الحديث و أصحابها و الكتاب الثاني بعد صحيح البخاري ، و (سنن أبي داوود) لمؤلفه (ابي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) و هو من أهم كتب السنن الأربعة و يعد من أهم مصادر الحديث عند أبناء العامة ، و كذلك (سنن الترمذي) لمؤلفه (محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ، و (سنن النسائي) لمؤلفه (أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) ، و كتاب (المستدرک على الصحيحين) لمؤلفه (الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) و هو من أهم مصادر الحديث أيضا وكان ممن أتهم بالتشيع ، و من أهم مصادر الحديث عند الشيعة هو كتاب (كنز العمال) لمؤلفه (المتقي الهندي ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م).

ثانياً – كتب السيرة : و من أبرز هذه الكتب و أولها هو كتاب (السيرة لابن أسحاق) للمؤلف (محمد بن أسحاق بن يسار ت ١٥١ هـ / ٧٦٨ م) و هو أول المؤرخين المسلمين الذين كتبوا في السير و كذلك المغازي ، و كتاب (السيرة النبوية) لـ (عبد الملك ابن هشام ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) و هو من أهم كتب السير التي تناولت تفاصيل سيرة النبي الأكرم محمد (ص) حيث تمت الاعتماد عليه كثيراً في فيما يخص حياة النبي قبل البعثة وبعدها ، كذلك كتاب (السيرة النبوية لأبن كثير أسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) الذي كان من الكتب المهمة التي تناولت سيرة النبي (ص) بعد الكتب السابقة .

ثالثاً – كتب التاريخ العام : في مقدمة كتب التاريخ و أبرزها هو كتاب (الامامة و السياسة) لمؤلفه (ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) و كذلك كتاب (الاخبار الطوال) لمؤلفه (ابو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٤ م) ، و كتاب (تاريخ اليعقوبي) لـ (أحمد بن يعقوب بن واضح الاخباري ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) و هو الذي يعد من أهم الكتب العربية و أقدمها التي تضمنت التاريخ من أدم حتى ظهور الاسلام و أمتد حتى زمن المعتمد العباسي سنة ٢٥٩ هـ) و كتاب (مروج الذهب و معادن الجواهر) لـ (علي بن الحسين المسعودي ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) و (تاريخ دمشق) لمؤلفه (ابو القاسم علي بن الحسن بن عساكر ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م)

(، وكتاب (تاريخ الرسل و الملوك) لمؤلفه (محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) حيث تم الاعتماد عليه في موضوع البحث بكامله وذلك لانه تناول فترة زمنية طويلة من التاريخ الاسلامي تضمنت الفترة الزمنية للبحث من قبل البعثة حتى سنة (٦١ هـ) ، فتم الاعتماد عليه في كل مراحل البحث ، و كان منهج الكاتب فيه هو المنهج الحولي أي تسجيل أحداث كل سنة على حدة . وكتاب (المنتظم) لـ (ابن الجوزي جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي) (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) ، و يأتي بعده بالمرتبة الثانية من حيث الاعتماد عليه هو كتاب (الكامل في التاريخ) لـ (ابن الاثير عز الدين ابي الحسن الجزري ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) و هو من أهم الكتب العربية الاسلامية التي تضمنت حقبة تاريخية طويلة امتدت من التاريخ القديم مروراً بالتاريخ الاسلامي و ينتهي سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) و قد أتبع المؤلف فيه المنهج الحولي أيضاً . و يأتي كتاب (البداية و النهاية) لمؤلفه (ابن كثير أسماعيل بن عمر بن كثير . ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) بالمرتبة الثالثة .

رابعاً - كتب الطبقات الانساب و التراجم : وفي مقدمة هذه الكتب و أهمها التي كثر الاعتماد عليها هو كتاب (الطبقات الكبرى) لـ (ابن سعد محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) ، وكذلك كتاب (انساب الاشراف) لـ (البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٦ هـ / ٨٩٢ م) ، وكتاب (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) لمؤلفه (ابن عبد البر ابو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) ، و أيضاً كتاب (الاصابة في تميز الصحابة) لـ (ابن حجر أحمد بن علي ابو الفضل العسقلاني ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) ، ، وهذه الكتب فضلاً عن كونها كتب تراجم للشخصيات التي تضمنتها ، الا أنها تحمل أخباراً و معلومات تاريخية عامة بينت تاريخاً شاملاً للفترة لزمانية التي عاشها الافراد التي قد ترجم لهم .

خامساً - كتب اللغة و الأدب : تم الرجوع الى هذه الكتب من أجل توضيح و تفسير بعض غوامض الكلمات و بيان المعاني و من أهمها كتاب (الصحاح) لمؤلفه (الجوهري ، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي) (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) وكتاب (لسان العرب) لـ (ابن منظور محمد ابن مكرم ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .

سادساً : كما تم الاعتماد على العديد من المراجع في هذا البحث ومن اهمها، كتاب العلامة الاميني (موسوعة الغدير)، وموسوعة مجدي محمد سرور باسلوم و سميرة جميل الموسومة (موسوعة آل بيت النبي) و علي محمد الصلابي ومؤلفاته (السيرة النبوية، و سيرة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب ، و الحسن بن علي شخصيته و عصره، و ايضا عباس القمي وكتبه كلّ من (الانوار البهية في تواريخ الحجج الالهية ، ومنتهى الامل في تواريخ النبي و الآل ، وكذلك كتاب بيت الاحزان) وغيرهم الكثير من المراجع.

وقد توصلنا لجملة من النتائج من خلال دراستنا هذه ، وهي ان كتب العقاد بحق اصحاب الكساء كان منبعثاً من ايمانه الحقيقي فضلهم و مكانتهم في المجتمع الاسلامي .

التمهيد

أصحاب الكساء و العقاد

أولاً: أصحاب الكساء (عليهم السلام) :

قبل الدخول في صميم البحث ألا وهو أصحاب الكساء في تراث عباس محمود العقاد ، لابد من التعرف على اصحاب الكساء ومكانتهم وفضلهم الذي خصهم الله به ، الا وهم الخمسة عليهم السلام (رسول الله محمد صلى الله عليه و اله ، و علي ، و فاطمة ، والحسن ، و الحسين عليهم السلام أجمعين)، وهم " فاطمة وابيها وبعلاها وبنيتها" .

وكما نعرف بأن العقاد ألف كتاباً في أربعة منهم ، لكنه في كتبه الاربعة هذه لم يطلق لفظة أهل الكساء أو أصحاب الكساء ، ولم يرد ذكر لحديث الكساء في كتبه ولانستطيع القول انه لم يسمع بهذا الحديث، لان شخصاً كالعقاد لا يخفى عليه حديث بهذه الاهمية، وهذا لا يعني أنه لا يعرف من هم أصحاب الكساء و فضلهم و خصائصهم ، و الا ما الف فيهم كتبه ، ربما أنه لم يذكر حديث الكساء لأنه لم يجد ضرورة لذلك ، أو ربما لأنه لم يجمعهم كلهم في كتاب واحد حتى يذكر فضائلهم مجتمعين بل أنه كتب عنهم منفردين كل في كتاب منفرد .

ولقد خصهم الله عز وجل بكرامات شتى و بين فضلهم في العالم ، و أنزل فيهم الآيات البيّنات و الدلائل الواضحات فهم أهل بيت خاتم رسله ، و خاصته من الناس ، فربط رضاهم برضاه و رفع شأنهم في العالمين .

أما النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فلم يقصر في أبراز مكانتهم أمام الناس ليعلمهم بعلو شأنهم ، و محبته لهم ، فالآيات الواردة بحقهم و تلك التي فسرت بهم كثيرة ، و أتفق عليها الجميع ، و أبرزها أية التطهير حيث قوله تعالى : (أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) (١) .

أما سبب تسميتهم بأهل الكساء و ذلك بناء على الحديث الوارد عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " عن محمد بن سلمان ابن الاصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطاء بن أبي رباح ، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه [واله] وسلم قال : لما نزلت هذه الآية على النبي (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) في بيت أم سلمة ،

١ - سورة الاحزاب : آية (٣٣) .

فدعا فاطمة و حسناً و حسيناً فجلبهم بكساء ، و علي خلف ظهره فجلبه بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً ، قالت أم سلمة : و أنا معهم يا نبي الله ، قال : أنت على مكانك و أنت على خير " (١)

وهذا الحديث صحيح متفق عليه من قبل أبناء السنة و الامامية . ومن الآيات الاخرى التي كانت لها دلالة واضحة على هؤلاء الخمسة هي آية المباهلة ، وذلك عندما خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمباهلة نصارى نجران فخرج بعلي و فاطمة و الحسنان فقال تعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٢) ، فلما نظروا اليه فقالوا من هؤلاء قيل لهم هذا ابن عمه وكذلك وصيه وزوج ابنته علي ابن ابي طالب (عليه السلام) ، وهذه ابنته الزهراء فاطمة ، وأبنائهم الحسن والحسين ، فتفرق النصارى لما رأوهم و طلبوا الرضا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لانهم كانوا قد أتفقوا قبل مجيء النبي أن باهلهم بقومه باهلوه لأنه ليس بنبي ، لكن باهلهم بأهله ، ومن يباهل بأهله و خاصته فهو صادق ، فصالحوا النبي و أكتفوا بدفع الجزية (٣) .

١ - الترمذي ، ابي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢م) ، الجامع الكبير ، تح: بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ٥ / ٢٦٢ - ٢٦٣ ؛ القمي ، ابي الحسن علي بن ابراهيم (ت ٣٢٩ هـ/٩٤٠م) ، تفسير القمي ، تح: محمد باقر الموحّد الابطحي الاصفهاني ، تفسير القمي ، قم المقدسة ، ١٤٣٤ هـ/٢٠١٢م ، ٢ / ١٩٣ ؛ الحاكم النيسابوري ، ابو عبد الله محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥ هـ/١٠١٤م) ، المستدرک على الصحيحين ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، ٣ / ١٥٨ ؛ الطبرسي ، ابي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ/١١٥٣م) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار المرتضى ، بيروت ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ٨ / ١١٩ ؛ الخوارزمي ، الموفق بن أحمد بن محمد المكي (٥٦٨ هـ/١١٧٢م) ، المناقب ، تح: مالك المحمودي ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م ، ص ٦٣ ؛ سبط ابن الجوزي ، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي (ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م) ، تذكرة الخواص ، تح: محمد صادق بحر العلوم ، مكتبة نينوى الحديثة ، طهران ، (د.ت) ، ص ٢٣٣ ؛ ابن تيمية ، ابي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحلیم (٧٢٤ هـ/١٣٢٣م) ، منهاج السنة النبوية ، تح: محمد رشاد سالم ، (د.ط) ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ٥١ - ٦ ؛ الزرندي ، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد (ت ٧٥٠ هـ/١٣٤٩م) ؛ نظم درر السمطين ، تح: علي عاشور ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ٢٩٧ ؛ الهيثمي ، الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر (ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٤م) ، مجمع الزوائد ، تح: محمد عبدالقادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م ، ٩ / ١١٠ .

٢ - سورة آل عمران : آية (٦١) .

٣ - القمي ، تفسير ، ١ / ١٥٦ ؛ الزمخشري ، جار الله ابي القاسم محمود (ت ٥٣٨ هـ/١١٤٣م) ، الكشاف ، تح: عادل أحمد عبد الموجود و آخرون ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ١١ / ٥٦٤ - ٥٦٥ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ١٢ / ٢٥٠ ؛ المحلي ، جلال الدين بن أحمد (ت ٨٦٤ هـ/١٤٥٩م) ، و آخرون ، تفسير الجلالين ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ٥٧ .

أما سبب عدم مباہلتهم للنبي كما ذكر الطبرسي من قول أحد الأساقفة : " أني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة " (١).

أما النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد وصف حالهم لو أنهم باهلوا : " و الذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قرده و خنازير ، و لأضطر الوادي عليهم ناراً ، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم " (٢).

ويصور صاحب الكشف حال النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما جاء للمباہلة فيقول جاء (صلى الله عليه وسلم) وهو : " محتضناً الحسين و أخذ بيد الحسن و فاطمة تمشي خلفه و علي " ، ثم يطرح تساؤلاً جميلاً فيقول أن قلت : ما كان طلبه للمباہلة الا لكي ليتبين الكاذب منه ومن خصمه و هذا أمر لا يختص الا به و بمن يكاذبه فما تفسير ضمه النساء و الابناء ؟

فيجيب قائلاً : " ذلك أكد بالدلالة على ثقته بحاله و استيقانه بصدقه حيث استجراً على تعريض أعزته و أفلاذ كبده، و خص الابناء و النساء لانهم أعز الأهل و الصقهم بالقلوب ، و قدمهم بالذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم و قرب منزلتهم ، وفيها دليل لاشي أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام (٣) .

فما هذه الخصوصية الكبيرة التي خصهم الله بها ، حتى يخرج بهم للنبي للعن النصارى ، و ما الذي شاهده النصارى على سيماهم عليهم السلام ليتركوا مباہلة النبي و يقرون على أنفسهم دفع الاموال ، فهم أهل النبي و خاصته .

و يمكن للباحثة التعقيب على كلام الزمخشري حين يصف مجي الرسول للمباہلة و هو محتضن الحسين و ممسك بيد الحسن (عليه السلام) ، و كما هو معروف بأن المباہلة كانت في العام التاسع للهجرة (٤) ، و بذلك يكون الحسن في السابعة من عمره، و الحسين (عليه السلام) في السادسة

١ - مجمع البيان ، ٢ / ٢٥٠ ؛ شرف الدين الحسيني ، شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي (ت ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧م) ، تأويل الايات الطاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، تح: مدرسة الامام المهدي ، مدرسة الامام المهدي ، قم ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ١ / ١١٢ .

٢ - الطبرسي ، مجمع البيان ، ٢ / ٢٥٠ ؛ شرف الدين الحسيني ، تأويل الايات ، ١ / ١١٢ ؛ المجلسي ، محمد باقر (١١١١ هـ / ١٦٩٩م) ، بحار الانوار ، تح: مؤسسة آحياء الكتب الاسلامية ، مؤسسة آحياء الكتب الاسلامية ، قم ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م ، ٢١ / ٢٧٧ .

٣ - الزمخشري ، ١ / ٥٦٥ - ٥٦٦ .

٤ - ابن القيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر أيوب الزرعي (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠م) ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، تح: شعيب الارناؤوط و آخرون ، ط ٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ٢ / ٩٦ .

من عمره وبهذا يكون غلاماً كبيراً ، ، و هم لا يحتاجون للاحتضان او مسك اليد ، لانهم بالغيين و قادرين على السير دون مساعده ، فلا نعرف سبب فعل الرسول ذلك لأنه من غير الجائز أن يكون يخشى عليهم من الضياع مثلا ، أو تعرض أحداً ما لهم ، لكن لا نجد تفسيراً لذلك ، ألا هو عمل أراد الرسول من خلاله لفت أنتباه الناس الى مكانتهم وشدة حبه وتعلقه بهم ، وهو لم يكن ليترك مناسبة كهذا الا وعمل على تكريمهم و الرفع من شأنهم لإظهار فضلهم لمجتمعه الذي يعيشه .

اما الآية الاخرى التي فسرت بهم (عليهم السلام) هي قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) (١) . وسبب نزول هذه الآية كما روي ابن عباس : هو عندما قدم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الى المدينة كانت تلزمه بعض الاموال لكنه لم يكن في سعة من العيش ، فقال الانصار: أن النبي رجل قد هدانا الله به ، وتلزمه بعض الحقوق ، وليس لديه الاموال ، فاتفقوا بتجميع الاموال ودفعها للنبي ، لكي يستعين بها على أداء تلك الحقوق ، فجمعوا الاموال و عرضوها على النبي لكنه (ص) توقف في قبولها حتى نزل الوحي ، فأنزل الله عزو جل هذه الآية .

اي أنه لا أسألكم على دعوتكم للإسلام من أجر الا صلة رحمي و حفظ قرابتي . وعن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال : " لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ فقال : علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام " (٢).

وهذه الآية هي التي أستشهد بها الامام علي بن الحسين (زين العابدين (ع)) حين دخولهم الشام بعد واقعة الطف و مقتل الحسين (ع) ، حيث قام رجل من أهل الشام و قال للإمام : " الحمد لله الذي قتلكم و أستأصلكم و قطع قرن الفتنة " فقال له زين العابدين : أقرأت القرآن ، أجاب الرجل : نعم .

قال له : أقرأت (آل حم)

١ - الشورى : آية (٢٣) .

٢ - الطبرسي ، مجمع البيان ، ٣٨١٩ ، البيهقي ، ابو الحسن علي بن ابي القاسم زيد البيهقي (٥٦٥ هـ / ١١٦٩م) ، لباب الانساب و الالقاب و الاعقاب ، تح: مهدي الرجائي ، ط٢ ، الخزانة العالمية للمخطوطات الاسلامية ، قم ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، ص ٢١٣ - ٢١٤ ؛ السيوطي ، جلال الدين (٩١١ هـ / ١٥٠٥م) ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث و الدراسات الاسلامية ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ١٣ / ١٤٩ - ١٥٠ .

قال : نعم قرأت القرآن لكن لم أقرأ (آل حم) .

قال له الامام : أقرأت (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) .

قال : نعم " أنكم لأنتم هم " .

قال الامام : نعم نحن هم ^(١) .

انا شجرة وفاطمة فرعها و علي لقاحها و الحسن و الحسين ثمرتها ^(٢) .

فضلاً عن ما قاله النبي و بينه و فعله من تبيان حقهم للناس ، فلم يلتحق الى الرفيق الاعلى الا ضمن لهم حقهم و نصبهم سادة على العالمين فأخر ما قاله في حقهم بعد حجة الوداع و بعد تنصيب علي للخلافة في غدير خم قال : " كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين : كتاب الله و عترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " ^(٣) .

^١ - الطبري ، ابي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تفسير جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ٢٠ / ٤٩٩ ؛ البيهقي ، لباب الانساب ، ص ٢١٥ ؛ المقرئزي ، تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، فضل آل البيت ، تح: محمد أحمد عاشور ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٧١ - ٧٢ ؛ الطباطبائي ، محمد حسين (ت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م) ، الميزان في تفسير القرآن ، تح: حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ١٨ / ٥٢ .

^٢ - الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ١٧٥ ؛ الزمخشري ، الكشاف ، ٣ / ١٧٥ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٣٧ / ٧٧ .

^٣ - ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م) ، السيرة النبوية ، تح مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٦ م ، ٤ / ٤١٦ ؛ السيوطي ، ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، الخصائص الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ٢ / ٣٩٥ ؛ الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥م) ، سبل الهدى و الرشاد ، تح: عادل أحمد عبد الموجود و آخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ٢٣٢ / ١٢ .

ثانياً: السيرة الشخصية للأديب عباس محمود العقاد :

أولاً : النشأة و التكوين:

عباس بن محمود بن ابراهيم بن مصطفى العقاد ، وهو أديب مصري ، أصله من دمياط ، ولادته كانت في مدينة أسوان في سنة (١٨٨٩ م / ١٣٠٧ هـ) ، كان أبوه يعمل صرافاً في أسنا ، اما والدته عباس كانت ذات أصول كردية من أسوان أيضا (١) .

وكان العقاد : " ممشوق القامة ، أسود الشعر ، تعلق وجهه الرقيق سمرة خفيفة " (٢) . ومع كل هذه الصفات الجسمية التي توحى بسلامة بدنه الا ان العلة لم تقارقه الى مماته حيث انه كان " ضعيف الصدر يتوقى البرد والحر و يتحرى ماياكل و مايدع " (٣)

لكن نجد أن العقاد قد ألف كتاباً يتحدث فيه عن سيرته الذاتية فيبدأ الحديث قائلاً : إن " الكاتب الأمريكي و ندل هولمز يقول كل انسان بلا استثناء - إنما هو ثلاثة أشخاص في صورة واحدة . الانسان كما خلقه الله ... و الانسان كما يراه الناس ... و الانسان كما يرى هو نفسه " ثم يطرح تساؤلاً : أي من هؤلاء الثلاثة هو العقاد ؟

فيجيب : " من قال أنني أعرف هؤلاء الاشخاص معرفة تحقيق أو معرفة تقريب ، و سأحدث عن عباس محمود العقاد كما أراه ، و عباس محمود العقاد كما أراه ، هو شيء مختلف كل الاختلاف عن الذي يراه الكثيرون من الاصدقاء و الاعداء ، هو شخص أستغربهم كل الاستغراب حين أسمعهم يصفونه أو يتحدثون عنه ، حتى ليخطر لي في أكثر الاحيان أنهم يتحدثون عن إنسان لم أعرفه قط و لم ألتق به مرة في مكان . فأضحك و أقول : و يل للتاريخ من المؤرخين .. لان الناس لا يعرفون من يعيش بينهم في قيد الحياة و من يسمعهم و يسمعونه ، فكيف يعرفون من تقدم به الزمن الف سنة ، فعباس العقاد في رأي بعض الناس هو رجل مفرط الكبرياء مفرط القسوة و الجفاء ، ورجل يعيش بين الكتب ، و رجل يملكه سلطان المنطق و التفكير ، و لا سلطان للقلب و العاطفة عليه ، ورجل يصبح و يمسي في الجد الصارم فلا تقتر شفتاه بضحكة واحدة ألا بعد استغفار و اغتصاب ، هذا هو عباس العقاد في رأي بعض الناس .

١ - الجبوري ، كامل سلمان ، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ١ / ٣٠٢ .

٢ - الجبلاوي ، محمد طاهر ، في صحبة العقاد ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ص ٩ .

٣ - فؤاد ، نعمات احمد ، الجمال والحريية و الشخصية الانسانية في أدب العقاد ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ٣٤ .

و أقسم بكل ما يقسم به الرجل الشريف أن عباس العقاد هذا رجل لا عرفه ، و لا رأيته ، و لا عشت معه لحظة ، و نقيض ذلك هو أقرب الى الصواب . و نقيض ذلك هو رجل مفطر في التواضع و مفطر في الرحمة و اللين و رجل لا يعيش بين الكتب إلا لأنه يباشر الحياة ، رجل لا يفلت لحظة واحدة في ليله و نهاره من سلطان القلب و العاطفة ، و رجل وسع شذاه من الضحك ، هذا رجل هو نقيض ذلك " (١) و نقول هذا ما وصف به العقاد نفسه .

كان والده متزوج من امرأة قبل والدته ، لديه ثلاثة أخوه أشقاء ، أما لقبه بـ (العقاد) فقد جاء و حسب ما ذكر العقاد نفسه بأنه يعود الى : " أن جد جدي لأبي كان من أبناء دمياط ، وكان يشتغل بصناعة الحرير ، ثم أنتقل الى المحلة الكبرى حتى يتخذها مركزاً لنشاطه ، و من هنا أطلق عليه الناس أسم العقاد أي الذي يعقد الحرير . و التصقت بنا ، و أصبحت علماً علينا " (٢) .

ثانياً : ثقافته و مكانته العلمية :

كما و لا يخفى على الجميع أن العقاد من كبار المفكرين العرب الذي أثروا المكتبة العربية " بزاد لا ينفذ و ذخيرة أدبية باقية " (٣) .

فبدأ العقاد حياته الادبية منذ التاسعة من عمره حيث نظم قصيدة شعرية مدح فيها العلوم ، ثم تدرج في المدارس في أسوان (٤) ، و نال شهادة الابتدائية عام ١٩٠٣ م ، و كانت رغبته منقسمة بين المدرسة الحربية و الزراعية . أنهى الامر بقيام والده بفصله من دراسته مكتفياً بما حصل عليه من التعليم الابتدائي ليلحقه بعد ذلك بالوظائف الحكومية . ولم يؤثر هذا في نفسه لأنه كان كثيراً ما يحمد الله لان الحياة اعفته عن الدراسة و الابحاث الجامعية ، وكان يشير الى ذلك بفخر لأنه تخلص من قيود المنهجية التي فرضت على أقرانه في الدرس و البحث ، وبهذا قد أطلق لقلمه العنان للدفاع عن الحضارة العربية الاسلامية في جميع أطرافها (٥) .

١ - العقاد ، عباس محمود ، أنا ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢م ، ص ٧ - ٨ .

٢ - أنا ، ص ١ - ١٦ .

٣ - العقاد ، عامر ، غراميات العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ١١ .

٤ - العقاد ، أنا ، ص ١٥ ؛ المصري اليوم ، ماهر حسن الخميس ١٢ مارس ٢٠٠٩ ، العدد ١٧٣٣ ، وفاة عباس محود العقاد .

٥ - الديدي ، عبد الفتاح ، عبقرية العقاد ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص ٩ .

ثم أنتقل الى القاهرة عندما التحق بأحد الوظائف الحكومية حيث كان عمره خمسة عشر سنة ، ثم انتقل الى الزقازيق فبدأ بالكتابة في الصحف المحلية، ثم أنتقل الى القاهرة و بدأ العمل في الصحافة ، ثم عين عضو في مجلس الفنون و الآداب ، كما و عين في المجمع اللغوي (١) .

ثالثاً : أساتذته وتلامذته :

لم يكمل العقاد الا تعليمه الابتدائي كما اسلفنا ، فلم نجد هناك ذكر لتأثره بأحد أساتذته ، لكونه كان لايزال صغيراً ، لكن عرف عنه أعجابه بكل من . عبد الكريم النديم ، و محمد عبده ، و كان كارهاً لمصطفى كامل . فتولى مهمة تثقيف نفسه بنفسه (٢) حيث بدء بالعمل و شراء الكتب التي كانت تباع في ذلك الوقت بأثمان زهيدة ، فمثلا كتاب العقد الفريد لأبن عبد ربه الذي كان يباع بأجزائه الاربعة بخمسة عشر قرشاً (٣) ، لكنه كان يتلقى بعض الدروس على يد أستاذه الذي اعترف العقاد له بالفضل وهو الشيخ أحمد الجداوي وهو من أبناء أسوان وكان القاضي الشرعي فيها ، وكان هذا الشيخ يقيم بعض المجالس في بيت اهل العقاد ، و احياناً تعقد هذه المجالس في بيت الشيخ نفسه فكان يحضرها مع أبيه (٤) .

و لم يكن العقاد أستاذاً في الجامعات أو المعاهد المصرية أو أي أكاديمية أخرى ، كما ذكرنا فهو لم يحصل إلا على التعليم الابتدائي .

لكن منزله كان بمثابة أكاديمية علمية يرتادها طلاب العلم و العلماء ، فكان يقيم ندوات ثقافية كل أسبوع في يوم الجمعة (٥) ، فيناقشون آخر التطورات السياسية و الاجتماعية التي تطرأ تطراً على مصر و الوطن العربي ، و كذلك مناقشة بعض القضايا التاريخية و الأدبية ، فضلا

١ - العقاد ، أنا ، ص ١٥ - ١٦ .

٢ - دياب ، عبد الحي ، عباس العقاد ناقداً ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٧٢ .

٣ - السمرة ، محمود ، العقاد دراسة أدبية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، الاردن ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ١٢ .

٤ - دياب ، عباس العقاد ، ص ٨٠ .

٥ - الديدي ، عبقرية العقاد ، ص ١٦ .

على الاطلاع على ماهو جديد من الكتب الصادرة العربية و الغربية (١) . كما كان يتم دعوة العقاد لألقاء محاضرة في الجامعات المصرية (٢) .

كما وينقل أحد تلامذته عما يدور داخل منزل العقاد فيقول: كنا نجلس في غرفة صغيرة في منزل العقاد لكننا نراها واسعة من شدة اندماجهم و شغفهم بالعقاد و يقول : " كنا نمشي على أقدامنا الى مصر الجديدة [حيث منزل العقاد] ، كما كان يفعل الحجاج عندما يسافرون من المغرب الى الاراضي المقدسة ، ويكون المشوار حديثا عن العقاد قبل أن نراه " (٣) .

كما كان أحيانا العقاد هو الذي يختار الموضوع الذي يتحدث فيه فيكون قد أعده و درسه ، لكن إذا اخترنا له الموضوع ، فلا يخيفه ذلك ، لأنه كان قادر على التحدث في أي شيء (٤) ، سواء كان في الدين او السياسة و امتازت كتاباته السياسية ببلاغة المنطق و قوة الحجة (٥) .

رابعاً : منهجه في كتاباته :

أعتمد العقاد المنهج النفسي في كتاباته حيث كان يرسم " لمن يدرسه صورهم النفسية و الجسدية ، معتمداً على مناخ العصر ، وظروفه ، و البيئة المحيطة بهم ، و عوامل الاستعداد الوراثية " و من هذا المنطلق يصل الى ما يسميه هو بـ " مفتاح الشخصية " ، و أن هذا المفتاح هو الذي يفسر لنا شخصية ذلك العبقرى الذي يدرسه ، و أن هذا المفتاح هو الذي أستخدمه في عبقرياته . و أن العقاد كان متأثراً بـ (سانت بييف) (٦) في قوله : " كما تكون الشجرة يكون ثمارها " و كذلك قوله : " القدماء أوان مهشمة " ، فقام العقاد دراسات كثيرة حول القدماء ،

وقد أعتمد بذلك على المنهج النفسي ، و أنجذب العقاد كثيراً الى (هيبوليت تين) تلميذ سانت بييف الذي كانت له نظرية تقوم على ثلاثة أركان وهي " العرق ، البيئة ، العصر " ،

١ - العقاد ، عامر ، من أخر كلمات العقاد ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ ص ٤ .

٢ - منصور ، أنيس ، في صالون العقاد كانت لنا أيام ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١١ .

٣ - منصور ، في صالون العقاد ، ص ٨ .

٤ - منصور ، في صالون العقاد ، ص ١١ .

٥ - الخفاجي ، مشتاق طالب حسين و اخرون ، عباس محمود العقاد و نشاطه السياسي في مصر للمدة (١٩١٩-١٩٣٠ ، مجلة العلوم الانسانية كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل ، العدد الاول ، آذار ٢٠١٨ م ، مجلد ٣٥ ، ص ٢ .

٦ - سنت بييف : كاتب و ناقد فرنسي يعد من الاوائل الذين ساهموا في دفع عجلة التطور بالنسبة للمنهج التاريخى التاريخى ، وكان يعتمد في دراسته للشخصيات على منهج علمى تجريبي و بدراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية من حيث التعرف على كل مايتصل بهم من عادات و افكار و مبادئ . ينظر : هلال ، محمد غنيمي ، الادب المقارن ، ط٣ ، دار النهضة ، مصر ، ١٩٧٧ م / ١٣٩٧ هـ ، ص ٦٠-٦٢ .

فيكون الانسان وفق هذه النظرية نتاج كل من هذه العناصر الثلاثة ، فأعتمد العقاد على هذه النظرية في دراسته للعبقریات (١) .

وكان للعقاد اهتمام بالغ في الشخصيات التي يدرسها فيبدع في تصويرها و البحث عن مفاتيحها و هذا مالا نجد نظيره لأديب عربي (٢) .

لم يجعل العقاد كتبه مجرد بحث تحليلي قد ينتابه الخطأ و الصواب ، لكنه جعل منها مرجعاً علمياً. وسجلاً تاريخياً (٣) .

وكان منهجه في العبقریات الاسلامية بالتحديد يعتمد على تسجيل مواقف تلك العبقریات دون الاعتماد على شواهد من القرآن ، ففي كتاب (عبقرية محمد) مثلاً لم يعتمد على شواهد من القرآن الكريم كدليل على صدق ما قاله عن محمد ، وذلك لأنه اراد أن يطلع على هذا الكتاب كل انسان فيؤمن به لسبب اخر بعيداً عن كونه من المسلمين و المؤمنين بالقرآن الكريم (٤) ، و أن كتاباته عن عباقرة الاسلام كان من أجل الدفاع عن الاسلام و ائمه و رجاله ، فكان كاتب التراجم و العبقریات بجدارة و استحقاق و صاحب عبقریات الاسلام دون منازع ، و أن ما كتبه عن تلك الشخصيات الاسلامية " كان اروع ما كتب فيها ، و اروع ما يكتب فيها على مر الزمن " (٥) .

كما امتاز منهجه في عبقرياته بأنه سلك منهجاً بعيداً عن نهج الطبع المألوف ، من حيث سرد جميع مراحل حياة الشخص الذي يكتب عنه ، و كشف أهم احداث عصره ، لكن العقاد عندما يرسم الشخصية التاريخية يكون حولها فكرة أساسية تعد هذه الفكرة محور هذه الشخصية و مدار لسلوكها بالحياة ، وهذا المحور الذي يهتدي اليه العقاد في درسه و بحثه ، فيكشف لنا عن تلك الشخصية كما يكشف لنا الغواص عن " لؤلؤة مكنونة في صدفتها " ، و العقاد في تقييمه للشخصية و أسرار أعمالها لا يعتمد على ما ينقله التاريخ فقط ، بل يعمل على تدقيق و تحليل

١ - السمرة ، العقاد دراسة ادبية ، ص ١٦ - ١٩ .

٢ - مندور ، محمد ، نقد النقاد المعاصرون ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٦٨ .

٣ - السداني ، علي خالد ، منهج العقاد في دراسة الشخصيات الاسلامية ، المكتبة المصرية ، القاهرة ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م ، ص ١٥٩ .

٤ - الديدي ، عبقرية العقاد ، ص ١٤٥ .

٥ - هيكل ، شوقي علي ، التعريف بالعقاد ، جمعية العقاد الادبية ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م ، ص ١٦٥ - ١٦٧ .

في الحقائق النفسية و الاجتماعية و ملاحظة مقتضيات البيئة و السلوك الانساني و الجماعي حتى يصل بذلك الى تقرير صحيح عن تلك الشخصية المترجم لها (١) .

و بدأ العقاد في كتابته للعقريات من جانب الدفاع عن العظمة كما أراد هو دور، لذا حشدّ الاثباتات والأدلة والشواهد التي تبين صدق إدعائه و قضيته في ما يبحث عنه ، حتى اطلق عليه البعض لقب " محامي العظماء "، وبذلك تمكن من أن يختط منهجاً جديداً بعيداً عن المنهج الطبيعي القائم على سرد اجوف للأحداث و مراحل الحياة يجعلها جامدة (٢) .

وهناك من يسمي منهج العقاد في عقرياته بـ : " المنهج الجواني في كتابة السير و التراجم " و يقصد به هو المنهج الذي يعتمد النظر في اللباب و الجوهر ، ولا يقف عند الاعراض و القشور وهذه مقدرة خاصة أشتهر بها العقاد (٣) .

وعادة العقاد التي جرى عليها في كتابة السير هو عدم اعتماده على استخراج الحقائق و الوقائع من كتب السيرة فقط ، بل تجاوز ذلك لأنه يعلم ان تلك الوقائع اصبحت معروفة لدى الناس ، وانما استخدم تلك الوقائع استخداماً جديداً فاستخرج منها معاني اخرى ، فلم يقبل بالسير خلفها لتقوده شأنه شأن اكثر الرواة ، انما تناول هو زمامها و عمل على قيادتها بيدين من التفكير المستقيم و المنطق السليم في طريق كله نور و ضوء (٤)

كما أمتاز منهجه بميله الى التكرار ، حيث يكرر بعض الحوادث التاريخية بين كتاب و آخر و أحياناً يعيد بعض أقواله في الكتاب ذاته .

و روايته للأحداث التاريخية كانت ذات طابع قصصي أدبي ، كما أمتاز باستخدام الاساليب البلاغية ك (السجع) .

أيضا امتازت كتاباته بربط الماضي بالحاضر و طرح بعض المقارنات بين الشخصيات التاريخية القديمة التي يتناول دراستها و بين شخصيات تاريخية حديثة ، كما و أمتاز بعد أتباعه التسلسل الزمني في الحوادث التاريخية .

١ - تيمور ، محمود ، العقاد كما اراه ، الهلال ، القاهرة ، العدد الرابع ، ١ ابريل ١٩٦٧ \ ٢١ ذو الحجة ١٣٨٦ ، ص ٢٧ .

٢ - الحجامي ، خيرالله حسين عبيس ، عباس محود العقاد دراسة في نشاطه السياسي و منهجه في الكتابة التاريخية (١٨٨٩ - ١٩٦٤ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل كلية التربية للعلوم الانسانية ، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م ، ص ١٨٥ .

٣ - امين ، عثمان ، نظرات في فكر العقاد ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٧٤ .

٤ - البيومي ، محمد رجب ، النهضة الاسلامية في سير اعلامها المعاصرين ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ١ / ٥٦٣ .

خامساً : مواردہ :

. كما و نرى ان منهج العقاد قد أمتاز بعدم ذكره المصادر التاريخية التي أعتمد عليها الا ما ندر ، ،اي انه لم يكن يذكر الموارد التي اعتمد عليها في تأليف كتبه غالباً ،حيث نجده في كتاب عبقرية محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلي (عليه السلام) لم يذكر المصادر التي أعتمد عليها ، لكن الامر أنعكس في كتاب فاطمة الزهراء و أبو الشهداء حيث بدأ بذكر بعض المصادر و ينقل الروايات بأسانداها الى صاحب الكتاب الذي نقل عنه .

و أيضا كان يكثر من نقل آراء المستشرقين و ينتقدهم في الوقت ذاته لكنه دون أن يذكر اسم ذلك المستشرق . وكان يكثر من استخدام الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية لكنه كان شديد الحرص على مراجعة هذه الآيات و الاحاديث النبوية و كذلك الابيات الشعرية التي تتخلل دراسته (١) .

سادساً : اسباب تأليف العقاد للعبقريات :

يمكن تلخيص تلك الاسباب بما يلي :

- ١- سوء الفهم التي ينتج عن المنازعات التي تحدث بين رجال الدين و رجال العلم منذ " النهضة العلمية الحديثة " و ينتج عن سوء الفهم هذا تضرر دعاة الاديان و المصلحون ، مما يؤدي الى اختلاط صورهم بأذهان الناس في صور رجال دين سلبيين يعارضون كل تطور و تقدم ، و من هؤلاء هم العباقرة الذين ترجم لهم .
- ٢- " سوء فهم الديمقراطية جعل بعض الناس يتصورون أن المساواة القانونية تلغي الفوارق الطبيعية و أن الثورة على الرؤساء المستبدين معناها الثورة على كل ذي مكانة عظيمة " .

١ - العقاد، من آخر كلمات العقاد ، ص ٤ .

٣- " الشيوعية باعتبارها في نظر العقاد تنفي عن الاشخاص قيمتهم و تعد المجتمع صاحب الفضل في كل قيمة فهو الذي يصنع الرجال و ليس العكس و بالتالي تلغي الشيوعية البطولة و العصامية التي تلوث العظمة " (١) .

٤- ايمان العقاد بعبرية الاشخاص الذين ترجم عنهم و ذلك لأنه " يرى ان كل ما شاهدته البشرية انما هو من صنع هؤلاء العباقرة الذين أثروا حياة الناس ، ولم يكن لها التقدير الجليل بعطائها المتجدد ، ولا يسمح لها بالكبوة و الانزلاق الى مواطن الضعف و السقوط و كل العباقرة الذين يتحدث عنهم لا يعرفون الضعف ، و رأى فيهم الكمال البشري ، الذي يعلو عن النقائص و الانحدار " (٢) .

بمعنى آخر أن العقاد شرع في تأليف عبقرياته من أجل ابراز عظمة الاشخاص الذين ترجم عنهم قبل أن تندثر عظمتهم بفعل الاسباب أعلاه .

سابعاً : الانتقادات الموجهة للعقاد في كتابة العبقريات :

اتهم العقاد بأنه كان في عبقرياته متأثر بمفهوم السوبرمان لدى نيتشه، و مفهوم البطولة عند كارليل ، لكن العقاد يجيب على ذلك بنفسه في لقاء صحفي معه حيث قال : لم اكن معجباً قط بفلسفة نيتشه ، ولم اكن مؤمناً بسوبرمانه ، وكذلك بطل كارليل لم يكن مثلي الاعلى عند تقديري للعظماء، وبهذا فرق العقاد بين عبقريته و بين مفهوم السوبرمان عند نيتشه ، و البطولة عند كارليل (٣) .

كما قيل أن العقاد بتأليفه للعبقريات لم يقدم انتصاراً للإسلام ، لأنه كتب ما كتب من اجل العظمة والانسانية و أرخ للفردية ، لأنه كتب عن المرسلين المصلحين و الصديقين كما كتب عن " بنيامين فرانكلين و غاندي " ، كما امتاز بالاعتماد على النصوص الضعيفة و غير الصحيحة ، و ايضا كان يتكلم من تلقاء نفسه من غير دليل سواء كان صحيح او غير صحيح (٤) .

وذهب بعضهم بالقول ان كتابة العقاد للعبقريات لم تكن بدافع التأثر الروحي ، بل يرجع الى طبيعة العصر الذي عاش فيه العقاد الذي كانت فيه الجماهير المصرية تسير منقادته خلف

١ - البديوي ، محمد ، أوام العقاد في العبقرية ، دار المعارف ، تونس ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ١١ - ١٢ .

٢ - السداني ، خالد ، منهج العقاد في دراسة الشخصيات الاسلامية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ١٢١ .

٣ - ، حداد على العقاد ، مجلة مصر ، القاهرة ، العدد ٨٨ ، ١ ابريل ١٩٦٤ م ، ص ١ - ٢ .

٤ - القصاص ، محمد بن جلال ، عمالة عباس العقاد للفكر الغربي ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص ١١٣ - ١١٩ .

علمائها و ابطالها^(١) . كما وتعرض العقاد للهجوم من بعض النقاد حول منهجه في كتابة العبقریات و السير و التراجم ، حيث قالوا أن أسلوبه في الكتابة كان غالباً عليه الاسلوب الانفعالي و كذلك طابع التبرير و الدفاع ، فأبتعد بذلك عن المنهج العلمي ، لكن لابد من احقاق الحق و انصاف العقاد فإنه – اي العقاد- لم نجده قد حاد عن الحق في تلك العبقریات و التراجم ، و انه لم يلق فيها فكرة ما دون برهان مقنع ، بل وجدناه يؤيد جميع أقواله بالشواهد التاريخية ، و لكن من الانصاف للعقاد أن نسمي تلك النزعة ليس انفعاليه بل تأكيداً^(٢) .

ثامناً : وفاته :

كان سبب وفاة العقاد هو ضعف القلب الذي بدأ يشكو منه حتى سئم الحياة و بدأ يقول :
" أن القلب الذي لا يتحمل العقاد ، فإن العقاد لا يتحملة " ^(٣) .

فكانت وفاته سنة ١٩٦٤ م في ١٣ مارس و كان قد بلغ الخامسة والسبعين من عمره بعد رحلة طويلة في الشعر و الادب و النقد ^(٤) .

و قررت الحكومة المصرية في بادئ الامر دفنه على نفقتها و أقامت له ضريح في أسوان مسقط رأسه تمييزاً و تكريماً لهذه الشخصية الكبيرة ، لكن الآمال خابت عندما قام ابن أخيه عامر العقاد مراجعة محافظ أسوان لتطبيق وعد الحكومة الذي قد مضت شهور على قرارها ، لكن المحافظ فاجأ و فد أسرة العقاد برده الذي قال : " أنا لا أنفق أموال الشعب على الموتى " ^(٥) .

تاسعاً : مؤلفاته وماهيتها :

لقد ألف العقاد مؤلفات عدة شملت جوانب مختلفة من الحياة ، يكاد يكون طرق ابواب العلوم و المعارف جميعها السياسية و الدينية والعلمية و الثقافية ، و من أبرز هذه المؤلفات هي:

- ١- السداني ، منهج العقاد في دراسة الشخصيات الاسلامية ، ص ٨٠ .
- ٢- العقاد ، عباس محمود ، عبقرية الصديق ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، (د.ت) ، ص ٤ - ٦ .
- ٣- منصور ، في صالون العقاد ، ص ٦١٦ .
- ٤- سيف ، نبيل ، بعد ٥٤ عاما من رحيله اللحظات الاخيرة في حياة العقاد ، جريدة الاهرام ، مصر ، ٤ شعبان ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨ ابريل ، العدد ٤٨١٣٠
- ٥- جريدة الراية ، الدوحة الجمعة ٢٩ / ٦ / ٢٠١٢ .

- ١- ابليس .
- ٢- ابن الرومي .
- ٣- ابو الانبياء الخليل ابراهيم .
- ٤- ابو الرشد .
- ٥- ابو الشهداء الحسين بن علي .
- ٦- ابو نؤاس الحسن بن هانئ .
- ٧- اثر العرب في الحضارة الاوربية .
- ٨- الاسلام في القرن العشرين .^(١)
- ٩- الاسلام و الاستعمار .
- ١٠- اشباح الاصيل .
- ١١- اشقات مجتمعات في اللغة و الادب .
- ١٢- اشجان الليل .
- ١٣- اعاصير مغرب .
- ١٤- اعاصير مغرب^(٢) .
- ١٥- افيون الشعوب .
- ١٦- الانسان الثاني و المرأة .
- ١٧- الانسان في القرآن الكريم .
- ١٨- برنارد شو .
- ١٩- بعد الاعاصير .
- ٢٠- بنيامين فرانكلين .
- ٢١- بين الكتب و الناس .
- ٢٢- تذكاري حيتي .
- ٢٣- التعريف بشكسبير .

^١ - هيكل ، التعريف بالعقاد ، ٥٨ - ٥٩ .
^٢ - الحلوجي ، عباس محمود العقاد ، ص ١٣١ - ١٣٥ .

- ٢٤- التفكير فريضة اسلامية .
- ٢٥- الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان العبريين .
- ٢٦- جحا الضاحك المضحك .
- ٢٧- جميل بثينة .
- ٢٨- جوائز الادب العالمية " جائزة نوبل " (١) .
- ٢٩- حقائق الاسلام و اباطيل خصومه .
- ٣٠- الحكم المطلق في القرن العشرين .
- ٣١- حياة المسيح في التاريخ .
- ٣٢- خلاصة اليومية .
- ٣٣- داعي السماء بلال بن رباح .
- ٣٤- الديمقراطية في الاسلام .
- ٣٥- ديوان العقاد .
- ٣٦- ديوان من دواوين .
- ٣٧- ذي النورين عثمان بن عفان .
- ٣٨- رجال عرفتهم .
- ٣٩- رجعة ابي العلاء .
- ٤٠- الرحالة .
- ٤١- رواية تمييز في الميزان .
- ٤٢- روح عظيم " المهاتما غاندي " .
- ٤٣- ساره " رواية " اليد القوية في مصر (٢) .
- ٤٤- ساعات بين الكتب .
- ٤٥- سعد زغلول .
- ٤٦- سن ياسن ابو الصين .
- ٤٧- شاعر الغزل عمر بن ابي ربيعة .
- ٤٨- شاعر اندلسي و جائزة عالمية .

١ - هيكل ، التعريف بالعقاد ، ص ٦٠ - ٦٢ .

٢ هيكل ، التعريف بالعقاد ، ص ٥٦ - ٥٨ .

- ٤٩- الشذور .
- ٥٠- شعراء مصر و بيئاتهم في الجيل الماضي .
- ٥١- الشيخ الرئيس ابن سينا .
- ٥٢- الشيوعية و الانسانية .
- ٥٣- الصديقة بنت الصديق " عائشة " .
- ٥٤- الصهيونية العالمية .
- ٥٥- عابر سبيل .
- ٥٦- عالم السودان و القيود .
- ٥٧- عبقرية الاصلاح " محمد عبده "
- ٥٨- عبقرية الامام رضي الله عنه .
- ٥٩- عبقرية الصديق .
- ٦٠- عبقرية المسيح .
- ٦١- عبقرية خالد .
- ٦٢- عبقرية عمر .
- ٦٣- عبقرية محمد .
- ٦٤- عرائس و شياطين .
- ٦٥- عقائد المفكرين في القرن العشرين .
- ٦٦- على الاثير .
- ٦٧- عمرو بن العاص .
- ٦٨- فاطمة الزهراء و الفاطميون .
- ٦٩- فرنسيس بيكون مجرب العلم و الحياة .
- ٧٠- الفصول .
- ٧١- فلاسفة الحكم في العصر الحديث .
- ٧٢- فلسفة الثورة في الميزان .
- ٧٣- فلسفة الغزالي .
- ٧٤- الفلسفة القرآنية .
- ٧٥- في بيتي .

- ٧٦- القائد الاعظم محمد علي جناح .
 ٧٧- القرن العشرون .
 ٧٨- لا شيوعية و لا استعمار .
 ٧٩- اللغة الشاعرة .
 ٨٠- الله جل جلاله .
 ٨١- ما يقال عن الاسلام .
 ٨٢- ما يقال عن الاسلام .
 ٨٣- مجمع الاحياء .
 ٨٤- المرأة في القرآن .
 ٨٥- مراجعات في الاداب و الفنون .
 ٨٦- مطالعات .
 ٨٧- مطالعات في الكتب و الحياة .
 ٨٨- مطلع النور^(١) .
 ٨٩- معاوية في الميزان .
 ٩٠- النازية و الاديان .
 ٩١- هتلر في الميزان .
 ٩٢- هدية الكروان .
 ٩٣- هذه الشجرة .
 ٩٤- الوان من القصة القصيرة في الادب الامريكي .
 ٩٥- وحي الاربعين .
 ٩٦- وهج الظهيرة .
 ٩٧- يسألونك .
 ٩٨- يقظة الصباح .
 ٩٩- يوليو و ضرب الاسكندرية .

١ - الحلوجي ، عبد الستار عبد الحق ، عباس محمود العقاد نشرة ببليوجرافيا بآثاره العلمية ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ص ٨٣ .

١٠٠- اليوميات .

وهناك الكثير من المؤلفات التي اشترك فيها مع غيره ابرزها :

- ١- الديوان " جزاءن " اشترك فيه مع ابراهيم المازني .
- ٢- محمد اقبال
- ٣- الشيوعية اليوم و غداً
- ٤- الشيوعية و الاسلام
- ٥- علمتني الحياة
- ٦- الادباء الخمسة
- ٧- شاعر الهند " رابندرات طاغور "
- ٨- الكتاب الثلاثة
- ٩- غاندي " حياته و جهاده و تعاليمه "
- ١٠- الحرب بعد اثني عشر شهراً و ستة اسابيع
- ١١- عصاميون عظماء من الشرق و الغرب
- ١٢- اسماعيل " بمناسبة مرور خمسين عام على وفاته " بالاشتراك مع حسين فوزي و آخرون .
- اشترك فيه مع ابراهيم المازني .
- مع محمد حسين هيكل و اخرون .
- اشترك فيه مع عبد الملك عودة و اخرون .
- مع احمد عبد الغفور^(١) .
- اشترك فيه مع محمد حسين هيكل .
- اشترك فيه مع ولي الدين و المنفلوطي و غيرهم .
- اشترك فيه مع طه حسين و آخرين .
- اشترك مع ولي الدين و المنفلوطي
- مكتب الهند في القاهرة .
- بالاشتراك مع ابراهيم المازني .
- بالاشتراك مع محمد فريد .

و في ختام كلامنا هذا يتضح لنا المنزلة العظيمة التي نالها اصحاب الكساء عليهم السلام في كتاب الله و سنة النبي ، وهذا المنزلة العظيمة هي التي دفعت العقاد لتأليف هذه المؤلفات بحقهم .

^١ - الحلوجي ، عباس محمود العقاد ، ص ١٣٦ .

توطئة :

يعتبر كتاب (عبقريه محمد صلى الله عليه) هو الحلقة الاولى لسلسلة عبقریات التي ألفها العقاد ذاكراً ابرز الشخصيات الاسلاميه وابتدأها بأعظم هذه الشخصيات ، وهو حبيب الجليل وحامل رسالة الحق المبين حبيب الله محمد (ﷺ).

ابتدأ العقاد كتابه ذاكراً مولد الرسول ونشأته ومجتمعه قبل النبوة ، ثم انتقل بعد ذلك الى نزول الوحي وكيفية تلقي الرسول لهذه الدعوة واستقبال اهله وعصبته في هكذا امر . ثم ينتقل بعد ذلك ليبين دور الرسول لنشر الدعوة ، وكذلك دوره القيادي في الوقوف بوجه كل من يحاول صدعه عن نشر دين ربه .

ثم تدرج العقاد في كيفية تمكن الرسول من مواجهة أعداء دعوة الله تعالى ، وكيف تصرف بعبقرية جبارة في تأسيس دولته الاسلاميه التي لايزال صداها قائماً في أذهان العالم . تعرض العقاد لذكر مجموعة من العبقریات التي تركت اثراً مهماً على الصعيد التاريخي والديني بل كل الأصعدة على السواء ، ومن تلك العبقریات التي أكثرها أثراً في المجتمع بلا منازع هو كتابه الموسوم بـ عبقرية محمد (ﷺ) وهو موضوع الدراسة

فيقول العقاد: " ان عمل محمد لكاف جد الكفاية لتحويله المكان الاسمي من التعظيم والاعجاب والثناء انه نقل قومه من الايمان بالأصنام الى الايمان بالله ، ولم تكن اصناماً كأصنام اليونان يحسب للمعجب بها ذوق الجمال ان فاتته يحسب لها هدى الضمير . ولكنها اصنام شائهاً كتعاويذ السحر التي تفسد الاواق ، فنقلهم محمد من عبادة هذه الدمامة الى عبادة الحق الاعلى " (١).

وهنا لنا وقفة عند هذه الجملة ، فيذكر العقاد في بداية كلامه أن عمل محمد لكاف جد الكفاية لتحويله المكان الاسمي ، والكاتب هنا تطرق الى ذكر أسم الرسول (ﷺ) دون ذكر الالقاب والكنى للرسول أو حتى الصلاة عليه .

١- عباس محمود ، عبقرية محمد ، (د.ط) ، دار كتاب للنشر والتوزيع ، (د،ت) ، ص ٩.

وهنا نرى أن لذلك عدة أسباب منها :

١- تعظيماً له لأن في أسماء العظماء عادة الكفاية دون الحاجة للأطناب ، وهذا ما يؤكد قوله : " لتحويله المكان الاسمى " من التعظيم والاعجاب .

٢- إن العقاد كان من المعجبين بالرسول أيما اعجاب به وبرسالته ودوره الفعال في نشر الدعوة وتأسيس الدولة الاسلامية ، حتى أن شدة أعجابه واضحة جداً من حديثه في الكلام .

ثم يبين العقاد في مقدمة كتابه المناسبة التي بدء بها في تأليف كتابه ، او الحادثة التي دفعته لتأليفه ، موضحاً أن الفكرة جاءت متزامنة مع ميلاد الرسول (ﷺ) وذلك عندما كان حاضراً لاحتفال اقيم في المولد الشريف مع رهط من الاصدقاء المشتغلين بالأدب .

وكان محور الحديث هو الكاتب الانجليزي توماس كارليل صاحب كتاب الابطال^(١)، الذي عقد فيه فصلاً عن النبي محمد (ﷺ) وجعله أنموذج البطولة النبوية بين ابطال العالم الذين اختارهم للوصف والتدليل^(٢) .

ولم يكن توماس هو الوحيد الذي ألف كتاباً وقدم فيه النبي (ﷺ) على عظماء العالم ، فهذا مايكل هارت قد ألف كتاب بعنوان (الخالدون المائة) وجعل النبي (ﷺ) الرقم الاول من هؤلاء المائة الذين اختارهم حسب أسس أعتمد عليها لاختيارهم وقال: " لقد اخترت محمداً (ﷺ) في أول هذه القائمة"^(٣)

وفي أثناء الحديث عن توماس كارليل وتذاكر آراءه ومواقف ثنائه على النبي (ﷺ) ، اذ بدرت من أحد الحاضرين الغرباء كلمة نابية غضبنا لها واستنكرناها لما فيها من سوء الادب وسوء الذوق وكان الفتى الذي بدرت منه الكلمة متحذلق يتظاهر بالمعرفة ويحسب التناول على الانبياء من لوازم الاطلاع على الفلسفة والعلوم الحديثة ، فكان مما قاله فحواه ان بطولة محمد انما هي بطولة سيف ودماء ، رد العقاد قائلاً : " ويحك ... ما سوغ السيف احد كما سوغته انت بهذه المقولة النابية"^(٤) وهي خلاف لما عرف عنه (ﷺ)

١ - كتاب الابطال : وهو الكتاب الذي ألفه الكاتب الاسكتلندي الشهير توماس كارليل والذي أمتاز الكتاب بشرحه عبادة البطولة وتقديس عظماء الرجال وتضمن فصلاً كاملاً عن الحبيب المصطفى (ص) ، ينظر : كارليل ، توماس ، الابطال ، ترجمة محمد السباعي ، ط ٣ ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ، ص ١١ - ١٦ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٣- ٤ .

٣ - هارت ، مايكل ، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله (ص) ، ترجمة أنيس منصور ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة ، ص ١٣ .

٤ - عبقرية محمد ، ص ٤ .

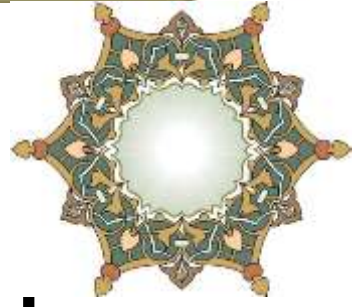
من سعة صدره ورقة قلبه وما كانت حروبه الا لدوافع اضطرارية كضرورة الدفاع عن العقيدة وحرمان المسلمين وأعراضهم ، وتأمين سبل الدعوة لذا نرى الرسول (ﷺ) قبل كل قتال يأمر أمير سريته ان يدعو عدوه قبل القتال أما الى الاسلام والهجرة الى بلاد المسلمين او الإسلام مع البقاء في بلاده ويكونوا كأعراب المسلمين ليس لهم في الفء نصيب او بذل الجزية ، فأن اجابوه قبل منهم والا استعان بالله وقاتلهم .

مما دفع بعض ممن سمع كلام هذا الفتى الى الطلب من العقاد بتأليف كتاب حول النبي (ﷺ) على النمط الحديث ، فقال العقاد ((افعل ... وأرجو ان يتم ذلك في وقت قريب)). ولكنه لم يتم الا بعد ثلاثين سنة . وشاءت المصادفة العجيبة ان يتم فصوله في مثل الايام التي سمع فيها الاقتراح لأول مرة . فكتب السطر الاخير فيه يوم مولد النبي على حسب الشهور الهجرية (١) .

فيقول العقاد : وانفقت هذه المصادفة على غير تدبير مني ولا من احد. لأنني لم أدبر لنفسي أوقات الفراغ التي تهيأ لي اتمام فصوله وتقسيم العمل فيه يوماً بعد يوم. فأني لو كتبتة يومئذ لعدت الى كتابته الان من جديد واحتجت الى السنين الثلاثين أضيف خبرتها وقراءتها الى محصول ذلك العمر الباكر... اذ هو عمر يستطيع المرء ان يمتلئ فيه اعجاباً بمحمد ، وضح العقاد بان كتابه ليس شرحاً للإسلام أو لبعض أحكامه ، أو دفاعاً عنه ، أو مجادلة لخصومه.. فهذه أعراض مستوفاة في مواطن شتى ، يكتب فيها من هم ذوّها ولهم دراية بها ، انما الكتاب تقدير لعبقريّة محمد (ﷺ) بالمقدار الذي يدين به كل انسان ولا يدين به المسلم وكفى ، وبالحق الذي يثبت له الحب في قلب كل انسان ، وليس في قلب كل مسلم وكفى (٢) .

١ - عبقريّة محمد ، ص ٥ .

٢ - عبقريّة محمد ، ص ٥ - ٧ .



الفصل الاول

الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)
في تراث عباس محمود العقاد



المبحث الاول

عبقرية النبي محمد (ﷺ) الاجتماعية في فكر العقاد

قبل الخوض في عبقرية محمد (ﷺ) الاجتماعية ودوره الحكيم في بناء مجتمعه الاسلامي الذي لايزال صده مدوياً، وجب علينا الرجوع الى جذور طبيعة المجتمع الذي عاشه النبي قبل البعثة ، وبالتالي نستطيع أن نلاحظ عبقرته واضحة جلية في النهوض من أحضان ذلك المجتمع البائس الى مجتمعه الذي أسسه وفق تعاليم السماء .

يبدأ العقاد كلامه بالحديث عن المجتمع الذي عاش فيه الرسول (ﷺ) والذي وصفه " بأنه عالماً متداعياً قد شارف النهاية .. خلاصة ما يقال فيه أنه عالم فقد العقيدة كما فقد النظام ، أي أنه فقد أسباب الطمأنينة في الباطن والظاهر، طمأنينة الباطن التي تنشأ من الركون الى قوة الغيب تبسط العدل وتحمي الضعيف ... وطمأنينة الظاهر التي تنشأ من الركون الى دولة تقضي بالسرعة وتفصل بين البغاة والابرياء " هذا داخلياً^(١) .

اما خارجياً فلم يكن الحال بأرحم من اعلاه فالدولة البيزنطية خرجت من الدين الى الجدل العقيم ، الذي أصبح بعد ذلك علماً وتضاءلت سطوتها في البر والبحر حتى طمع فيها من كان يحتمي بها ، أما بلاد فارس فقد سخر فيها المجوس من دينهم ، وفيما يخص الحبشة فضائعة بين الاوثان المستعارة من الحضارة تارة والهمجية تارة أخرى^(٢) .

وبين هذه الدول ذات الاحوال المستعصية كانت هناك أمة ليست بدولة ، ولكن تهيأ نفسها للإقامة دولة، وهي أمة العرب أمة انتبعت لوجودها وعرفت مكانتها ، وعرفت شأنها بين من يحذقون بصحرائها ، فرأت أن المحيطين بها يحاولون اخضاعها وابتلاعها^(٣) .

أن هذا الوصف الخطير الذي عاشته أمة العرب قبل البعثة من أوضاع داخلية يفقد فيها الضعيف حقة في العيش في ظل سطوة المترفين من ذوي الطمع والجأش وفقدان الامن والنظام الذي تحتاج اليه النفس البشرية ، لكن هذه الاوضاع التي كانت تعيشها هذه الامة لم تكن مغايرة للأوضاع المحيطة بها .

١ - عبقرية محمد ، ص ١١ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١١ ؛ الشحود ، علي بن نايف ، المفصل في الرد على الحضارة الغربية ، (د.ب.ط) ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١ م ، ٣ / ٣١٢ .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٢ .

يمكن القول ان كل العالم كانت احواله تسير الى الهاوية ، نتيجة لابتعادهم عن قوانين السماء وتركهم الانبياء والاتجاه الى طرق غير مشروعة ؛ بحثاً عن ملذات الحياة ، أي ان العالم كان مهياً لظهور نبي اخر الزمان، لإنقاذهم من عمى الظلام ؛ فببزنطة خرجت من نصرانيتها وضعفت قوتها ولم يكن المجوس والحبشة افضل حالاً منها . فهنا بدأت امة العرب بالنهوض من واقعا بعد اضطرابها داخليا، وتوجه انظار المحيطين بها من أجل الايقاع بها كل من بيزنطة وفارس والحبشة ، لما تزخر بيه من موارد ، وسطوتها على طرق التجارة العالمية طريق اليمن والشام ، فضلا عن واجهتها الدينية بوجود بيت الله الحرام فيها^(١) .

ان هذا الاضطراب الذي يعيشه المجتمع قد بدى واضحا عليهم ، فمنهم من بدأ بانتقاد حياتهم ودينهم وكان ذلك ظاهرا في اجتماعاتهم .

ومثال ذلك ما ينقله العقاد عند اجتماع اناس من أهل الرأي يذكرون العقيدة وطمأنينة الضمير ، فهتف هاتف بينهم يبين لهم سوء ما هم عليه ، وذلك عندما اجتمعوا بنخلة لأحياء عيد العزى فقال رجل منهم لآخوته " والله ما قومكم على شيء وانهم لفي ضلال ، فما حجر نظيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ومن فوقه يجري دم النور . يا قوم التمسوا لكم ديننا غير هذا الدين الذي انتم عليه " ، ثم تفرقوا فمنهم من تنصر ومنهم من اعتزل الاوثان ، ومنهم من استمر على عبادته حتى ظهور الاسلام فأستجاب لدعوته^(٢) . ومن هؤلاء ورقه بن نوفل^(٣) الذي تنصر وسمع دعوة النبي فيما بعد^(٤) .

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٢ .

٢ - ابن حبيب ، محمد بن حبيب بن امية بن عمرو الهاشمي ابوجعفر البغدادي (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م) ، المنمق في أخبار قريش ، تح: خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٤١ ؛ هارون ، عبد السلام ، تهذيب سيرة ابن هشام ، (د.ط.) ، (د.ت) ، ص ٦٢ .

٣ - ورقة بن نوفل : بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو أبن عم خديجة بنت خويلد زوج النبي (ص) وقد قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبي (ص) وانه نبي هذه الامة : ينظر : المسعودي ، ابوحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح: اسعد داغر ، قم ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ١ / ٢٥ .

٤ - الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ، تاريخ الامم والملوك ، ط٢ ، دار التراث ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ١ / ٣٩٠ ؛ المطهر ، المطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٥م) ، البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة العربية ، بورسعيد (د.ت) ، ١ / ٢٢٨ ؛ العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) ، الاوائل ، دار البشير ، طنطا ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٥ ؛ ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، تح: محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ١ / ١٩١ ؛ ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ، الكامل ، تح: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ١ / ٥٣٩ .

فهذه الحادثة التي ينقلها العقاد إنما هي دلالة واضحة على الاضطراب الكبير الذي كانوا يعيشونه قبل الاسلام ويشعرون به ، مما دفع أحدهم للقول الصريح وانتقاد معتقداتهم الدينية ، والاعتراف بأنهم لم يمتوا للصواب بشيء ، هذا دفع بعض من عقلائهم بالتفكير والبحث عن طريق الصواب والدين الامثل ، فمنهم من اتبع الديانة السماوية النصرانية ، ومنهم من اختار البقاء على ما هو عليه بحثاً عن الدين الامثل ، وبعضهم الآخر من شكى وبحت عن وازع من الضمير ووازع من السلطان ، فاجتمعت بنو هاشم وبنو زهرة وتيم تعاهدوا باسم الله المنتقم لنصرة المظلوم حتى يؤتى حقه ، وذلك هو حلف الفضول الذي شهده النبي (ﷺ) في شبابه وقال عنه " ما أحب أن يكون لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم " (١).

وكان (ﷺ) يصف هذا الحلف فيقول : "ولو دعي به في الاسلام لأجبت" ، ومن هنا نرى مدى القلق وحالة عدم الاستقرار التي شعرت بها أمة العرب ، لذا هرعت الى عقد الاحلاف للحفاظ على حياة المظلومين في مجتمع غابت فيه الرحمة ، وطغى فيه نفوذ أصحاب المال والنسب ، فسيطروا على مصير الناس وحياتهم الا من كانت له عشيرة تسنده، أو حلف يضمه ، وما حلف الفضول الا دليل على كثرة المظلومين الذين احتاجوا النصرة .

نسبه و نشأته :

ومن بين ذلك المجتمع القرشي الذي كان منقسماً بين أصحاب الترف والطمع وأصحاب التقوى والسماحة كان هناك بيت من تلك الشعبة امتاز بكرم النسب الشريف ، وليس له لؤم الثروة الجامحة والقسوة على المحرومين ، ذلك هو بيت عبدالمطلب من صميم قریش ومن كبار زعمائها ، ولم يعد هذا البيت معدوداً من اثرياء تلك القبيلة القرشية في تلك المدة

^١ - اليعقوبي ، احمد ابن اسحاق بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) ، تاريخ اليعقوبي ، تح: محمد صادق بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ٢ / ١٣ ؛ السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد السهيلي (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥م) ، الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تح: عمر عبدالسلام السلامي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م ، ١ / ٦٤ ؛ ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م ، ٢ / ٦٩٦ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون ابو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، تح: خليل شحادة ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م ، ص ٣ .

وكان على رأس هذا البيت وعميده عبد المطلب رجل قوي الايمان وعظيم الخلق ، حكيم مع قوة طبعة وشدة ايمانه ، خليق أن ينجب العقب الذي يبشر بدعوة وينضح عن دين (١) .

ومن رواية العقاد هذه يتوضح لنا إن عبدالمطلب الذي كان على علم ويقين بأنه مصلح الامة ونبيها من ذراريه .

"فنذر لئن عاش له عشرة بنين لينحرن أحدهم عند الكعبة " لكن أحله قومه من هذا النذر وأحلتها العرافة فأبى أن يتحلل حتى يرضى ربه ويرضى ضميره ، سألتهم العرافة : "كم الدية فيكم " .

قالوا : "عشرة أبل "

قالت " فتقربوا أذن بعشرة من الابل واضربوا على الفتى وعليها بالقداح ، فأن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم "فما زالوا يزيدون حتى بلغت الابل مائة وخرجت القداح عليها و فهتفت قريش بعبد المطلب لقد رضى ربك .. فأطلق فتاك " ، لكن عبدالمطلب ابى الا أن يضرب القداح عليه ثلاث مرات ثم بعد ذلك نحر الابل فداء عن ولده ورضى لربه فقدمها للجياح والسباع (٢) .

وفعلا قد ولد له عشرة نفر وستة نسوة تذكر أسمائهم المصادر وهم (العباس وحمزه وعبدالله و ابا طالب والزبير والحارث وحجلاً والمقوم وضراراً وأبا لهب) (٣) .

فيذكر أحد المؤرخين أن عبدالمطلب هو أول من سن الدية مائة أبل (٤) .

و نرى أن طبيعة المجتمع الذي كان يعيشه العرب في تلك الفترة وقياس قوة الفرد على حسب ما يملكه من المال والبنين (الذكور) ، هي التي دفعت عبد المطلب لأطلاق هكذا نذر كان من الصعب أن يتحلل منه ، لكنه بفضل حكمته ودرايته تمكن من التحلل منه بتلك الحادثة العجيبة التي فعلها حتى أحل ولده من نذره وأصبحت الدية السائدة في العرب من بعده

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٤ .

٢ - ابن سعد ، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى ،تح: محمد عبدالقادر عطا، دارالكتب العلمية ،بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ١ / ٨٨ - ٨٩ .

٣ - السهيلي ، الروض الانف ، ١ / ٢٠٩ .

٤ - علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٤ . دار الساقى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م ، ١١ / ٢٢٥ .

مائة أبل ، ولما جاء الاسلام ايضا جعل الدية عوضاً عن القتل ، فهذا امرنا يحسب لهذا الرجل العظيم .

وكان لعبد المطلب موقف غاية في الايمان بالله الواحد الاحد ، اذ جاء القائد الحبشي أبرهة ليهدم الكعبة ويسطو على الابل . فطلب منه عبدالمطلب أن يرد أبله ، فقال له ابرهه مقال السياسي المحرج المداور بالكلام : "أراك تسأل عن أبلك ولا تسأل عن الكعبة " ، لكن عبد المطلب اجابه جواب المؤمن الحكيم : "أما الابل فأنا ربها ، واما البيت فله رب يحميه" (١) . فكان ايمان عبد المطلب كفاً للسياسة ولم يكن ايمان العجز والاستسلام والتواكل ، فمن كان له هذا الايمان وهذا الخلق والضمير وهذه الرئاسة ، فليس من العجب أن ينجب نبياً في زمان يتطلع الى الانبياء ، ومكان مهياً لظهورهم دون اي مكان ، بل العجب أن يكون الامر غير الذي كان .

حتى قيل أن عبد المطلب اخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستتصرونه على ابرهه وجنده ، فقال عبد المطلب وهو اخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان العبد يمنع رحله

فأمنع حلالك

لا يغلبن صليبيهم

ومحالهم غدوا محالك

أن كنت تاركهم وقبلتنا

فأمر ما بدالك (٢)

فأن دل هذا على شيء فيدل على قوة ايمان عبدالمطلب برب السماء ، وليس بأصنام قريش هبل واللات والعزى ، وما لهذه الكلمات من سرعة استجابة ومعجزة بالغة أذهلت ابرهه وجنوده .

واذا كان عبد المطلب جداً صالحاً لنبي كريم ، فأن عبدالله كان نعم الاب لذلك النبي الاكرم ، كان والد النبي بضعة من عالم الغيب ، أرسلت الى هذه الدنيا لتخلف فيه نبياً وهي لا تراه . ثم تعود (٣) . ومن هذا الكلام يترأى لنا ان العقاد يذهب الى ايمان والد النبي بالله الواحد وليس الى تكفيره كما فعلت طائفة من المسلمين وتستند بقولها الى حديث الرسول

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١ / ٣٤ ؛ عبد الوهاب ، محمد ، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، وزارة الشؤون الاسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ٧٠ / ١ .

٢ - ابن هشام ، عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) ، السيرة النبوية ، تح: رضوان جامع رضوان ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ١ / ٧١ - ٧٢ ؛ الصلابي ، علي محمد ، السيرة النبوية ، ط ٧ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ؛ ١ / ٤١ .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٦ .

(ﷺ) أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفى دعاه، فقال أن أبي وإباك في النار (١) وهذا ما رواه جمال الدين العيني ونقله السيوطي عن صحيح مسلم.

وروي مسلم عن أبي هريره قال: قال رسول الله (ﷺ): "استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي" (٢)، أما الازرقى ينقل رواية عن ابو الوليد قال حدثنا محمد بن يحيى عبدالعزيز بن عمران بن محمد بن عمر عن عمر بن عبدالعزيز عن بن شهاب بن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بالأبواء فعدل الى شعب هناك فيه قبر آمنه فأناه أستغفر لها، واستغفر الناس لموتاهم أنزل الله عزوجل " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ " (٣).

لكن نجد في روايات الشيعة الامامية ما يفند هذه المزاعم ويذهب الى أيمن والدي رسول الله (ﷺ) بالله وعلى دين ابراهيم الخليل (عليه السلام) ولا يزال الجدل مستمراً حول هذا الامر .

جاء العقاد لينسف كل هذا الجدل ويبين لنا في ثنايا كلامه أن والد النبي مات مؤمناً، وأنه أرسل الى الدنيا ليعقب فيها نبياً ثم يعود الى عالمه وهو عالم الغيب لأنه بضعة منه، فكان والد النبي (ﷺ) أنسان من طينة الشهداء، هو الفتى الذي أسمه عبدالله، والذي تحدثت الفتيات في خدورهن بوسامته وحيائه، ودت المئات منهن لو ظفرن بزواج منه (٤)، وهو الفتى

١ - النووي، ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت ٦٧٦ هـ/١٢٧٧ م)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، مؤسسة قرطبة، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م، ٣ / ٩٧؛ العيني، أبو محمود محمد أبين أحمد (ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١ م)، شرح سنن أبي داود، تح: أبو المنذر خالد أبين ابراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩ م، ٦ / ١٩١؛ السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر (٩١١ هـ/١٥٠٥ م)، الديباج شرح صحيح مسلم أبين الحجاج، تح: ابو اسحاق الحويني، دار أبين عفان، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦ م، ١ / ٢٦٩.

٢ - مسلم بن الحجاج، ابو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١ هـ/٨٧٤ م)، صحيح مسلم المسند الصحيح، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ٤ / ٤٣٣.

٣ - سورة التوبة: آية (١١٣)؛ ابو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد بن محمد بن الوليد بن عقبه بن الازرق الغساني المكي (ت ٢٥٠ هـ/٨٦٤ م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار، تح: رشدي صالح ملحس، دار الاندلس للنشر، بيروت، (د.ت)، ٣ / ٢٧٥.

٤ - ابن سيد الناس، ابو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الربيعي ابو الفتح فتح الدين (ت ٧٣٤ هـ/١٣٢٣ م)، عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير، تح: ابراهيم محمد رمضان، مكتبة دار القلم، بيروت، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م، ١ / ٧٧.

الذي اقام مع زوجته ثلاث أيام ثم سافر للتجارة . فإذا هي السفرة التي لا عودة فيها وهو الفتى الذي مات غريباً، وولد له ولده الكريم وهو في التراب دفيناً^(١) .

لكن العقاد لا يعرج هنا في كتابه الى ذكر أم الرسول (ﷺ) السيدة الجليلة أمنة بنت وهب (رضي الله عنها) ، ولم يبين سبب ذلك ، ويمكن أن نعزو ذلك الى انشغاله بذكر جد النبي ووالده واهتمامه بذكر الانساب و ما تفتخر به العرب من أنساب الرجال ، أو ربما أكتفى بذكر تربية الرسول (ﷺ) في البادية لدى حليلة السعدية فكان لها الاثر الاكبر في حياته .

صفاته:

كان العالم يتطلع الى نبي ، والامة تتطلع الى نبي وبيت وقبيلة وأبوان أصلح ما يكونان لأنجاب ذلك النبي ثم ها هو ذلك الرجل الذي لا يشاركه رجل في صفاته ومناقبه ، ولا يدانيه آخر في مناقبه الفضلى التي هيأته السماء لهذه الرسالة الروحية المنتظرة في المدينة والجزيرة والعالم بأسره . نبيل عريق النسب ، ولم يكن بالوضع الخامل فيصغر من قدره في أمة الأحساب والأنساب^(٢) .

وبما أن المجتمع كان يعنى غاية العناية بالأنساب فكان نسب النبي (ﷺ) من أشرف أنساب امة العرب ، وقد بينها الله في كتابه (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)^(٣) فأبي نسب أكرم وأشرف وأطهر وأنقى وأسمى وأفضل من هذا .

قال الشامي واصفاً نسب النبي (ﷺ) : "فأشرف القوم قومهم وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الأفضاخ فخذ ص، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)^(٤) قال: من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبياً"^(٥) .

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٦- ١٧ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٦- ١٧ ؛ ابن حبيب الحلبي، الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب ابو محمد بدر الدين الحلبي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) ، المقتفى من سيرة المصطفى (ص) ، تح: مصطفى محمد الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ١٠ .

٣ - سورة ال عمران : آية (٣٣) .

٤ - سورة الشعراء : آية (٢١٩) .

٥ - محمد بن يوسف الصالحي (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تح: عادل احمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ٢٣٥ / ١ .

وكان (ﷺ) فقير، ولم يكن غنياً مترفاً فيطغيه بأس الاغنياء ، ويغلف قلبه ما يغلف القلوب من جشع المال ، ويتيم (١) ، كما قال تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (٢) ، فكان يتيم ليس بالمدلل الذي يقتل فيه الا لتدليل ملكة الارادة والاستقلال ، وليس هو بالمهجور المنبوذ فقتل فيه القسوة روح الامل وسليقة الطموح (٣).

أن النبي (ﷺ) سكن البادية وذلك لان عادة الشرفاء في مكة يطلبوا لأبنائهم مرضع من أهل البادية لتكون نشأة أولادهم سليمة ، وقد أتخذ عبدالمطلب جد الرسول (ﷺ) للنبي امرأة عربية تعد من أعرق القبائل العربية وأكرمهم خلقاً لتعلم اللغة العربية الفصحى من مصادرها الاولى ، وكذلك لتعليم خشونة الطباع وقساوة العيش لكي ينشأ نشأته عربية اصيلة بكل عاداتها وتقاليدها .

فأرسله جده عبدالمطلب الذي كفل برعايته الى مرضعة من بني سعد وتدعى حليلة السعدية (٤) ، والتي كانت قد أرضعت معه ابن عمه ابو سفيان بن الحارث (٥) وكذلك حمزه ابن عبد المطلب عمه ، وبقي عندها الرسول (ﷺ) خمسة سنين زارته امه خلالها ثلاث مرات . فكان اختياره موفقاً لتكون مرضعةً لنبي ومربيةً في أن واحد (٦) .

وألف المدينة ورعى القطعان ؛ حتى قال (ﷺ) "بعث موسى وهو راعي الابل وبعث داود وهو راعي غنم ، وبعثت وأنا راعي غنم بأجباد" (٧) ، وأشتغل بالتجارة مع عمه أبي طالب أولاً ثم خرج في تجارة السيدة خديجة (عليها السلام) (٨) .

فيقول الكونت هنري دي كاستري (٩) : أن محمداً ما كان يميل الى زخارف الدنيا ولم يكن بخيلاً وكان يستدر اللبن من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب ويرفع ثوبه ونعاله بيده

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٧ ، ابن كثير ، السيرة ، ٢٢٦/١ .

٢ - سورة الضحى : آية (٩) .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٧ .

٤ - ابن حبيب الحلبي ، المقتفى ، ص ٥ ؛ النجار ، محمد الطيب (ت ١٤١١هـ / ١٩٩٠م) ، القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، دار الندوة ، بيروت ، (د.ت) ، ص ٨٧ .

٥ - محب الطبري ، محب الدين احمد بن عبدالله الطبري (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) ، ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م ، ص ٢٤١ ؛ الذهبي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، تاريخ الاسلام ، تح: بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ١ / ٤٠١ .

٦ - ابن كثير ، أبو الفداء أسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ، الفصول في السيرة ، تح: محمد العيد الخطراوي الخطراوي و محي الدين مستو ، ط ٣ ، مؤسسة علوم القرآن ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م ، ص ٨٨ .

٧ - ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ١ / ١١٢ .

٨ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٧ ؛ ينظر : ابن هشام ، السيرة ، ص ١٨١ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ١ / ٢٨ .

ويلبسها مرقعه ، وكان قنوعاً ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته وتمكن من نوال المقام الاسمى في بلاد العرب فلم تكن له حاشية ولا وزير ، وقد احتقر المال ومع ذلك لم يكن له علامات الإمارة والملك سوى خاتم من الفضة مكتوب عليه (محمد رسول الله) (٢) .

وشهد الاحلاف ولم يبتعد عن الفقراء ، ان المؤرخون يجهدون أنفسهم واقلامهم من أجل استقصاء بشارات الرسالة المحمدية ، لم تكن هناك بشارة من تلك البشارات لها أثر في أقناع أحد بالرسالة يوم صدع النبي (ﷺ) بالرسالة أو كان ثبوت الاسلام متوقفاً عليها (٣) .

أن العقاد يرى ان العلامات التي رافقت ولادة الرسول (ﷺ) والتي تناقلتها مصادر المسلمين من اضطراب ايوان كسرى حتى سمع صوته وسقطت منه أربع أشرفه وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاصت بحيرة ساوه ، وحراسة السماء بالشهب التي تقذف الشياطين (٤) ، يعدها العقاد جميعها لم يكن لها دور بأقناع الناس بنبوة محمد (ﷺ) .

وذهب رأي العقاد الى أن الذين شهدوا تلك العلامات المزعومة في يوم مولد النبي (ص) لم يعرفوا في ذلك الوقت مغزاها ولم عرفوا انها علامة تدل على شيء او على رسالة سوف تأتي بعد اربعين عاماً (٥) .

فلاحظ أن العقاد غير مؤمن بهذه العلامات لأنه يجهد في استبعاد كونها من علامات النبوة التي تسبق البعثة ب (٤٠) سنة ، كما أنه يقول " أنه ولد مع الرسول أطفال كثيرون في مشارق الارض ومغاربها ، فيجوز للمكابر أن ينسبها الى غيره " ، فيكمل العقاد قائلاً " يوم تأتي الدعوة بالآيات والبراهين غنية عن شهادة الشاهدين وأنكار الناكرين " (٦) ، اي أن نزول

١ - وهو كاتب مسيحي فرنسي كان مقدماً بالجيش الفرنسي في الجزائر ، وكان شديد الاهتمام بالاسلام من خلال عيشه في الجزائر واطلاعه على احوال المسلمين وكان من اكثر المستشرقين الغربيين انصافاً للاسلام وكان معجباً بالدين الاسلامي حيث يقول " وكنت أرى ان جمال الدين ، اصدق شاهد على انه الدين الحق " ينظر : كاستري ، هنري دي ، الاسلام خواطر وسوانح ، ترجمة احمد فتحي زغلول ، تعليق محمود النجيري ، دار طيبة ، الجيزة ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م ، ص ٤ .

٢ - الصغير ، فالح بن محمد بن فالح ، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية ، مجمع الملك فهد للطباعة ، المدينة المنورة ، (د.ت) ، ص ١٦ .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٧ - ١٩ .

٤ - الطبري ، تاريخ الامم ، ١ / ٤٥٩ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك بن عبدالله (ت ٧٦٤ هـ / ٣٦٢ م) ، الوافي بالوفيات ، تح: احمد الارناؤوط و تركي مصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، ١ / ٣٥ .

٥ - عبقرية محمد ، ص ١٩ .

٦ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٩ .

الوحي على الرسول (ﷺ) ونزول الآيات القرآنية التي تحاكي الواقع الذي يعيشونه تكون كافيته لأثبات نبوته (ﷺ) والفصل بين من شهد تلك العلامات ومن لم يشهدا .

"اتفقت أحوال العالم اجمع على انتظار رسالة ، واتفقت أحوال محمد ايضا لترشيحه لتلك الرسالة . وكان من الممكن أن تتفق أحوال العالم وأحوال محمد ، ولا تتفق معها الوسائل التي يؤدي بها رسالته على أحسن الوجوه وكان من الممكن أن ينتظر العالم الرسول، ثم لا يظهر الرسول ... لكن الذي اتفق في رسالة محمد قد كان اعجب اعاجيب الاتفاق وكان المعجزة التي فاقت المعجزات" ، أهم ما اتصف به (ﷺ) هي فصاحة اللسان واللغة التي كانت تلك الدعوة بحاجة اليها وكذلك قدرته في تأليف القلوب وجمع ثقة من حوله ، وأنه كان موضع ثقة بين أهله وقومه قبل الدعوة والنبوة فضلا عن قوة أيمانه بما يدعو اليه ، وغيرته على اتمام نجاحها جميع هذه الصفات جعلت منه (ﷺ) منه مهياً لاستقبال رسالة ربه وتبليغها^(١).

اما فصاحته (ﷺ) فالفصاحة^(٢)، كما يصفها العقاد في محمد (ﷺ)، بأنها تكاملت في كلامه ، كما تكاملت في هيئة نطقه ، فكان من أعرب العرب ، كما قال (ﷺ) " أنا قريشي واسترضعت في بني سعد بن بكر " ^(٣) .

ويذكر القحطاني أن من صفات الرسول (ﷺ) هي الفصاحة والبلاغة ويمكن أن نشاهد ذلك من خلال أحاديثه التي عرفت بكلمات قصيرات ، تشمل معاني كثيرة ، مع كمال الوضوح والبيان^(٤) .

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٢١ .

٢ - الفصاحة كما تذكر كتب اللغة هو كأن يقال ، رجل فصيح وكلام فصيح ، ولسان فصيح أي طلق ويقال كل ناطق فصيح ، وما ينطق فهو عجم ، وفصح العجمي بالضم فصاحة جادت نفسه حتى لا يلحن ينظر : الجوهري ، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: احمد عبد الغفور عطار ، ط٤ . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ٤٥ / ٢ ، والفصح في اللغة منطلق اللسان الذي يعرف جيد الكلام من رديئة . ينظر : ابن منظور ، محمد ابن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، (دبت) ، ٥٤٤ / ٢ .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٢٢ ؛ الاندلسي ، ابو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م) ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تح: محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ١٠٢ / ١ .

٤ - سعيد بن علي بن وهب ، فقه الدعوة في صحيح الامام البخاري ، الرئاسة العامة لدارة البحوث العلمية والافتاء ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ٢ / ٢٣ - ٢٤ .

وكان جمال فصاحة النبي (ﷺ) في نطقه ، كجمال فصاحة كلامه فوصفته عائشة قائلة " ما كان رسول الله (ﷺ) يسرد كسر دكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه " (١) .

يتبين لنا من هذا الحديث ان كلام النبي لم يكن استعجالا بعضه أثر بعض ، و إنما كان متأنيا لكي لا يلتبس على المتلقي شيء من كلامه .

فأجمعت الروايات على تنزيهه (ﷺ) من جميع عيوب نطق الحروف و مخارجها فقد يكون الرجل قريشاً عربياً استرضع عند بني سعد ويكون كلامه سليم وكذلك نطقه لكنه لا يحسن ان يقول شيء ليستمع اليه السامع في موضوعه (٢) .

وقد وصفه ابن الغزي في كتابه قال " كان (ﷺ) أن صمت فعلية وقار ، وان تكلم سما وعلاه البهاء كان حلو المنطق " (٣) .

كما اتسم عليه افضل الصلاة و السلام بوسامته ، فقد كانت له مع الفصاحة صباحة و ايضاً دماثة تحببانه الى كل من يراه ، وترتاح اليه قلوب من يعاشروه ، واتفق الصديق والعدو على امتلاكه (ﷺ) لهذه الصفات ولم يبلغ أحد في اقطاب الدنيا ما بلغ محمد (ﷺ) بين الاقوياء و الضعفاء و ينفينا من حب الضعفاء له هو حب ذلك الفتى المستعبد الذي فقد والده واسرته وهو زيد بن حارثة فيظهر بعد ذلك ابوه فيفضل المكوث مع النبي على الذهاب مع أبيه (٤) .

فما الذي رآه زيد من رسول الله (ﷺ) حتى يفضل البقاء عنده على الرجوع الى ابيه وقومه ، ويفضل العبودية على الحرية لكنه (ﷺ) لم يكن يعامله كالعبد بل

١ - الزرقاني ، ابو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن احمد شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (١١٢٢ هـ / ١٧١٠ م) ، شرح الزرقاني على المواهب الدنية بالمنح المحمدية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ٢٩٥ / ٥ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٢٣ .

٣ - شمس الدين ابو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م) ، ديوان الاسلام ، تح: سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ٢١ / ١ - ٢٢ .

٤ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٢٣ ؛ ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تح: علي محمد البجاوي ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ١٦٢ / ١ ؛ ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ، تاريخ دمشق ، تح: عمرو بن غرامة العموري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ٣٥٦ / ١٩ .

كان يقول هذا أبني وارثاً موروثاً ، حتى كان يسمى بـ: زيد بن محمد الى نزول قوله تعالى (ادعوهم لأبائهم)^(١) .

كما وان ميسره ^(٢) ، يقدم ليبشر خديجه (عليها السلام) بالربح الوفير والتوفيق في تجارته ، وكان اولى به أن يدعي ذلك لنفسه ما أختصه من التقدم والفضل ^(٣) .

وهذا مما يدل على الخلق الرفيع الذي كان يتمتع به الرسول ، فحبب اليه الفقراء قبل غيرهم ، لانهم وجدوا أنفسهم فيه ، وهذا الدافع الذي جعل ميسره ينقل لسيدته لطف محمد وإخلاصه في عمله ، فيحمده أمامها دون أن يذكر نفسه بما ذكر به رسول الله (ﷺ)

قال العقاد أن هذه الموافقات بالرغم من كثرتها ، وهذه الشمائل بالرغم من ندرتها لكنها لاتزال تعتمد على صفة أخرى مهمة يحتاجها الداعي أكثر من احتياجه الى الصبابة و الفصاحة ، الا "وهي ايمانه بدعوته وغيرته على نجاحها" ، وقد قضى النبي (ﷺ) شبابه وهو مؤمن أشد الايمان بفساد الزمان و ضلالة الأوثان ^(٤) .

الدعوة المحمدية :

تعد الدعوة المحمدية دعوة مفهومة بأسبابها المستقيمة الواضحة التي لا اعوجاج في تأويلها ، لكن هناك من يرى أن الدعوة الاسلامية تعد فضولاً غير مطلوب في الدنيا ، وان نجاحها كان مصطنعاً لا سبب فيه غير الوعد والوعيد والارهاب بالسيف أو الاغراء بالنعيم وحرور العين ومنتعة الخمر، فيجيب العقاد قائلاً: "اي إرهاب وأي سيف ؟ " أن الذين دخلوا الدين الجديد كانوا يتعرضون لسيوف المشركين وهم لا يعرضون احداً من الاخرين لسيوفهم ، ولا يصيبون أحداً بأذى وعنت ويخرجون من ديارهم ليأذوا أنفسهم وكذلك ابنائهم ولا يخرجوا أحداً من داره ^(٥) .

^١ - سورة الاحزاب : اية (٥) .

^٢ - ميسره : هو غلام السيدة خديجة بنت خويلد والذي رافق الرسول (ص) في تجارتها ، وكان ميسرة مولاته بما يرى عليه (صلى الله عليه واله سلم) من لوانح النبوة ، فرغبت فيه و تزوجته . ينظر : الاندلسي ، الاكتفاء ، ١ / ١١٥ ؛ ابن جماعة ، عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم ، (ت٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م) ، المختصر الكبير في سيرة الرسول (ص) ، تح: سامي مكى العاني ، دار البشير ، عمان ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ١٣ ؛ ابن كثير ، الفصول ، ١ / ١١٦ .

^٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٢٣ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ١ / ٢٦٣ .

^٤ - عبقرية محمد ، ص ٢٥ .

^٥ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٢٦ ؛ الشيباني ، محمد شريف ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص ١٤٤ .

ان الكثير من الناقلين على الرسول (ﷺ) ودعوته يرمون هذه الاتهامات الباطلة على الدعوة ويحاولون أن يعكروا صفو الرسالة بشوائبهم ، فيقولون انها قامت على أساس السيف والدماء والارهاب ، فأى سيف ولم يبدأ الرسول (ﷺ) أعدائه بقتال حتى بدء وه وقاطعوه وانتبذوا وأصحابه .

أما الاغراء بالنعيم والخمر والخور ، فيقول العقاد لو كان هذا باعثاً على الايمان ، لكان من أخرى الناس استجابةً للدعوة الاسلامية هم فسقة قريش ، وأصحاب الثروة و الترف ،فأن حياة النعيم التي وعد بها الاسلام بعد الموت تكون محببة لدى المنعمين كتحببيها الى اولئك المحرومين ، فأن الحرمان بعد التذوق يعد اصعب من حرمان الذين لم يتذوقوا ولم يتغير عليهم الحال^(١).

ان العقاد بكلامه هذا لم يترك المجال لمن يتهمون الاسلام بأنه اغرى من آمن به ، بأن لهم بعد الموت حياة النعيم بالجنة وأن الله يرجعهم الى شبابهم ويزوجهم من حور العين التي فاقت الوصف بجمالها ، وأحل لهم شرب الخمر ، وهنا يفوت الفرصة مرة أخرى على الناقلين على الاسلام لأن جميع من آمن بالدين الجديد هم من العزل الفقراء ، وهذه الامور أكثر ما تغري الاغنياء المترفين . اي ان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فضلاً عن الصفات التي توفرت به كان مؤمن أشد الايمان بدعوته وغيور عليها ، و بذلك يتبين لنا من محاولة قريش ترغيبه بالمال والملك من أجل تركها ، لكنه (صلى الله عليه واله وسلم)رفض ذلك وقد لاحظنا ذلك من محاولات قريش مع عمه ابو طالب ، وكان رده (صلى الله عليه واله وسلم) يكشف عن عمق الايمان بما يدعو اليه حين قال: " يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله عز وجل أو اهلك فيه ما تركته"^(٢).

لما آمن (ﷺ) برسالته ودعوة ربه للقيام بهذه الرسالة ،فأنه لم يهجم على هجوم يوم ولا هجوم ساعة على هذا الايمان ، ولم يعجل في الامر ، فتلقى الطمأنينة والراحة من وحي ربه ثم وحي قلبه ، فصدع بما أمره الله ، فالعجب ليس في كون محمد صاحب دعوة ، وانما كل العجب ممن يغفلون عن الحقيقة فيغفلون عنها لهوى الافئدة ، ويشبهون هؤلاء اليوم أولئك الجاهلين الذين أصروا على الكفر بمحمد(ص)^(٣).

١ - عبقرية محمد ،ص٢٧ ؛ الشيباني ، الرسول في الدراسات الاستشرافية ، ص ١٤٥ .

٢ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٢٤٠ .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٢٥ .

إن الرسول (ﷺ) لما أمر بتبليغ دعوته تأتى كثيراً كي لا يريق دماء من يتبعه ،لمعرفته بمشركي قريش وعنادهم ، مما دفعه للبدء بدعوته سرأ ، فأقتصر على عدد ممن يثق بهم من صحبه وأهل بيته ، فأستمر بذلك ثلاث سنوات ، فأى صبر أكثر من هذا ، حتى جاء النداء الالهي (فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (١) فبدأت بذلك المرحلة العلنية الجديدة (٢).

ثم يترك العقاد مواضيع الدعوة ونشر الاسلام وغيرها ليناقدش لنا بعض التفاصيل التي تخص حياته (صلى الله عليه واله وسلم) الاجتماعية ومنها موضوع زواجه (صلى الله عليه واله وسلم) ومعاملته لزوجاته ، وتعدد الزواج وغيرها . وهنا يوجز العقاد ما اوجبه النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على المسلمين عامة في معاملاتهم لزوجاتهم ، وهي دون ما اوجبه على نفسه في معاملته لزوجاته بكثير .

معاملته لزوجاته :

كان (ﷺ) يشفق ان يرينه زوجاته غير متبسماً في وجوههن ويزور كل واحدةً منهن في الصباح والمساء واذا خلا بأحدهن كان من الين الناس بساماً ضاحكاً كما روت عائشة (٣).

وكان بعضهن من تقول له أمام أبيها تكلم ولا تقل الا حقاً ومنهن من تغاضبه سحابة نهار ثم تراجع ، ومنهن من تبلغ حد الاجترأ عليه فيسمع بها رجل كعمر بن الخطاب فيعجب لهم ، فيهم ان يبطش بابنته حفصه لأنها تجترئ عليه كما تجترئ الاخريات من زوجاته ، واذا لاحظ النبي غضب الأب لهذا الجرأة خفف من غضب الأب ويقول له : "ما لهذا دعوناك " (٤).

وكان (ﷺ) يتولى معهن خدمة البيت ، و كما قال (ص) " خدمتك زوجتك صدقة " (٥).

١ - سورة الحجر : آية ٩٤ .

٢ - الطبري ، تاريخ الامم ، ١ / ٣٩٨ ؛ المطهر ، البدء والتاريخ ، ١ / ٢٢٩ .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٢٤ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ١١ / ١٤٧ .

٤ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٢٤ .

٥ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٢٤ .

وإن ما أوجبه (ﷺ) على المسلمين من حسن معامل' الزوجة ، كان أقل بكثير مما أوجبه على نفسه ، فكان نعم الزوج ورب البيت ، وهنا ينقل لنا العقاد حادثتين متناقضتين منها : من تقول امام ابياها خير الكلام ، والآخرى تجترئ على الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) امام ابياها مما استوجب غضب الاب ، فتأتي التهدة منه (صلى الله عليه واله وسلم) ، فضلاً عن ذلك فإنه كان يعد مساعدة الزوج لزوجته في شؤون المنزل بمثابة صدقة يؤديها ويؤجر عليها .

ولما اقعه مرض الوفاة أن يزورهن كل يوم كما عودهن بعث اليهن فتلطف في سؤالهن "أين أنا غداً ؟ أين أنا غداً " . ليقلن عند عائشة ويأذن له في الاقامة ببيتها ، ولو انه أحل لنفسه أن يقيم حيث أقام وهو مريض لما كان في ذلك حرج (١) .

فتراه (صلى الله عليه واله وسلم) رغم مرضه وهو الذي لا يؤاخذ على فعله فما ينطق عن الهوى ، لكن خلقه الكريم أبى أن يقيم في بيت عائشة دون أرضائهن من أنفسهن فلا ظفهن السؤال حتى أحلن بقائه

وينقل العقاد صورة اخرى من صور المعاملة الجميلة لرسول الله (ﷺ) لنسائه وينقلها على لسان عائشة ويقول : "بأنها أحظى نسائه لديه" (٢) .

تجد الباحثة إن العقاد هنا يناقض نفسه فهو يتحدث عن معاملة الرسول (ﷺ) لزوجاته وان كل نسائه سواسية لديه ، وأنه (ﷺ) يدعو الله لا يحاسبه أن مال الى أحدهن ، ولكن العقاد يعود و يقول بأن عائشة احظى نسائه لديه .

وكيف يكون ذلك وأن ابي داود ينقل عن عائشة قولها :كان رسول الله (ﷺ) يقسم فيعدل ، ويقول : " اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " . يعني القلب

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٢٤ ؛ البغوي ، الحسين بن مسعود (٥١٦ هـ / ١١٢٢م) ، شرح السنة ، تح: شعيب الارناؤوط ، ط ٢ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، (دب) ، ٩ / ١٥١ ؛ ابن كثير ، السيرة ، ٤ / ٤٤٧ ؛ الشامى ، سبل الهدى ، ٩ / ٦٥ .

٢ - عبقرية محمد ، ص ١٢٥ .

وعن أبي هريره عن رسول الله (ﷺ) قال : " من كانت له امرأتان فمال الى أحدهما : جاء يوم القيامة وشقه مائل " (١) .

أما ماروته عائشة والذي يعرف بحديث الافك حيث تقول : " كان رسول الله اذا أراد أن يخرج لسفر اقرع بين نسائه ، فأبها خرج سهمها خرج بها رسول الله معه ، واقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، ثم قفلنا من الغزوة الى ان دنونا من المدينة ، فقامت حين أدنوا بالرحيل فتمشيت حتى جاوزت الجيش وقضيت من شأني ، واقبلت الى الرحل فلمست صدري فأذا عقدي قد قطع ، فرجعت التمسه فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الى الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي وهم يحسبون أنني فيه " (٢) .

ثم تكمل قائلة : " وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ، ولم يغشهن اللحم ، انما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه اذ كنت مع ذلك جارية حديثة السن . ووجدت عقدي فجئت منازل الجيش وليس بها داع ولا مجيب ، فقيمتم منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيقفدونني فيرجعون الي ، فبينما انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فمتمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فعرفني حين راني فاسترجع ، فاستيقظت وخمرت ووجهي بجلبابي ، والله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلم اغير استرجاعه حتى اناح راحلته وركبتها وانطلق يقودها حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا في نحر الظهر " (٣) .

ثم تقول : " و اشتكيت حين قدمنا المدينة شهورا والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك ، حتى خرجت مع أم مسطح قبل المناصع ، ثم عدت فعثرت ام مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح ، قلت : بئس ما قلت ، أتسيين رجلاً قد شهد بدرأ" ، قالت : أولم تسمعيه ما قال ، قلت لها : وماذا قال ، فأخبرتني بماقاله أهل الافك ، ثم " دعا رسول الله (ﷺ) علي ابن ابي طالب واسامة بن زيد يستشيرهما في فراق اهله ، فما أسامة بن

١ - ابي داود ، سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨م) ، سنن أبي داود ، تح: محمد عوامة ، مؤسسة الريان ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ٣ / ٤٢ ؛ ابن القيم ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، ٥ / ١٥٣ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ٩ / ٦٥ .

٢ - السيوطي ، الخصائص الكبرى ، ص ٣٩٩ ؛ قريبي ، أبراهيم بن أبراهيم ، مرويات غزوة المصطلق ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة (د.ت) ، ص ٢٠٦ .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٢٥ ؛ البخاري ، محمد بن أسماعيل البخاري الجعفي (٣٥٦ هـ / ٩٦٦م) ، صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ٤ / ١٥١٨ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ٤ / ٢٢ ؛ ابن كثير ، السيرة ، ٣ / ٣٠٥ ؛ السيوطي ، الخصائص الكبرى ، ص ٣٩٩ .

زيد فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود ، وقال يا رسول الله : هم اهلك ولا نعلم إلا خيرا . وأما علي ابن ابي طالب فقال : لم يضيق عليك الله ، والنساء سواه كثير ، وأن تسأل الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله بربرة يسألها : هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ قالت : والذي بعثك بالحق نبياً أن رأيت عليها امرأة قد أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله" (١) .

لكن لابن القيم الجوزية في شهادة بربرة رأي آخر فيقول " ومما وقع في حديث الافك أن في بعض طرقه ان علياً قال للنبي (ﷺ) وسلم لما استشاره سل الجارية تصدقك فدعا بربرة فسألها فقالت ما علمت عليها الا ما يعلم الصايغ على التبر ، او كما قالت و قد استشكل هذا فأن بربرة انما كاتبته و عتقت بعد هذه بمدة طويلة وكان العباس عم رسول الله صلى الله عليه [واله] وسلم اذ ذاك في المدينة و العباس انما قدم المدينة بعد الفتح ، ولهذا قال له النبي صلى الله عليه [واله] وقد شفع الى بربرة أن تراجع زوجها فأبت ، ان تراجع يا عباس ألا تعجب من بغضب بربرة مغياً وحبها لها ، ففي قصة الافك لم تكن بربرة عند عائشة وهذا الذي ذكره ان كان لازماً فيكون الوهم من تسمية الجارية بربرة ، ولم يقل علي سل بربرة وانما قال فسأل الجارية تصدقك فظن بعض الرواة انها بربرة فسامها بذلك وان لم يلزم بان طلب مغيث لها استمر الى بعد الفتح " (٢) .

فيكون بذلك يمكن الطعن برواية بربرة ، او تكون ما جاء على لسانها هو ذاته جاء على لسان الجارية الاخرى التي سألتها النبي والتي ظن بانها بربرة حسب هذا الرأي .

وينقل قريبي تفسيرات بعض العلماء لتوضيح سبب قول الإمام علي (عليه السلام) للرسول (ﷺ) هكذا كلام ، منهم النووي الذي يقول ان : "الذي قاله علي رضي الله عنه هو الصواب في حقه صلى الله عليه وسلم ، لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم في اعتقاده ، ولم يكن ذلك في نفس الأمر ، لأنه رأى انزعاج النبي (ﷺ) بهذا الأمر ، وتقلقه ، فأراد راحة خاطره ، وكان ذلك أهم من غيره" . و اما ابن قيم الجوزية فيقول : "ولما استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في فراق أهله فأشار عليه رضي الله عنه أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحاً لا تصريحاً ، لأنه لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين ، ليتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهم والغم

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٢٧ ؛ البخاري ، صحيح ، ٤ / ١٥١٩ - ١٥٢٠ ؛ ابن هشام ، السيرة ، مج ٣ ، ١٥ / ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ ؛ الاندلسي ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ، ٢ / ١٤٠ - ١٤١ .

٢ - زاد المعاد ، ٣ / ٢٣٧ .

الذي لحقه من كلام الناس، فأشار بحسم الداء" ، وكذلك ينقل رأي ابن حجر حيث يقول ابن حجر: "هذا الذي قاله علي رضي الله عنه حملة عليه ترجيح جانب النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان صلى الله عليه وسلم شديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها" (١).

ثم يكمل العقاد حديث الافك، فتقول عائشة: "وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي مع دمع ولا اكتحل بنوم فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله فسلم ثم جلس وتشهد ثم قال: أما بعد يا عائشة فأني قد بلغني عنك كذا وكذا، فان كنت بريئة فسيبريك الله، وان كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد اذا ما اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه، فو الله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عزوجل على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه لينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشتاتي فلما سرى رسول الله وهو يضحك كان اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عائشة. أما الله فقد برأك قال: أبشري يا عائشة. أما الله فقد برأك" (٢).

اما تحليل العقاد لهذه الحادثة التي كثر ذكرها في كتب التاريخ فيقول: ان النبي سمع حديثا يلاك على السنة المنافقين ويسري الى المسلمين بل الى خاصة ذويه الاقربين حديثاً يسمعه رجل كعلي ابن ابي طالب في بره وكرمه فلا يرى بعده حرجاً من الطلاق والنساء كثرات (٣).

و نرى ان رجل كعلي ابن ابي طالب في حكمته وحرصه على عرض رسول الله (ﷺ) فهل يصح منه ان يعالج الخطأ بخطأ اكبر فهل يصح بان يقترح على رسول الله بتطليق زوجته كي يتثبت التهمة عليها دون تبرئة، وقبل سماع قولها. فهذا حكم لم يكن ليقوله ابسط المسلمين عقلاً ومعرفةً فكيف يخرج من رجل كعلي ابن ابي طالب عقلاً وتدبيراً.

١ - مرويات غزوة بني المصطلق، ص ٢٦٥.

٢ - عبقرية محمد، ص ١٢٨؛ ابن حزم الاندلسي، علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦ هـ/١٠٦٣ م)، جوامع السيرة النبوية، تح: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ/٢٠٠٢ م، ص ١٢٣؛ ابن حجر، ابو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الافكار الدولية، بيروت، ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦ م، ١/ ١٨٣١.

٣ - عبقرية محمد، ص ١٢٩.

بعد ان سمع النبي هذا الكلام المريب فرفض تقبله بغير بينه ، ولم يرفضه من دون بينه فكان من الواجب عليه ان يعود زوجته المريضه او ان يتركها الى حين ، لكنه قرر ان يعودها وما يحمله من الانصاف و الرفق ، فأبى ان يفتحها و هي مريضة بما يجول في نفسه الكريمة وسأل كلاً من علياً وأسامة (١) ، وهما بمنزلة ولديه وبريره التي تعرف عائشة وتخلص لها كما تخلص لسيدها ، كما سأل ضرة عائشة التي تنافسها و تحسدها في حظوتها لديه ، وهي زينب بنت جحش التي استعادت بالله تعالى وقالت " احمي سمعي وبصري والله ما علمت الا خيرا " ، ثم يكمل العقاد بالقول "وان عائشة لبريئة في نظر كل منصف يفهم أن امرأه كعائشة لا تعرض نفسها لهذه الريبة أمام الجيش وفي وضح النهار ، ولغير ضرورة، ومع رجل من المسلمين يتقي ما يتقيه المسلم من غضب النبي و غضب الله ، فتلك خلة تترفع عنها من هي أقل من عائشة منبتاً ومنزلة فكيف بها في مكانها المعلوم" (٢) .

ونجد العقاد يقف موقف المسلم الحريص على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) واهله ، والمدافع عن عرضه وزوجه ، مبرناً عائشة البريئة حقا ، ونافيا ان يصدر هكذا موقف من هي بمقامها ومنزلتها .

اما الشيعة الامامية فهم كغيرهم من فرق المسلمين يبرئون ام المؤمنين عائشة عما قاله أهل الأفك ، حيث نرى العلامة الطبرسي عند تفسيره الآيات الخاصة بالأفك يقول " لا تحسبوا غم الأفك شراً ، بل هو خير لان الله يبرئ عائشة و يأجرها بصبرها و احتسابها " (٣) .

و نلاحظ الطباطبائي في تفسيره يقول : " إن تسرب الفحشاء إلى أهل النبي ينفر القلوب عنه فمن الواجب أن يطهر الله سبحانه ساحة أزواج الانبياء عن لوث الزنا والفحشاء وإلا لغت الدعوة وتثبت بهذه الحجة العقلية عفتهم واقعاً لا ظاهراً فحسب" (٤) .

١ - العقاد ، عبقرية محمد، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

٢ - عبقرية محمد ، ص ١٣٠ ؛ ابن القيم ، زاد المعاد ، ١٣ / ٢٣٧ ؛ ابن كثير ، الفصول ، ص ٦٧ ؛ ابن كثير ، السيرة ، ٣ / ص ٢٨٤ ؛ قريبي ، مرويات غزوة بني المصطلق ، ص ٢٢١

٣ - مجمع البيان ، ٧ / ١٦٨ .

٤ - الميزان في تفسير القرآن ، ١٥ / ١٠٢ .

تعدد الزوجات :

إنَّ الكلام عن تعدد الزوجات كما ذكر العقاد : "بانه الهدف الذي يرميه المشهورون بالإسلام فيكثرون في رمية كلما تكلموا عن اخلاق محمد [صلى الله عليه واله وسلم] ، ويعدوه منافياً لشمائل النبوة ، مخالفاً لما ينبغي ان يتصف به هداة الارواح ..السيف والمرأة، ان هؤلاء يريدون ان يجمعوا على النبي بين الاستسلام للغضب والاستسلام للهوى ، وكلاهما بعيد كل البعد عن صفات الانبياء " (١) ، ومن اللامنطقي اتهام النبي (صلى الله عليه واله وسلم) او اي شخص آخر يبحث عن المتعة الجسدية عند هرمه وشيخوخته ، وهو لم يعر لها أهمية في شبابه ومن المعروف زواجه بخديجة وهي بعمر الأربعين ولم يقدم على الزواج الا بعد وفاتها وقد بلغ الخمسين وأن اختياره لسوده او عائشة على اختلاف الروايات لم يكن يستند الى المفاتن الجسدية لكل منهما ، فضلاً عن ذلك ظلت أخلاقه ثابتة لم تتغير (٢) .

فيقول العقاد : "قال لنا بعض المستشرقين ان تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية ، قلنا : انك لاتصف السيد المسيح بانه قاصر الجنسية(unde sexed) لأنه لم يتزوج قط ، فلا ينبغي ان تصف محمد بانه مفرط الجنسية(over sexed) لأنه جمع بين تسع نساء ، يعلق العقاد قائلاً : لا نرى ضيراً على الرجل العظيم ان يحب المرأة ويشعر بمتعتها...فلا عيب في ذلك لكن المعابة أن يطغي هذا الحب حتى يخرج ويثقله عن غرضه ، ما من بناء التاريخ قد بنى في حياته وبعد مماته تاريخاً اعظم من بناء تاريخ الدعوة المحمدية والدولة الاسلامية ، فهل يمكن ان نقول ان هذا عمل رجل مشغول بل ان عظمته منحته ن يعطي الدعوة حقها والمرأة حقها ، وهذا يعد كمال وليس بعيب" (٣) .

لما تزوج الرسول (ﷺ) من السيدة خديجة (رض) التي كانت في سن الاربعين وهو في الخامسة والعشرين وقارب على الخمسين و تم له الفتح المبين ولم يكن له زوجة غيرها وليس له رغبة في الزواج من غيرها (٤) ، بينما ينقل ابن كثير رواية تقول : "

١ - عبقرية محمد ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

٢ ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ٣٢ ؛ ابن القيم ، زاد المعاد ، ١ / ٧٠ .

٣ عبقرية محمد ، ص ١٣٣ .

٤ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٣٧ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٢ / ٨٦ ؛ العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١ هـ) ، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ، تح: عادل احمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ١ ، ١٨٦/ .

كان عمرها إذ ذاك خمسا وثلاثين. وقيل خمسا وعشرين سنة^(١)، أي انه يقصد عمر السيدة خديجة عند زواج الرسول منها لم يكن أربعين كما هو معروف بل كان خمسة وثلاثين أو خمسة وعشرين.

أي ان زواجه الاول (ﷺ) لم يكن نتيجة فرط ميوله لجنسية لو كان كذلك لأقترن بفتاة شابة في العشرين من عمرها ولم يقترن بامرأة في الأربعين وبقي معها حتى الخمسين من عمره وقاربت هي السبعين ولم يفكر بالزواج من غيرها، رغم هرمها، وقد بلغ هو ما بلغ من العزة في دولته واتساع دعوته وقد ساد العرب والجزيرة .

فيقول العقاد ولم يكن وفائه لها في أواخر حياتها وفاءً من أجل ذكرى المتاع الجميل ، لأنه قد فضلها على عائشة (ت ٥٨هـ) في شبابها، وكانت عائشة شديدة الغيرة منها وهي بقبرها ، وكانت تقوله له : "هل كانت الا عجوزا بذلك الله خيراً منها" ، فيقول لها وهو غاضباً : "لا والله ما ابدلني خيراً منها امنت بي اذ كفر الناس وصدقنتني اذ كذبتني الناس وواستني بمالها اذ حرمني الناس و رزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء " (٢) ، ان نقل العقاد لهذه الرواية يبين لنا الحب الكبير الذي يكنه (ﷺ) للسيدة خديجة ووفائه لها الذي أثار غيرة زوجته الاخرى وجعله (ﷺ) يقسم بالذات المقدسة بان الله لم يبدله خيراً منها .

اسباب تعدد الزوجات :

لو كانت الميول الجنسية هي التي قد سيطرت على زواج الرسول (ﷺ) بعد وفاة السيدة خديجة كما يقول العقاد لكان من الافضل لإرضاء هذه الميول ان يجمع النبي عنده تسعة من الفتيات الابكار اللواتي عرفن بفتنة الجمال بين نساء المدينة و مكة والجزيرة العربية بأكملها ، لكنه لم يتزوج بامرأة بكر سوى عائشة ، ولم يكن زواجه بها عن رغبة منه (ﷺ) ، حتى رغبته فيها خوله بنت حكيم (٣) ، التي اشارت عليه بالزواج بعد موت زوجته خديجة (١) .

^١ - السيرة النبوية ، ٢٦٥ / ١ .

^٢ - عبقرية محمد ، ص ١٣٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل أحمد بن علي بن محمد ، الاصابة في تميز الصحابة ، تح: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م ، ٣ / ٤٧٣ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ١ / ١٨٧ .

^٣ - خوله بنت حكيم :خولة بنت حكيم أم شريك السلمية أمراء عثمان بن مظعون لها صحبة ورواية وعنها سعد بن أبي وقاص وعروة وسعيد بن المسيب قال بن عبد البر وهي التي وهبت نفسها للنبي (ص) وهي

قالت عائشة : لما ماتت خديجة قالت خوله بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون للنبي الا
تنزوج.

قال : من ؟

قالت : إن شئت بكرةً وأن شئت ثيباً

قال : فمن البكر ؟

قالت : بنت أقرب الناس اليك عائشة بنت أبي بكر .

قال : فمن الثيب ؟

قالت : سودة بنت زمعة أمنت بك واتبعتك (٢) .

كانت سودة(ت٥٤هـ) اول النساء التي تزوجها بعد وفاة زوجته خديجة ، وزوجها
الاول هو السكران بن عمرو العامري وهو ابن عمها الذي وافته المنية بعد رجوعه من الهجرة
الى الحبشة ، وكانت من السابقات من النساء الى الاسلام ، فأسلمت وهجرت اهلها فنجبا بها
زوجها الى الحبشة وذلك فراراً من مشركي قريش ، فلما توفي لم يبق أمامها الا أن تعود الى
اهلها فتهان وتؤذى، او ان تتزوج برجل غير كفؤ لها او كفؤ لا يريد لها ، فتزوجها النبي حماية
وكرامة لها ، وتأليفاً لأعدائه من اهلها ، وكان غير هذا الزواج أفضل اليه ، لو نظر الى لذات
حس ومال الى متاع (٣) .

لو كان (صلى الله عليه وسلم) ميالاً الى الملذات لكان من الاجدر به ان يتزوج بفتاة باكر بعد

خديجة وعدم الجنوح لزواج من أرملة ، وما كان زواجه منها الا حماية لها

من النساء المهاجرات . ينظر : ابن حبان ، محمد بن حبان أبو حاتم البستي ، الثقات ، تح: شرف الدين أحمد ،
دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ٣ / ١١٥ ؛ السيوطي ، عبد الرحمن ابن أبي بكر (٩١١هـ / ١٥٠٥م) ،
اسعاف المبطل ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٣٤ .
١ - عبقرية محمد ، ص ١٣٨ ؛ العسكري ، مرتضى العسكري ، احاديث ام المؤمنين عائشة ، ط ٥ . التوحيد
للنشر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ١ / ٣٥ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٣٧ - ١٣٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢ / ٤١٢ ؛ المحب الطبري ، ابو
العباس احمد بن عبدالله بن محمد (ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤م) ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ط ٢ . دار
الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ١ / ٦٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢ / ١١٤ .
٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٣٩ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨ / ٥٢ - ٥٣ ؛ الطبري ، محمد بن جرير
(٣١٠ هـ / ٩٢٢م) ، المنتخب من ذيل المذيل ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، (د.ت) ، ١ / ٩٢ ؛ النووي ، ابو
زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م) ، تهذيب الاسماء واللغات ، تح: مصطفى عبد
القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ٣ / ٢٤٤ .

اما الزوجة الاخرى التي كانت تسمى بالوضاءة والفتاء وهذه هي زينب بنت جحش (٢٠هـ) وهي ابنة عمته (صلى الله عليه واله وسلم) وكان قد تزوجت من زيد بن حارثة بأمر منه (صلى الله عليه واله وسلم) ولم تكن راضية ، لأنها رفضت لما تملكه من نسب ورحم برسول الله (ﷺ) ان تتزوج من غلام عتيق ، وكذلك لم هنا يكن للذات الحس سلطاناً في زواجه (ﷺ) من زينب ، لو كان لها سلطان لكان من الاجدر ان يتزوجها ابتداءً، ولا يرغبها بزواج زيد وهي تأنفه ، وهي ابنة عمته امامه منذ طفولتها، فلم يفاجئه من حسنها شيء، فلما تنافر الزوجان وكثرت شكوى زيد منها، فجاء زواجه منها حلاً لمشكلة بيتيه بين زيد الذي هو بمنزلة الابن وابنة عمته التي كانت قد اطاعته على زواج لم يحالفه التوفيق^(١) ، اي لم يكن زواجه من زينب لميول جنسيه لكن كان زواجه منها تنفيذاً للأمر الالهي بالزواج ، وحلاً للمشكلة.

وبالنسبة لـ ام سلمة (٦٢هـ) فقد كانت يوم خطبها الرسول (ﷺ) كهلة مسنة ، كما اعتذرت له لتعفيه من تكليف نفسه جبراً لخطرها بعد وفاة زوجها عبدالله المخزومي بعد اصابته بجرح في يوم أحد ولما برح بها الحزن واساها النبي الاكرم قائلاً لها : "سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك وأن يخلفك خيراً " ، فقالت : ومن يكون خيراً من أبي سلمه ، فأوجب على نفسه (صلى الله عليه واله وسلم) خطبتها ، لأنها تعلم لا يوجد خير من ابو سلمه بالنسبة لها غيره ، و أنه علم ان كل من ابي بكر وعمر تقدموا لخطبتها لكنها اعتذرت^(٢) .

ها هو ايضا (ﷺ) لم يكن زواجه من أم سلمة ارضاءً لنفسه وملذاته ، بل تطيباً لنفسها بعد فقدها زوجها وانكسارها بعده .

جويزيه بنت الحارث (٥٦هـ) كان ابوها سيد قومه كانت من بين السبايا التي جيء بهم في غزوة المصطلق ، لكن النبي تزوجها ليعتقها ويحرض المسلمين على عتق سباياهم وأسراهم ، تأليفاً لقلوبهم وتفريجاً عنهم ، فأسلموا جميعهم وحسن أسلامهم^(٣) ، وبذلك يمكننا أن نقول ان

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ؛ ابن القيم ، زاد المعاد ، ١ / ١٠٢ ؛ الصفدي ، الوفي بالوفيات ، ١٥٥ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٤٠ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ٢٨٦ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٢ / ١٧٤ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ١ / ١٩٦ .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٤٠ ؛ ابن القيم ، زاد المعاد ، ٣ / ٩٩ ؛ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تح: روحية النحاس واخرون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٤ م ، ٢٤٩ / ١ .

زواجه من جويريه قد سن سنة حسنة أتبعه فيها المسلمون بأطلاق سراح الاسرى وبذلك كسب فئة جديدة لدخول الاسلام من أوسع أبوابه .

وعن زواجه ب حفصه بنت عمر بن الخطاب (٤١ هـ) التي مات زوجها ، وكان أبوها قد عرضها على أبي بكر فسكت ، وعرضها على عثمان فسكت ايضا ، فشكى عمر ذلك لرسول الله (ﷺ) فلم يكن النبي ان يبخل على صديقة بالمصاهرة التي شرف بها من قبل ابي بكر ، وقال : " يتزوج حفصه من هو خير من أبي بكر وعثمان " (١) .

فبهذا يكون زواجه من بنت عمر بن الخطاب كان جبراً منه لخاطر صاحبه بعد ان رداه كل من ابي بكر وعثمان عندما عرضها عليهما . فأراد تشريفه بنسبه كما شرف بي بكر من قبل .

وفيما يخص ارتباطه ب رملة بنت ابي سفيان (ام حبيبه ت ٤٤ هـ) فإنها تركت أباهها لكي لتسلم وتركت الوطن مهاجرة الى الحبشة مع زوجها ، ثم تنصر زوجها وفارقها وهي غريبة هناك من غير ناصر ، فارسل (ﷺ) الى النجاشي في طلبها لكي لينقذها فكانت تلك النجدة الانسانية كما يرى العقاد هي الباعث على ذلك الزواج ولم يكن باعته المتعة او الاستزادة من النساء ، و اراد (ﷺ) في نفس الوقت ان يصل بينه وبين ابي سفيان بن حرب بأصرة النسب ، عسى ان يهديه ذلك الى الدين (٢) .

وينقل كل من الصفدي والعصامي بأنه أختلف في موضع العقد عليها ، فقيل بان عثمان بن عفان قد زوجها رسول الله صلى الله عليه واله سلم بالحبشة ، لان أمها صفية بنت أبي العاص عمه عثمان ويحتمل أن يكون النجاشي هو الخاطب، والعقاد عثمان . وقيل بل خطبها

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٤٠ - ١٤١ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٢ / ٨٤ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٣ / ٤٦٥ ؛ الشامي ، سبل الرشاد ، ١١ / ١٨٤ .

٢ - عبقرية محمد ، ص ١٤١ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨ / ٩٦ ؛ ابو الحجاج المزني ، يوسف بن الزكي عبد الرحمن (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) ، تهذيب الكمال ، تح: بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ٣٥ / ١٧٥ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٢ / ٩٦ ؛ الباجي ، سليمان بن خلف بن سعد ابو الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م) ، التعديل والتجريح ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ٣ / ١٢٦٣ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٧ / ٦٥١ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ١ / ١٩٩ .

النجاشي وأمهرها . وقيل نكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد رجوعها من الحبشة وهو الأكثر (١) .

يمكن القول ان ما تحملته رملة من المصاعب في سبيل الحفاظ على اسلامها فكان من الواجب مكافئتها بشكل يوازي هجرتها وغربتها ، فلا يوجد مكافأة أفضل من زواج رسول الله بها ، كما أنه (ﷺ) أراد ان يشرف ابي سفيان بنسبه لعله يرضي غروره وكبريائه ، ونرى عند مراجعة الحياة الزوجية للرسول (ﷺ) نجد أن المتعة لم تكن قط مقدمة في الاعتبار عنده في اختيار واحد من زوجاته ، قبل الدعوة أو بعدها في أيام الشباب أو بعد تجاوز الكهولة ، بل كان الاختيار حسب احتياجاتهن الى الايواء الشريف ، او حسب المصلحة الكبرى ، التي تتطلب باتصال الرحم بينه وبين سادات العرب و أساطين الجزيرة من أصدقائه وأعدائه .

الاب :

الابوة الروحية والنوعية :

ان حفظ النوع هو سر من أهم أسرار الحياة التي حارت في تفسيرها عقول العظماء من أهل الحكمة والعلم ، وأن زيادة النسل تعد الوسيلة الوحيدة التي يستطيع الفرد من خلالها ضمان دوامه وخدمة نوعه، يطرح العقاد تساؤلاً فيقول : "هل يجوز لنا أن نقول ان العظماء الذين حرموا النسل قد أدوا ضريبتهم بإصلاح شؤون الناس فلم يبق من اللازم المفروض عليهم ان يؤدوا هذا الضريبة من طريق الذرية " ؟ ثم يجيب قائلاً : إن أغلب العظماء الذين خدموا نوعهم لم يتزوجوا ، ومنهم انبياء معظمون كالنبي عيسى (ﷺ) وبعض العظماء قد تزوجوا لكنهم يرزقوا بالذرية ، او قد رزقوا بالذرية لكنها اناث فقط ، او رزقوا من الاناث والذكور ولكنهم لم يعيشوا او عاشوا فلم يعمرؤا ، ولا كانوا على قدر كافي من النجابة والصحة ، فتواريخ العظماء في جميع الامم حافلة بالشواهد ، منهم القديسون والحكماء والعلماء و المخترعون رجال الفنون والقادة السياسيون و العسكريون ، ثم يذكر العقاد بعض العظماء والمشاهير من بلده في الزمن القريب او ممن عاصرهم ممن لم يتزوجوا فيقول : " وحسبنا في

^١ - الصفدي ، الوفي بالوفيات ، ٤ / ٤٦٣ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ١ / ١٩٩ .

مصر من أسماء جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وسعد زغلول ، وعبدالله النديم ، ومصطفى كامل ، ومصطفى فهمي ، ومحمود سامي البارودي ، وحافظ ابراهيم " (١) .

ونقول لقد حان الوقت لكي نذكر العقاد مع هؤلاء العظماء الذين ذكرهم ممن عزفوا عن الزواج وحرموا من النسل ، فقد عزف العقاد ايضاً عن الزواج وحرم من النسل ، ولكنه ترك أثراً قيماً يستدل به على العقاد وأدبه وتاريخه افضل من العشرات ممن رزقوا بالإناث والبنين ولم يذكرهم ذاكرنا ولم يتركوا بصمة لمن بعدهم .

اما النبي (ﷺ) كان يحمله الشوق الكبير الى الابناء والعقب لاسيما بعد موت من ولدته له السيدة خديجة (ع) وشماته شائنيه به فسماه البعض بالأبتر لانقطاع نسله ، وفي ذلك نزلت الآية المباركة " أن شانئك هو الابتر " (٢) ، وقيل هذه الآية نزلت في العاص ابن وائل حين قال عن الرسول (ﷺ) : انه ابتر اي لا عقب له .فقال تعالى " ان شانئك هو الابتر " اي المقطوع الذكر بعده ولو خلف الوفاً من النسل والذرية ، وان الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الاولاد والعقب (٣)

فقد مر نيف وعشرين سنة ولم تلد خلالها زوجة من زوجاته ، كما و توفي في هذه الفترة اولاده جميعاً عدا فاطمة (عليها السلام) التي توفيت بعده بقليل ، توفي الطاهر و القاسم وكذلك طفلين (٤) .

و بعد ان شمت به اعدائه وقالوا عنه بانه سرعان ما يموت وينقطع نسله ، لكن الله عز وجل ابى لنبيه ذلك فمنحه من النسب ما يستمر حتى يوم المحشر ، و رد على من زعموا بان محمد (ﷺ) أبتر بسورة قرآنية مباركة ووصفهم بالبتر دون محمد (ﷺ) ، فمات جميع اولاده عدا السيدة الطاهرة فاطمة التي ماتت حزناً وغماً وقتلاً من بعده .

فيقول العقاد: " لسنا ندرى لم طالبت الفترة التي مضت على أزواج النبي جميعاً بغير عقب " (١) .

١ - عبقرية محمد ، ص ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ .

٢ - سورة الكوثر : آية (٣) .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٥٧ ؛ ابن اسحاق ، محمد ابن اسحاق بن يسار المطلبي المدني (١٥١ هـ / ٧٦٨ م) ، سيرة ابن اسحاق ، تج: سهل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ٩٤ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ١٣٣ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٢ / ٨٤ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ١٠ / ٣٠٨ .

٤ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٥٧ .

ونجد العقاد هنا يقف عاجزا عن تبرير الاسباب الغيبية غير المعلومة التي منعت (ﷺ) من العقب الذكور رغم تعدد الزوجات ، ويعود العقاد ليطلق بعض الاجابات بناءً على ما هو متوفر لديه من الظواهر الطبيعية الواضحة للعيان دون الغيبية .

فيقول : ان عائشة البكر الوحيدة التي لم ينزج بامرأة بكر غيرها (٢) ، فقد مات عنها (ﷺ) وهي دون سن العشرين وهو السن الذي قد تبلغه المرأة و لاتلد ، ثم تكون ولوداً فيما بعد . أما نسائه الاخريات اللاتي تزوجن من قبله فلم تكن نعلم من أخبارهن على أنهم أعقبن لأزواجهن السابقين خلف غير رملة أم حبيبة و كذلك هند بنت أمية المخزومية وهذه كانت مسنه يوم تزوجها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وفي عمر لا يسمح فيه الانجاب ، فكلهن ماعدا هاتين لم يلدن لمحمد (ص) او لزوج قبله (٣) .

اضافةً الى كلام العقاد يمكن القول إن عدم أنجاب زوجاته (ﷺ) طيلة فتره حياته معهن ليس بالعجيب ، لأنه (ﷺ) عندما قرر الزواج منهن لم يضع أمر النسل نصب عينيه ، بل كانت اهدافه لحمايتهن وإيوائهن فضلاً الى انشغاله بنشر دعوته والدفاع عنها وحماية الامة ودرء الاخطار عن دولته الجديدة .

أما علة عدم ترك الله ولداً للرسول (ﷺ) ، هناك من يذكر بأسناد عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) لما سأل عن ذلك قال : " لان الله خلق محمد صلى الله عليه و اله نبياً ، وعلياً (عليه السلام) وصياً ، فلو كان لرسول الله ولداً من بعده لكان أولى برسول الله من أمير المؤمنين ، فكانت لا تثبت وصية أمير المؤمنين " (٤) .

كما ان هناك تحليل للعلامة شيخ الاطباء ابن النفيس موضحاً من اسباب انعدام العقب للرسول (ﷺ) من الذكور ، يقول : لما كان (ﷺ) مزاجه شديد الاعتدال لم يكن أولاده اناثاً فقط ، لان ذلك انما يكون لبرد المزاج ، ولا ذكورا فقط لان ذلك انما يكون لحرارة المزاج ، فلما كان مزاج النبي (ﷺ) معتدلاً فيجب ان يكون له بنون وبنات ، وبنوه يجب أن لا يطول أعمارهم ، لان اعمارهم اذا طالت بلغوا الى سن النبوة وحينئذ فلا يخلوا أما ان يكونوا انبياء او لا يكونوا كذلك ، ولا يجوز ان يكونوا انبياء و الا لما كان هو خاتم

١ - عبقرية محمد ، ص ١٥٧ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ١٥٧ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ٤٢٥ / ٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣ / ١٣٠١ .

٣ - عبقرية محمد ، ص ١٥٧ .

٤ - الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) ، علل الشرائع سلوا أهل البيت عليهم السلام ، دار المرتضى ، بيروت ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ١ / ١٣٢ - ١٣٣ .

النبيين ، ولا يجوز ان يكونوا غير أنبياء و الا كان ذلك نقصاً في حقه (صلى الله عليه واله وسلم) وانحطاطاً عن درجة كثير من الانبياء ، فأن كثير من الانبياء أولادهم ايضاً انبياء ، أما بنات النبي (ﷺ) فيجوز أن تطول أعمارهن ، لأن النساء لسن أهل النبوة (١)

طال اشتياق النبي محمد (ص) الى ذلك الوليد المأمول وكثر اشتياقه في عقب كل زوج ، حتى جاءت ماريه القبطية وكانت من قطر بعيد ومن معدن مغاير من غير المعدن الذي يختاره من تقريب الاسر والعصبيات وايواء المحزونات ، فبشرت هذه الغريبة النبي(ص) بعقباً لعله غلام (٢) .

وماريه هذه هي التي اهداها المقوقس حاكم مصر الى النبي (ﷺ) عندما ارسل اليه بكتاب جواباً على كتاب النبي ، مما جاء فيه " وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم" ، وكانت ماريه وأختها سيرين ، عرض عليهما الرسول الاسلام فأسلمتا ، و رضي بها رسول الله (ﷺ) وكانت حسنة الاسلام (٣) .

فولد ابراهيم ، وهو الطفل الذي نظر له ابوه يوم مولده وأمتد به الأمل الى مئات السنين و اختار له الاسم لكن مات هذا الطفل الصغير و قد مات معه ذلك الامل الكبير ، فيقول العقاد : "اي صدمة في ختام العمر" مات الطفل ولما يبلغ السنين (٤) وعاش عامين الا شهرين (٥) .

ثم استمر اشتياق النبي (ﷺ) للولد الذي لم يرزق به في مقبل عمره حتى بلغ السنين من عمره بعد زواجه بماريه القبطية . لكن هذه الفرحة بهذا الوليد لم تستمر ولأسباب غيبية ايضاً فقد توفي الوليد الصغير ولم يستمر سنتين من عمره مع والده ، كان محمد (ﷺ) مثال الاب سواء أكان له نسل من قريب او بعيد . من ذكر او انثى صغيراً كان أو كبيراً .

وقد برز ذلك من خلال رعاية وحبه لابناء ابنته فاطمة (عليه السلام) وقد قيل ان الحسن بن فاطمة دخل عليه و ركب على ظهره وهو ساجد في محراب صلاته ، فما كان منه

١ - الشامي ، سبل الرشاد ، ١١ / ١٨ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٥٨ .

٣ - الزبيري ، الزبير بن بكار بن عبدالله بن القريشي الاسدي المكي (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، المنتخب من كتاب ازواج النبي ، تح: سكينه الشهابي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، ص ١٩ ؛ ابن هشام ، سيرة ، ١ / ١٩١ ؛ الصلابي ، السيرة النبوية ، ص ١٨ .

٤ - عبقرية محمد ، ص ١٥٩ ؛ ابن كثير ، السيرة ، ٤ / ٦٠٧ ؛ الزبيري ، المنتخب ، ص ٢٢ .

٥ - ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ٣٨ .

(ص) الا أن يشفق أن يشغل الحسن عن لعبه ، فيطيل السجدة حتى ينزل الحسن عن ظهره ، ويسأله بعض اصحابه يارسول الله لقد أطلت في سجودك فيقول : " أن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله" (١).

تكاد المصادر تعج بكثرة ما تذكره عن شدة تعلقه (ﷺ) بأبناء فاطمة ، ومنها ما ترويه فاطمة الزهراء (عليها السلام) حيث تقول عن النبي (ص) قوله : (كل بني آدم ينتمون الى عصابة الا ولد فاطمة فأنا وليهم وانا عصبتهم) (٢).

ان ابوة الرسول وحنانه لم تقتصر على ولده من صلبه ، بل طالت لتشمل الاقرب والابعد وخير مثال على ذلك حسن معاملته لأبناء بنته الذي فاق حبه لهم حب الجد لأحفاده حتى عرف عنه ذلك المسلمين جميعاً ، وان محمد (ﷺ) وما بلغت عظمته في السماء قبل الارض فيقول : (ان ابني ارتحلني) واصفاً بذلك صعود الحسن (ﷺ) على ظهره في صلاته ، أطال سجوده ليكمل الحسن لعبه فما شدة الحب الذي يكنه (ﷺ) في قلبه للحسن واخوته (عليهم افضل الصلاة والسلام) .

اما علاقته بأبنته فاطمة (عليها السلام) التي كانت اشبه الناس مشية بمشية محمد (ﷺ) اي حنان يفيض على قلبه حين يرى فتاة تشبه أباها في مشيته وسمته (٣) ، فهذه فاطمة بقية الباقيات من البنات والابناء يختصها النبي في مناجاته عند غشية وفاته فيقول لها : " اني مفارق الدنيا فتبكي ، انك لاحقة بي فتضحك ، في هذا الضحك وفي ذلك البكاء على برزخ الفراق بين الدنيا والاخرة ، اخلص الود والحنان بين الاباء والابناء ، سرها بنبوته ، وسرها بأبوته ، فضحكت ساعة الفراق لأنها ساعة الوعد باللقاء و وكذلك فارق الدنيا أكرم

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص١٦٣؛ الاربلي ، ابي الحسن علي ابن عيسى بن ابي الفتح الاربلي (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢م) ، كشف الغمة في معرفة الائمة، تح: علي آل كوثر ، دار التعارف ، بيروت ، ٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م ، ٣٠٣ / ٢ .

٢ - حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧م) ، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، تح: بكري حياني و صفوة السقا ، ط٥ ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ١٢ / ٩٨ ؛ المناوي ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ / ١٦٢١م) ، اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب و الفضائل ، تح: عبد اللطيف عاشور ، مكتبة القرآن للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ٩ .

٣ - ابن حجر ، الاصابة ، ٤ / ٤٠ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ١ / ٢٢٢ .

الانبياء وأكرم الآباء" (١)، وقيل ان فاطمة (عليها السلام) ماتت بعد ابيها (ﷺ) بستة أشهر وقيل ثمانية وقيل بثلاثة أو دونها (٢).

يبدو ان علاقته بأبنته الوحيدة الجليلة فاطمة (عليها السلام) فهي علاقة يصعب على الواصفون وصفها، فهي فاقت علاقة الاب بأبنته في جزيرة العرب التي كان وئد البنات مباحاً فجاء محمد (ﷺ) ليقبل يد فاطمة حين تدخل عليه، فذلك انتقاله كبيرة لعلاقة الاب بأبنته. فاطمة اشد الناس شبه به (ﷺ) في مشيته وكلامه وصوته، وسجاياه، فأبلغها بانها أسرع الناس لحوقاً به، وذلك عندما رأى الحزن قد بات يقتلها فأضحكها قبل وفاته خوفاً على فؤادها من الكظم والوجد.

عبقرية محمد (ﷺ) الادارية :

كان الرسول (ﷺ) يوصي بالرياسة اينما وجد العمل الاجتماعي الذي يتطلب التدبير ومن قوله " اذا خرج ثلاثة في سفر يؤمروا أحدهم" (٣)، وكان (ﷺ) يرسل الجيش ويعين له أمير وخليفة لهذا الأمير، وايضا خليفة للخليفة، اذا اصيب أحدهم فيخلفه الآخر، وكان من مقومات الرئاسة والامامة عنده (ص) هي الحب والكفاءة ويقول: " ايما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس، علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين"، وقوله (صلى الله عليه واله وسلم) " ايما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه" (٤).

وكانت أوامر الاسلام ونواهيها معلومة للمسلمين من المهاجرين والانصار، ولكنه (ﷺ) لم يترك احدً من المسلمين ان يعطي لنفسه الحق في اقامة الحدود و إكراه الناس أو اجبارهم على طاعة الاوامر، الا من كانت لهم ولاية الأمر على الناس (٥).

١ - العقاد، عبقرية محمد، ص ١٦٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١١٢/٢؛ ابن حجر، الاصابة، ٤٠ / ٤.
 ٢ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ١١٣/ ٢؛ النووي، تهذيب الاسماء، ٢٤٩ / ٣؛ ابن جماعة، المختصر، ص ٤٨؛ ابن حجر، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ٤٤٨م)، تقريب التهذيب، تح: محمد عوامه، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، ص ٧٥١.
 ٣ - العقاد، عبقرية محمد، ص ٨٢؛ ابي داود، سنن ابي داود، ٢٦٠ / ٣.
 ٤ - العقاد، عبقرية محمد، ص ٨٢.
 ٥ - العقاد، عبقرية محمد، ص ٨٢ - ٨٣.

كان (ﷺ) كثير الاهتمام بإدارة أمور المسلمين على أتم وجه ، وحثهم على ذلك سواء كان ذلك من أمور الجيش والقيادة ، فكان (ﷺ) يعمل على تنصيب أكثر من قائد لجيش لكي لا يختلف العسكر بعد موت قائده وتتشتت قوتهم وهذا ما شاهدناه في معركة مؤته حيث أمر (ﷺ) زيد بن حارثة لإن استشهد فجعفر ابن أبي طالب لان استشهد فعبده بن رواحه (١) ، ولم يقتصر على الجيش بل حث المسلمين على تنظيم أمورهم الخاصة وأن سافر ثلاثة فليأمروا احدهم لكي لا تختلف كلمتهم ومن اجل أن تشيع بينهم روح الوحدة .

يقول العقاد : "إن الإدارة العليا انما تتجلى في تدبير الشؤون العامة حين تصطم بالأهواء وتندثر بالفتنة ، فليست الإدارة كلها نصوصا وقواعد ... ولكنها في كثير من الاحيان علاج نفوس وقيادة اخطار لا أمان فيها من الانحراف القليل هنا او الانحراف القليل هناك وذلك هو المجال الذي تمت فيه عبقرية محمد في حلول التوفيق ، واتقاء الشرور احسن تمام ، فما عرض له تدبير امر من معضلات الشقاق بعد الرسالة ولا قبلها الا اشار فيها بأعدال الآراء وأدناها الى السلم والارضاء" (٢) ، و إن إدارة الرسول (ﷺ) وحسن قيادته قد برزت على جميع الأصعدة .

١ - العيني ، شرح سنن ابي داود ، ٦ / ٤٣ ؛ الكشميري ، محمد انور شاه ابن معظم شاه (ت ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م) ، العرف الشذى شرح سنن الترمذي ، تح: محمود احمد شاکر ، دار التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ٢ / ٤١٤ .

٢ - عبقرية محمد ، ص ٨٥ .

المبحث الثاني

عبقرية محمد (ﷺ) السياسية والعسكرية

عبقرية محمد (ﷺ) السياسية :

ان للسياسة معاني كثيرة في العصر الحديث ،منها ما يكون بين الدول من علاقات و مراسيم ، ومنها ما يكون أيضا بين هذه الدول من خطط ومعاهدات في اعمالها الخارجية ،ومنها ما يكون بين الراعي ورعيته او بين الوزارات والأحزاب من دعوات و برامج ، وأن النبي (ﷺ) قد تولى اعمالا كثيرة مما يمكن ان يطلق عليها لفظ السياسة ولكننا لا نعرف عملا واحداً أفضل أعمال السياسة "وأجمع لضروبها وأبعد عن المشاركة في صفة القيادة العسكرية أو صفة الوعظ العلني من عهد الحديبية" (١) .

كان الرسول (ﷺ) سياسياً قديراً في جميع مراحل دعوته ،لولم يكن ذلك لما تمكن من اقامة دولة الحق والعدل بين اناساً ملكوا كل ضروب الخشونة والعناد ، لكن العقاد يرى أن صلح الحديبية قد جمع كل معاني السياسة للرسول (ﷺ) ، و أنه (ﷺ) أمتاز بحسن سياسته و ادارته للأمر من قبل أن يبعث بالنبوة و خير دليل على ذلك ما حدث حين وضع الحجر الاسود ، وكيف تمكن من ارضاء جميع القبائل و أطفاء النائرة .

وقد شاهدنا صنعه (ﷺ) عندما اختلفت القبائل في إقامة الحجر الاسود في مكانه وهو الشرف الذي لا تتنازل عنه قبيلة لأخرى ، فيقول العقاد أن الرسول (ﷺ) صلى الله عليه واله وسلم) أشار بالرأي الذي لا يوجد رأي غيره في ذلك الوقت ، فجاء بالثوب فوضع عليه الحجر الاسود، واشرك فيه كل زعيم قبيلة في حمل طرف من أطرافه ، وكان من نصيبه هو و بموافقة جميع الناس أن يقيم الحجر الاسود بيده الشريفة حيث كان (٢) .

ولا يعرف ماذا سيحصل لو لم يتوصل النبي (ﷺ) الى الحل ، حيث ارتضوا حكمه بعد أن دخل عليهم، فقالوا هذا الصادق الأمين ارتضيناه حكماً، ففرش رداءه ووضع الحجر وتساوى الجميع بشرف حمله ، لكنه ترك أمر وضع الحجر في مكانه بنفسه ، فيرى

١ - العقاد ،عبقرية محمد ، ص ٧١ .

٢ - عبقرية محمد ، ص ٨٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١ / ٢٥٢ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٣ / ٢٧٣ - ٢٧٤ الصلابي ، السيرة النبوية ، ص ٨٩ .

العقاد انه لا يرى حكماً أعدل منه في ذلك الوقت ، وحتى الوقت الحاضر اي بعد أربعة عشر قرناً .

و الحدث الابرز الذي أشار اليه العقاد بخصوص هذا الموضوع هو صلح الحديبية وذلك عندما خرج (ﷺ) الى مكة في رحلة الحديبية وكان حاجاً لا غاياً وكثيراً ما قال ذلك وكرره ، و ابرز ما يبين نية السلم لديه هو تجرده من السلاح^(١) .

وعندما اتفق الطرفين المسلمين وقريش على التهادن و التعاهد، كانت سياسة الرسول الاكرم (ﷺ) في الموافقة على شروط قريش غاية^(٢) في " الحكمة والقدرة الدبلوماسية كما يطلق عليها اليوم باصطلاح الساسة المحدثين" .

فدعا علياً بن ابي طالب (عليه السلام) فقال له : بسم الله الرحمن الرحيم "

فقال سهيل بن عمرو^(٣) وهو مبعوث قريش : امسك ، فأنا لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم " ، فقال الرسول : اكتب باسمك اللهم

ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله (ﷺ) سهيل بن عمرو

فرد سهيل : امسك ، لو شهدت انك رسول الله فلماذا اقاتلك ، ولكن اكتب اسمك اسم ابيك . وقيل ان علي (عليه السلام) تردد في مسحه فمسح النبي (ﷺ) ما كتب بيده ، و طلب منه ان يكتب محمد بن عبدالله بدلاً من محمد رسول الله^(٤) .

أن أمر الرسول (ﷺ) بمسح اسم الله الرحمن الرحيم ، وتجريد اسمه من الرسالة رغبة لمنذوب قريش ما هو الا ضرب من ضروب السياسة الدبلوماسية التي قل نظيرها في الزمن الغابر والحاضر .

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٧٣ : الطبري ، تاريخ الامم ، ١٦ / ٢ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد، ص ٧٤ : الطبري ، تاريخ الامم ، ٢١ / ٢ .

٣ - سهيل بن عمرو بن شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري ، وكان قد أسره المسلمين يوم بدر ، وكان من كبار زعماء قريش و أسلم عند فتح مكة ، ومات بالطاعون وقيل في معركة اليرموك سنة ثلاث عشرة للهجرة . ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٨ / ٢ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٤٧٦ / ١ .

٤ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٧٤ ؛ الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلامي ابو عبدالله (ت ٢٠٧هـ / ٨٨٣م) ، المغازي ، تح: مارسدن جونز ، ط ٢. دار الاعلمي بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ١٠٦ / ٢ ؛ المباركفوري ، صفى الرحمن (ت ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م) ، الرحيق المختوم، دار الهلال بيروت ، (د.ت) ، ١ ، ٣٠٤ / ؛ الحكمي ، حافظ بن محمد بن عبدالله ، مرويات صلح الحديبية ، مطابع الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٦٩ .

فتعاهدوا على ان كل من اتى محمد (ﷺ) من قريش دون اذن وليه فعليه رده اليهم، ومن جاء قريش من اتباع محمد لم يرجعوه عليه، وانه من اراد من العرب مخالفة محمد (ﷺ) فلا جناح عليه، ومن اراد مخالفة قريش من العرب فلا جناح عليه ايضاً، وعلى محمد (ﷺ) صلى الله عليه واله وسلم واصحابه الرجوع عن مكة في عامهم هذا و أن يعودوا إليها في العام القادم، و يقيموا فيها ثلاثة ايام و سيوفهم في أغمادها (١).

وهنا ذكر العقاد: لو ان صلح الحديبية كتب بعد قتال كان قد انهزم فيه المشركون وانتصر المسلمون فيه لكتب على غير ذلك الاسلوب، فيعترف فيه المشركون طوعاً أو كرهاً بصفة النبوة، ولكنه عهد مهادنة او عهد من اجل ايقاف اعمال العداء الى وقت اخر، ثم يبدأ العقاد بتحليل شروط الصلح فيقول: لو ان النبي (ﷺ) شرط على قريش بان ترد عليه من يأتيها من رجاله لكان ذلك نقض لدعوة الهداية الاسلامية، فأن المسلم الذي يعمل على ترك النبي باختياره ليذهب الى قريش فهذا ليس بمسلم، اما المسلم الذي يذهب الى قريش مكرهاً و كان رجلاً ضعيف الايمان و فتنوه عن دينه فلا يوجد خير فيه. وان كان الرجل وثيق الدين و بقي على اسلامه فلا خسارة للمسلمين (٢).

وما انقضت فتره قصيرة حتى عرفت قريش على انها الخاسرة بهذا الشرط الذي كانت قد عدته ربحاً لها وخسراً لمحمد (٣).

ويعد هذا الصلح نصر عظيم للمسلمين فقريش التي لم تكن تعترف بالمسلمين بأنهم قوة وتحاول القضاء عليهم واستئصالهم فما هي اليوم تجنح للصلح معهم مما يدل على فشلهم في مقاومتهم. فيعد هذا الصلح فوز سياسي باهر للمسلمين.

ويرى العقاد أن من مزايا هذا العهد ان النبي استراح من قريش وفرغ ليهود خيبر ونزلت الآية الكريمة بعد اتفاق الحديبية، "انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً" (٤).

لم يعرف الكثيرون معنى هذه الآية في وقتها، ولم يعرفوا موضع ذلك الفتح من هذا الاتفاق الذي اعتبروه محض تسليم، لكنهم عرفوا معنى ذلك الفتح بعد سنتين (١).

١ - العقاد، عبقرية محمد، ص ٧٤؛ المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٣٠٤؛ النجار، القول المبين، ص ٣١٦؛ الحكمي، مرويات الحديبية، ص ١٦٦.

٢ - عبقرية محمد، ص ٧٤؛ المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٣٠٨.

٣ - العقاد، عبقرية محمد، ص ٧٥.

٤ - سورة الفتح: آية (١)؛ عبقرية محمد، ص ٧٦.

فهم من هذا الصلح الذي عقده (ﷺ) مع قريش كان غاية في الحكمة من اجل كسب الوقت لاستعداد المسلمين لفتح اكبر وتوجيه انظارهم لتخلص ممن يحيك لهم الدسائس داخل الجزيرة وهم اليهود ، ثم توجه الرسول (ﷺ) بأرسال الرسل الى ملوك الدول الاخرى محاولة جديده لنشر الاسلام خارج جزيرة العرب.

الفتح المبين (٨ هـ):

يقول العقاد: " كان في تلك السنة فتح يراه الناظر بعين الغيب ولا يراه الناظر بعينه لكنها سنة واحدة ثم رأى الفتح المبين من لا يرون بغير العيون ،فسر قوماً وساء آخرون ، ففي السنة التالية نادى رسول الله (ﷺ) اصحابه ان يتجهزوا للحج ولا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فخرجوا في شوق المنطلق بعد منع والمنتظر بعد صبر الا من استشهد في خيبر" (٢)

اي بعد عام من الحديبية جاء الفتح الذي تكلم عنه القرآن مسبقاً بقوله " انا فتحنا لك فتحاً مبيناً" (٣) ، فخرج كل من حضر الحديبية باستثناء من استشهد في خيبر سنة (٧ هجرية) ضد اليهود.

وخرج يتبعهم النساء والاطفال وحمل الرجال السلاح والدروع وخرج جيش مكون من مائة فارس يقودهم محمد بن سلمة فلما وصل النبي واصحابه الى ذي الحليفة وعلمت قريش بالخبر فأرسلوا مكرز بن حفص مع جماعة فجاءوا وهم يقولون : والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، فقال (ﷺ) : اني لم ادخل عليهم وانما احمل السلاح للحيطه ، كما قال لصحبه : ان هاجنا هائج من القوم كان السلاح قريبا منا (٤).

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٧٦ .

٢ - عبقرية محمد ، ص ٧٧ .

٣ - سورة الفتح : آية (١)

٤ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٧٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٣١/٤ .

ثم اقبل بناقته القصواء ^(١). وجميع المسلمين متوشحون بسيوفهم يلبون الله ويهللونه
واخذ عبد الله بن رواحة بناقة الرسول وهو يقول :

خلو بني الكفار عن سبيله خلو فكل الخير في رسوله

يارب اني مؤمن بقبيله اني رأيت الحق في قبوله ^(٢) .

واوشك ابن الرواحة بعد أن هزته النخوة بأن يصيح بقريش صيحة الحرب ، فأمره
الرسول (ﷺ) ان ينادي بـ: "لا اله الا الله وحده نصر عبده واعز جنده وخذل
الاحزاب وحده" ، فرفع صوته الجهير و ردها خلفه المسلمون ^(٣) .

وان أصدر أوامر الرسول (ﷺ) بعدم الصيحة بالحرب في مكة ، لأنه لم
يكن راغباً في القتال ، وانه دخل مكة منتصراً دون قتال فلا حاجة للحرب وانه
(ﷺ) لا زال ملتزماً بعهده مع قريش ، هكذا تجلت عبقريته (ﷺ) في
سياسة الامور التي واجهت دولته كما تجلت سياسته في قيادة الجيوش ، بحكمته ودرأيته
والتزامه بالعهود فتمكن من قيادة المسلمين الى فتح كبير طالما تاقت اليه نفسه منذ خروجه من
مكة مهاجراً .

عبقرية محمد العسكرية :

بين العقاد بعض الحقائق التي وضح من خلالها عبقرية الرسول (ﷺ) العسكرية
فيقول: ((ان محمداً كان على اجتنابه العدوان يحسن من فنون الحرب مالم يكن يحسنه المعتدون
عليه ، وانه لم يجتنب الهجوم والمبادأة بالقتال لعجز او خوف مما يجهله او لا يجيده .. ولكنه
اجتنبه لأنه نظر الى الحرب نظرتة الى ضرورة بغيضه)) ^(٤)

١ - القصواء : وهي من نعم بني الحريش ابتاعها ابو بكر واخرى معها بثمانمائة درهم وأخذها الرسول
بأربعمائة فكانت عنده حتى نفقت وهي التي هاجر عليها وكان أسمها القصواء والجدعاء والعضباء. ينظر :
الطبري ، تاريخ الامم ، ١٠٤/ ٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٨٥/ ١ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٧٧- ٧٨ .

٣ - العقاد عبقرية محمد ، ص ٧٨ .

٤ - عبقرية محمد ، ص ٣٣ .

اي ان الرسول (ﷺ) لم يكن يجتنب الحرب بسبب انه لم يكن يعلم بفنون الحرب وذلك عكس نشأته وتربيته في بيت امتاز بالشجاعة والاقدام ، وانه (ﷺ) كان قد شهد حرب الفجار^(١) مع اعمامه ، ولم يجتنب الحرب لخوف وهو لم يتسرب الخوف الى قلبه ، وكيف يعرف الخوف من صدع بدعوة هزت مضاجع طغاة قريش .

وهنا نجد العقاد قد وصل الى مجموعة من الحقائق منها :

اولاً : ان معظم الواصفين الاسلام بانه دين قتال لكن الاسلام منذ بداية أمره كان هو المعتدى عليه ، وليس له اعتداء على احد ، و بقي كذلك حتى بعد اجتماع الناس على الدخول في الدعوة المحمدية (ﷺ) فإن المسلمين كانوا يحاربون من يحاربهم ولا يزيدون بذلك ، وقال تعالى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(٢) ، وان حروبه (ﷺ) كانت حروب دفاعية ولم يكن منها هجومية الا ما كان على سبيل المبادرة لغرض الدفاع بعد التيقن من نقض العهد والاصرار على الحرب ، ومنها حروبه مع قريش ومع اليهود والروم ، وفي غزوة تبوك رجع الجيش الاسلامي الى المدينة عندما ضمن بانصراف جيوش الروم من القتال، وكان قد وصل خبراً الى النبي(ص) مفاده بان الروم اخذوا يحضرون جيوشهم على حدود بلاد المسلمين ، فلما تراجعوا تراجع جيش المسلمين عن الغزوة ، بعد ما تكلف الرسول النفقة والجهد في اعداده وسفره وتجهيزه^(٣) .

لذلك نرى أن الاسلام لم يكن دين قتال منذ بدء الدعوة وحتى عند تأسيس دولتهم و تكاثر عدد المسلمين و تعاضم قوتهم ، وخير مثال على ذلك ما استعرضه العقاد وهي غزوة تبوك والتي ذكرها الله في سورة براءة ، على الرغم ما انفقه الرسول في تجهيز جيوش المسلمين فلم يبادر بقتال الروم حين انتهى خطرهم عليه .

ثانياً : وفي هذه الحقيقة يقول العقاد : "إن الاسلام انما يعاب عليه ان يحارب بالسيف والدم فكرة يمكن ان تحارب بالإقناع والبرهان ، ولكن لا يعاب الاسلام ان حارب بالسيف سلطة تعترض طريقة وتحول بينه وبين اسماع المستعدين للاصغاء اليه ، لان السلطة لاتزال الا بالسلطة ولم

^١ - حرب الفجار :وهي حرب كانت بين قريش وكنانه وبين هوازن وسميت بالفجار لان هوازن انتهكت فيها حرمة الحرم وانتصرت فيها قريش وكان عمر الرسول (ص) أربع عشرة سنة . ينظر : ابي الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١م) ، المختصر في أخبار البشر ،المطبعة الحسينية المصرية، مصر ، (دبت) ، ١/ ١٦٨ .

^٢ - سورة البقرة : آيه (١٩٠) .

^٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٣٣ - ٣٤ ؛ ابن كثير ،الفصول في السيرة ، ص ٨٨ . ، الواقدي ، المغازي ، ١٠١٩/٣ .

يملك زعماء قريش فكره يعارضون بها العقيدة الاسلامية، وانما كانوا اصحاب سيادة موروثه،
وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة في الابناء بعد الاباء " (١) .

و من هنا نلاحظ أن العقاد لا يعيب على الإسلام لو قاتل بالسيف قريش، لأنه يرى ان
السلطة لا تحاربها الا سلطة، ولا بد من استعمال القوة في التخلص منها، و أن قريش كانت
سلطة وليس لديهم فكر يمكن أن يواجه الاسلام بالبرهان و الاقناع .

لكن النبي قصد بدعوته عظماء الامم و الملوك و الامراء لان هؤلاء هم اصحاب
سلطة، حيث أرسل الرسل الى المقوقس حاكم مصر، والى كسرى حاكم الفرس، والنجاشي
ملك الحبشة، وهرقل قيصر الروم، لان هؤلاء ملوك اصحاب سلطة ترفض العقائد الجديدة (٢).

ثالثاً: يرى العقاد بأن الإسلام لم يحتكم ابدًا الى السيف الا في الحالات التي اجمعت فيها شرائع
الانسان الى تحكيم السيف (٣).، هذا ما يؤيده العديد من المؤرخين و منهم الدكتور حسن محمد
سفر قائلاً: "إن الإسلام أقر مبدأ اصول العلاقات الانسانية بين المسلمين و الامم الاخرى
وترسيخ احترام الحريات وذلك منذ اربعة عشر قرناً و عدم التضيق على المخالفين و اربابهم
وبذلك تندحر المقولة المزعومة التي يتشدق بها الاعداء الحاقدون على النظم الاسلامية مرددين
مقولة ان الاسلام انتشر بالسيف، ولكن الإسلام انتشر عن طريق الدعوة بالتي هي احسن
والمجادلة المقنعة و الحوار الهادف و لا يعرف السيف الا دفاعاً عن حرمانه و مقدساته" (٤) .

رابعاً: ان الاسلام شرع فيما بعد الجهاد، وان الرسول (ﷺ) قال " امرت أن قاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوا عصموا مني دماءهم و أموالهم الا بحقها و حسابهم على
الله " ، وجاء في كتاب الله (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ
أَنْ يَكْفَ بِأَسْ الدِّينِ كَفَرُوا ۗ وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا) (٥) .

١ - عبقرية محمد، ص ٣٤ - ٣٥ .

٢ - العقاد، عبقرية محمد، ص ٣٥؛ السيوطي، عبدالرحمن بن ابي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)،
الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ٢/ ٣٠٣؛ المباركفوري، الرحيق المختوم
٣١٣/١.

٣ - عبقرية محمد، ص ٣٥ - ٣٦ .

٤ - نظرات استشرافية في فقه العلاقات الانسانية بين المسلمين و غير المسلمين، (د.ط)، (د.ت)، ص ١٤ .

٥ - سورة النساء: آية (٨٤)؛ العقاد، عبقرية محمد، ص ٣٤.

فإن القتال المأمور به النبي هو الجهاد لإعلان كلمة الله وقد كان النبي (ﷺ) غير مأذون بالقتال في أول ظهور الاسلام. ثم أذن له بقوله تعالى (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا) (١).

فعمل المسلمين على فتح بلادا غير بلاد العرب لكن هذه الفتوح تأخرت ولم تتم الا بعد استقرار دولة الاسلام ، ولا يمكن ان يقال ان هذه الفتوح وسيلة لظهور الاسلام ، فلو قلنا بان خليفة المسلمين يدعو اليه وينشره ، لوجب عليه في ذلك العهد ان يحمي بلاده من التخبط والفوضى التي انتشرت في بلاد فارس والروم (٢).

فبعد أن شرع الله الجهاد قامت حركة الفتوحات العربية وهذه الفتوحات حدثت بعد عصر الرسول (ﷺ) ولم تظهر الا بعد استقرار الإسلام في دولة متكاملة ذات سيادة وجيش ومؤسسات ، ويرى العقاد أن الهدف من هذه الفتوحات هو لدرء خطر الاعداء المجاورين وليس لظهور الاسلام لان في هذا الوقت لم يعد الاسلام بحاجة لظهوره.

فبدأت حركة الفتوحات في زمن الخليفة ابي بكر (٣) فتم فتح الشام سنة (١٣ هـ) وهي السنة التي توفي الخليفة ابوبكر (٤) ، والعراق سنة (١٥ هـ) في معركة القادسية في عهد عمر ، وبلاد فارس (٢٣ هـ) في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (٥) وفتح مصر تم في عهده ايضاً (٦)

١ - سورة الحج : آية (٢٩) ؛ العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٣٤ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٣٧-٣٨ ؛ الشامي ، سيل الهدى ، ٦/٤ .

٣ - ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ، ٢ / ٢٥٩ .

٤ - أبو حنيفة الدينوري ، ابوحنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) ، الاخبار الطوال ، تح: عبدالمنعم عامر ، دار احياء الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ص ١٢٤ .

٥ - الواقي ، محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلامي ابو عبدالله الواقي (٢٠٧هـ/٨٢٢م) ، فتوح الشام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ١ / ٦٠ ؛ ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/٣٠٩م) ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، تح: عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ، بيروت ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢٥ .

٦ - ابن تغري بردي ، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي ابو المحاسن جمال الدين (ت ٨٧٤هـ/٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة ، دار الكتب ، مصر ، (د.ت) ، ١ / ٣٤/

حنكته السياسية :

كان النبي (ﷺ) نعم القائد البصير لا يطلب الحرب الا اذا دعت اليها المصلحة اللازمة ، وكان يعلم من فنون الحرب بالالهام مالم يعرفه الاخرين بالدراسة والتجربة ، ويصيب في اختيار وقت الحرب وتسير الجيش ووضع الخطط ، وكان (ﷺ) يصيب و يوفق في وضعها كما يعمل بالمشورة لان المشورة الصالحة تعد آية من اهم آيات حسن القيادة^(١).

أي أن الرسول (ﷺ) كان نعم القائد في جميع حروبه فكان لا يربو الى حرب ، الا اذا دفعته المصلحة اللازمة لذلك ، وكان خبير بفنون الحرب والقتال ، وكان يباشر بتجهيز الجيش ووضع الخطط بنفسه ، ولكنه كان كثير الاستشارة لأصحابه ، فيرى العقاد ان استشارة القائد لجنوده وقواده من اجمل صور حسن القيادة .

وضرب العقاد مثلاً في ذلك وهي غزوة بدر المعركة الاولى في الاسلام التي استمع فيها النبي (ص) لمشورة الخباب بن المنذر^(٢) ، حيث اقترح على النبي الانتقال الى مكان اخر غير الذي نزل فيه^(٣) ، ويجري العقاد مقارنة بين ابرز القادة المحدثين الا وهو نابليون بوناپرت(ت ١٨٢١م / ١٢٣٦ هـ) حول أسلوب حرب الحركة لانه كان الأسلوب الغالب في أساليب الحرب في العصور الماضية ، و كان قد ظهر في الحرب العالمية الثانية، والذي لايزال يعمل به في جميع الحروب^(٤) .

و شتان ما بين الرسول الكريم و عبقريته السياسية و الادارية ونبوته و رسالته السماوية و بين نابليون بوناپرت، وان اختيار العقاد لنابليون بوناپرت بالتحديد لانه يعد من ابرع القادة الذين لهم حضور في أذهان الناس ، ولتجربته الفريدة الاولى بتولي حكم فرنسا بعد سقوط النظام الملكي فيها فكان الحاكم الاول للنظام الجمهوري الجديد، فهز بذلك ملوك القارة العجوز ، فلم يعد في تلك الفترة اي من دول أوربا الا ودخلها نابليون صينياً أوجيشاً ، فكان العقاد موفق في هذا الاختيار رغم عدم وجود أوجه مقارنة بين الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وبين نابليون

^١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٤٠ .

^٢ - الخباب بن المنذر : بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ويكنى أبا عمرو شهد مشاهد الرسول (ص) جميعها ، وكان لواء الخزرج في بدر معه ، وكان ممن ثبت مع رسول الله في معركة أحد ، وشهد السقيفة وبيع أبو بكر ، وتوفي في عهد عمر بن الخطاب . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣ / ٥٦٧ - ٥٦٨ .

^٣ - عبقرية محمد ، ص ٤٠ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣ / ٥٦٧ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ١ / ٤٤٤ .

^٤ - عبقرية محمد ، ص ٤٠ .

، لكن هذه المقارنة من الناحية العسكرية اثبتت سبق النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بخطته العسكرية .

ثم يكمل العقاد مقارنته للتذكير بين خط النبي (صلى الله عليه واله وسلم) و ما توصل اليه نابليون من خطط لاحقاً فيقول :

١- أن نابليون كان يوجه كل همه الى القضاء على القوة العسكرية لعدوه بأسرع وجه ، وكان اهتمامه الاكبر ينصرف الى مهاجمة جيش العدو بهجمة سريعة حيث يفاجئه بها ، وكان يستفاد من خطته هذه ثلاثة أمور هو اختيار المكان الملائم ، واختيار الفرصة ، ويعاجل جيش العدو قبل اكمال استعداده (١) ، وكان النبي (ﷺ) قد سبقه الى هذه الخطط بكافة تفاصيلها ، فكان (ص) لا يبدأ احد بالعدوان كما قلنا ، ولكنه اذا عرف بعزيمة أعدائه على حربيه، فلا يمهلهم حتى يهاجموه كما حصل في غزوة تبوك عندما بلغه خبر الروم، وكان الناس مجدبون ، والقيض ملتهب ، والشدة بالغة، فلم يثنيه ذلك عن خطته التي قد تعود عليها ، فحث المسلمين على جمع الاموال والرجال ولا يبالي بمحاولات المنافقين من إضعاف عزيمة وهم الذين توقعوا هزيمة الجيش المحمدي (٢).

اي ان الرسول (ﷺ) كان اذا علم بتجهيز أعداد الجيوش لقتاله يبادر (ﷺ) الى افشال خططهم بهجمه عسكرية مفاجئة ، ولا يضيع وقته لكي يرى ما يفعلون به ، كما لاحظنا ذلك في غزوة تبوك عندما علم ((ﷺ)) بتجهيز الروم للجيوش على الحدود مع الدولة العربية الاسلامية فجهز جيش لمباغنتهم رغم ظروف الحرجة التي يمر بها المسلمين .

٢- "كان نابليون يقول ان نسبة القوة المعنوية الى الكثرة العددية كنسبة ثلاثة الى واحد" ، وقد كان النبي (ﷺ) كثير الاعتماد على القوة المعنوية و في الحقيقة هي قوة الايمان ، وقد بلغت هذه النسبة عند الرسول (ﷺ) نسبة الخمسة الى واحد مع تفوق الفئة الكبيرة بالسلاح والركاب اضافة الى عدد الجنود ، فكانت معجزة الايمان اعظم مما بلغه نابليون ، بفضل ما اودع (ﷺ) في نفوس رجاله من عزيمة و صبر ، فأن النبي (ﷺ) كان يحارب قريشيين بقريشيين وعرب بعرب ، فلا يوجد لقوم على قوم

١ - عبقرية محمد ، ص ٤١ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٤١ ؛ ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ١٤٩ .

فضل بالمزايا الجسدية والنفسية كما يوجد في جيوش نابليون ، وكان انتصار الرسول بفضل الايمان والعقيدة^(١).

و ما أشير اليه من الصواب ، ما جاء به العقاد في تحليله لان النبي فعلا كان كثير الاعتماد على الروح المعنوية لدى جنوده اكثر من اعتماده على القوة العددية ، كانت المعارك التي قادها (ﷺ) قوته العددية اقل بكثير من اعداد العدو المقابل ، وانتصر في تلك المعارك كمعركة بدر التي كانت اعداد المسلمين اقل بكثير عن جيش قريش فكان النصر حليف المسلمين رغم الفارق الكبير

٣- بالرغم من كون نابليون يعد القضاء على القوة العسكرية من اولويات مهامه لكنه لا يغفل في الوقت ذاته عن القضاء على القوة التجارية و المالية لعدوه فقد حارب الانجليز بمنع سفنهم التجارية من الوصول الى اوربا ، وكان النبي (ﷺ) ايضا حارب قريش بتجاريتها فكان يبعث سرايا خلف بعض القوافل ، وأن بعض المتعصبين الاوربيين اطلقوا على هذه السرايا بقطاع الطرق، لكن العقاد يرد فيقول : إن هذه هي سنة المصادرة التي أقر بها القانون الدولي ، وعمل بها كبار قادة الجيوش ولاحظنا تطبيقها في الحرب العالمية الاولى و الثانية "رشيدا تارة وغالبا في الحمق والشطط تارة اخرى"^(٢) .

ان كان نابليون قد عمل على محاربة أعدائه بالقضاء على قوتهم الاقتصادية كما فعل مع الانكليز وفرض الحصار القاري عليهم، فأن الرسول (ﷺ) قد سبقه الى ذلك حين كان يرسل السرايا خلف القوافل القريشية كما فعل في ارسال سرايا لقافلة ابو سفيان .

٤- كان نابليون لا يقتحم المدن ولا يشغل نفسه بمحاصرتها من دون ضرورة عاجلة ، فلو رجعنا لغزوات النبي (ﷺ) فلا نجده عمل على محاصرة محلة ، الا ان يكون هذا الحصار هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة قوة قبل استعدادها وقبل تمكنها من الغدر و الوقعة ، كما حصل في حصار بني قريضة و القينقاع^(٣) .

أي أن النبي (ﷺ) قد سبق نابليون بعدم اللجوء الى فرض الحصار على المدن الا اذا اقتضت ضرورة ملحة عاجلة لكي يجبر جيش العدو بالخروج من المدن الى ميدان المواجهة

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٤٢ ؛ الصلابي ، السيرة النبوية ، ٢٦/ ٣ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٤٢ .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٤٣ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤٨/ ٢ ؛ الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ٦/٥ .

والقتال كما فعل (ﷺ) في حصار بني القريظة والقينقاع الذين كانوا من يهود المدينة وقد نقضوا عهدهم مع رسول الله .

٥- كان نابليون كثيراً ما يعتد رأيه في الخطط الحربية والفنون العسكرية وبالرغم من هذا الاعتداد كان لا يستغني عن الاستعانة بمشورة اصحابه في مجلس الحرب الاعلى قبل العزم على الزحف و القتال (١) .

وكان النبي محمد (ﷺ) على رجاحة رأيه يعمل على استشارة اصحابه في خطط القتال ويقبل مشورتهم، كما صنع في بدر في الاخذ برأي الخباب بن المنذر، وكذلك ما يخص حفر الخندق فقد عمل بمشورة صاحبه سلمان الفارسي حيث حفر الخندق في المكان الذي يخشى ان يهاجمهم منه المشركون ، فتم حفر الخندق وعمل (ص) مع الصحابة بيديه المباركتين في حفره (٢) .

فيقول العقاد ان قبول النبي (ﷺ) لمشورة سليمان من أعمال القيادة الرشيدة و هي سنة من سنن كبار القواد ، لكن العقاد يرى ان الرسول (ﷺ) كان خليقاً ان يشير هو بحفر الخندق في حال لم يكن سلمان موجود بين اهل المدينة ، لأنه (ﷺ) كثير الاهتمام بحماية الظهر وسد الثغور، في جميع حروبه ،كما فعل في معركة أحد حيث جعل الجبل خلفه وأقام عليه خمسين راميا وامرهم التزام بمواقعهم وقال لهم .."احموا ظهورنا فأنا نخاف ان يجيئوا من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ،وأن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا، وانما عليكم ان ترشقوا خيلهم بالنبل فأن الخيل لا تقدم على النبل " (٣) .

إن استشارة الأصحاب سنة سار عليها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في كثير من الامور التي تخص المسلمين .

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٤٣ .

٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ٣٠٤ / ١ ؛ ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) الدرر في اختصار المغازي والسير ، تح: شوقي ضيف ، ط٢ ، دارالمعارف ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م ، ص ٤٩ .

٣ - عبقرية محمد ، ص ٤٣ - ٤٤ .

فيكمل العقاد قائلاً: ان الذي يفعل ذلك في شعب جبل لا يمكن ان يفوته ان يفعل خندق في ثغرة مدينة ولكن عمل الرسول (ﷺ) برأي سلمان كان هدفه هو الاخذ بالمشورة (١) .

٦- لم يكن يعرف عن قائد عسكري حديث يهتم بالاستدلال والاستطلاع كعناية نابليون . لكن فراسة النبي (ﷺ) كانت مضرب الامثال فعندما رأى اصحابه يقومون بضرب العبدین الذي يستقون من ماء بدر ، بسبب انهما ذكرا ابا سفيان . فسألهم النبي عن عدد القوم لكنهم لم يعرفا العدد ، فسألهم عن عدد الجزور التي يذبحونها في كل يوم فعرف بذلك قوة الجيش من خلال معرفته مقدار الغذاء الذي يحتاجونه ، وكان يعقد ما يسمى اليوم (بمجلس الحرب) قبل كل قتال ، ليستمع فيه الى كل شخص بما لديه من خبرة في فنون الحرب والاستطلاع (٢) .

ان كان نابليون شديد الحرص على الاستطلاع قبل الحرب فكانت فراسة النبي (ﷺ) أشد منه وقد اثبت ذلك في معركة بدر عندما عرف عدد جيش المشركين وقوته من خلال معرفته كمية الطعام وعدد الجزور التي تنحر فهذه الفراسة والانتباه التي يمتلكها سيد الخلق ، لا يوجد لها نظير لدى قادة الجيش المحدثين .

وفي الحروب الحديثة يكثر ذكر (الاورام المختومة) التي يتم اصدارها الى قواد السفن والسرايا ليتم فتحها عند مدينة محددة ، أو بعد المسير بساعات ، و بذلك يكون القائد المطلع الوحيد على سر البعثة والرجال جميعهم يجهلونه ولا يعرف اي منهم خارجون في مناورة استطلاع ام في غزوة الا ولا يتم الكشف عن الامر قبل الحركة بساعات معدودة (٣) ، فأن هذه الاوامر المختومة ليست بحديثة فقد اتبعها (ﷺ) عندما بعث عبدالله بن جحش و اعطاه كتاب و أمره بعدم فتحه حتى مسيرة يومين وفحوى الكتاب " سر حتى تأتي بطن النخلة على اسم الله وبركاته ، لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامض فيمن تبعك حتى

١- عبقرية محمد ، ص ٤٤ ؛ المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ١ / ١٩٥ .

٢- العقاد ، عبقرية محمد ، ٤٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١ / ٢٨١ ؛ المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ١ / ٢١٤ .

٣- العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٤٦- ٤٧ .

تأتي بطن نخلة فترصد بها عين قريش وتعلم لنا من اخبارهم" ويعد هذا هو نموذج من الاوامر المختومة التي اتبعها (ﷺ) قديماً (١) .

وكان هدف الرسول (ﷺ) من إتباع هذا الأسلوب وجعل الأمر مكتوماً على من يسير بهذه البعثة واحيانا يعلم القائد فقط واحيانا لا يعلم فكان هدفه الاساس ، هو كتمان الخبر عن الذين يحيطون بالنبي فلا يستبعد ان يكون بعضهم مدخولاً في نيته أو عيناً على المسلمين من قبل قريش ، و قد يبوح بعضهم بالخبر ولم يقصد الاساءة ، و "ان الاستعانة على قضاء الحاجات بالكتمان لسنة حكيمة من سنن النبي الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم)" (٢) .

و إضافة الى ذلك كان يحضر مجلسه (صلى الله عليه واله وسلم) بعض المنافقين امثال عبدالله بن أبي سلول رأس المنافقين يحضر اجتماعات المسلمين العسكرية اثناء الحروب والذي كان يوافق على اراءهم بصفته أحد زعماء الخزرج (٣) .

ويكمل العقاد قائلاً : ينبغي الا تمر علينا سرية عبدالله بن جحش دون ان نفهم كل ما فيها من شؤون عسكرية ، لأنها تشمل اكثر من جانب من جوانب السنة النبوية الشريفة والتشريع الاسلامي ، فهي سرية استطلاع كما عرفنا لم يؤمرها النبي (ﷺ) بالقتال ، لكن بعد أن فض الكتاب فكان هناك اثنين من رجال هذا السرية ذهبوا لطلب بعيرا لهما قد أضل ، فأسرتهم قريش وهم عتبة بن غزوان و سعد بن ابي وقاص ، وعندما نزل الركب في النخلة ، مرت بهم عير قريش فكانت تحمل تجارة يقودها عمرو ابن الحضرمي في اواخر شهر رجب ، وكانت قريش احتجزت أموال بعض المسلمين الذين كانوا مع السرية ، حارو فيما يعملون أن هم تركوا العير تمضي في ليلتها فسوف تمتنع بالحرم فلا يمكن قتالهم أكراماً لبيت الله ، وأن قاتلوا اهلها فيكونوا قد قتلوه في الشهر الحرام ، لكنهم قرروا القتال فرمي احدهم على عمرو ابن الحضرمي بسهم فقتله وأسروا رجلين (٤) .

١ - العقاد، عبقرية محمد ، ص٤٧ ؛ العمري ، بربك بن محمد بربك ابو مايله العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، تح: اكرم ضياء العمري ، دار ابن الجوزي ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ١٠٢ .

٢ - العقاد . عبقرية محمد ، ص ٤٧ .

٣ - المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ١ / ٢١٤ .

٤ - عبقرية محمد ، ص ٥١ - ٥٢ ؛ ابن كثير، السيرة النبوية ، ٢ / ٣٦١ - ٣٦٧ ؛ العواجي ، محمد بن محمد العواجي ، مرويات الامام الزهري في المغازي ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ١ / ١٨٣ - ١٨٤ .

ثم عمد عبدالله بن جحش ومن معه بالرجوع الى المدينة وقدموا للنبي (ﷺ) الخمس من غنيمتهم لكنه رفض وقال لهم : "ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام ..وساءت لقياهم بين أهل المدينة" (١) .

وعملت قريش على إثارة العرب وأندس أيضا جماعة من اليهود يوقدون نار الفتنة ،ونادوا أن محمداً و اتباعه أباحوا الاموال والدماء في الشهر الحرام وقال بعض المسلمين في مكة، ان ذلك كان في شهر شعبان، و بعدها نزلت الآية الكريمة " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكَ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا" (٢) .

فقبض النبي (ﷺ) العير والاسيرين ،اما قريش طلبت فداءهما فقال (ﷺ) "لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبنا ،فأنا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم" (٣) .

وأن هذه السرية و بالرغم على ما وقع فيها من مخالفة لأوامر الرسول (ﷺ) لكن في المقابل نجم عنها تشريع سماوي قائم الى يوم البعث .

ثم يثير العقاد مجموعة من التساؤلات قائلا :

"ما الحكم بعد الان في قتال الاشهر الحرم" ؟

وماذا يبلغ من حقوق المشركين في الاحتماء تحت حرمة هذه الاشهر وهم لا يراعون للمسلمين حرمة ، ولايزالون يعملون على قتالهم ليردوهم عن دينهم قدر ما استطاعوا ؟

وما هو الجواب على تشهير قريش بهذه الحرمات التي لا ترعاها ؟ (٤) .

فيذكر القمي في تفسيره أن قريشاً كتبت لرسول انك استحللت الشهر الحرام وسفكت فيه الدماء وأخذت المال ، وجاء اصحاب رسول الله فقالوا يا رسول الله أيحل القتل في الشهر الحرام فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ...) ، قال القتال في

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ٥٢ص ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ص ٣٦٧ .

٢ - سورة البقرة : آية (٢) .

٣ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص٥٢ ؛ العمري ، البعوث والسرايا ، ص ١٠٠ .

٤ - عبقرية محمد ، ص ٥٣ .

الشهر الحرام عظيم ، ولكن الذي فعلت قريش بك يا محمد (ﷺ) من الصد عن المسجد الحرام والكفر بالله ، وإخراجك منها هو أكبر عند الله والفتنة يعني الكفر بالله أكبر من القتل (١) .

فيجيب العقاد قائلا : ان الحكم الذي جاء في هذه الآية كان واجبا على الاسلام أن يعلنه ، وقد اعلنها بالشكل الذي دانته الشرائع الحديثة في جميع علاقاتها الحربية والعسكرية ولا تزال تدين بهذا حتى اليوم ، فهناك العديد من الحرمات الدولية اذ خالفتها احد الدول بطل بذلك احتماؤها بها ، ويجوز لغيرها من الدول مخالفتها كما خالفتها هي ، أو يتخذ من القصاص ما يدفع الشر ويعوض الخسارة ، والا كانت هذه الحرمات بمثابة درع للمعتدين ولم تكن سداً او مانع في وجوههم كما يريد لها ان تكون، و ان اليوم عندما تنقطع العلاقة بين دولتين يكونا في حالة حرب فيحق لكل منهما ان تحتجز على ما عندها من أموال للدولة الاخرى وأن تأسر رعاياها الذين في بلادها ، ويجوز لها ان تجعل من المعتقلين رهائن حيث تعاملهم بما يعامل به المعتقلون من رعاياهم في سجون الدولة الاخرى ، فان الذي حصل بعد سرية عبدالله بن جحش هو هذا بعينه ، وهو حكم القانون الدولي الذي متفق عليه ، اسيران بأسيرين واموال العير بالأموال التي قد اجتزتها قريش عن للمسلمين ، ولامجال لضجة الناقدين ، فيقول العقاد: أن أصحاب هذه الضجة ينسون أن المعاملات الدولية في أيامهم لم تفصل في مثل هذه الحوادث بحكم اعدل ولا انفع من هذا الحكم الجليل الذي حكم به الرسول (ﷺ) ونزل به القرآن الكريم (٢) .

ونلاحظ مما تقدم أن أجابة العقاد على التساؤلات التي اثارها جاءت لتخرس الناقدين من المبشرين المتعصبين الناقمين على حكم الرسول (ﷺ) ، وبين لهم أن القوانين الدولية الحالية لو مرت بما مر به رسول الله (ﷺ) مع قريش لحكمت كما حكم الرسول (ﷺ) ، لأنه لا يوجد اعدل من الحكم الذي أطلقه ، وبالتالي جنب المسلمين من فتنة كادت أن تشعل فتيل الحرب بينهما .

١ - القمي ، تفسير القمي ، ١ / ١١٠ ؛ السيوطي ، تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ٢ / ٤ .

٢ - عبقرية محمد ، ص ٥٤ .

العقاد و المستشرقون:

كثيراً ما كان العقاد يذكر آراء المستشرقين و أقوالهم دون الإشارة الى أسمائهم ، و قد وجدنا هذا واضحاً في جميع كتبه التي تضمنها الدراسة.

وفي ما يخص حروب النبي قال العقاد زعم بعض المستشرقين أن النبي (ﷺ) قد شارك في حرب الفجار في تجهيز السهام، لأنه أقرب الأعمال الى خلقه من الدخول في معمة القتال ، وهذا خطأ لعدم احاطة هؤلاء المستشرقين بمزايا نفس النبي العظيمة ، فمحمد (ﷺ) كان في مقدمة رجاله حين تحتم الحرب ، وكان الامام علي ابن ابي طالب فارس الفرسان يقول (كنا اذا حمى البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه واله وسلم فما يكون أحد أقرب منه الى العدو) (١) .

ولولا ثباته (ﷺ) في معركة حنين ، وقد ولت جمهرة الجيش وكاد ان ينفرد وحده بوجه الطاعنين و الرماة للحتت الهزيمة بالمسلمين ، ولم يسفر الليل عن صبحه ليطوف مستطعاً المدينة وأن المدينة كانت حافلة بمن يؤدون هذه المهمة عنه وهو قرير العين في داره ، و ان مشاركته في وقعات المسلمين الاخرى كانت مشاركة القائد العسكري " الذي لا يعفى نفسه وقد اعفته القيادة عن مشاركة الجند" (٢) .

وحلل الباحث العسكري محمود الدرة هذه الواقعة بقوله: (ليس في حياة الجيوش مواقف عصبية وخطرة كموقفهم من هزيمة جيوشهم في ميدان المعركة وقلائل في التاريخ هم الذين استطاعوا بفضل شخصياتهم و عزائمهم وقف تيار الهزيمة في جنودهم ، و الحيلولة دون وقوع الكارثة والخسران والنادر فيهم من حول الهزيمة الى نصر ، أما محمد القائد لم يسبقه أحد في هذا المضمار ولم يشاركه أحد في مجده ، حيث لم يستسلم للأمر الواقع ولم تخذله نفسه كما خذلت من قبله ، وكما خذلت اثني عشر ألفاً من جنده انفسهم) (٣) .

ان العقاد ينكر على المستشرقين الذين قالوا بأن الرسول (ﷺ) لم يكن من طبعه المشاركة بالحروب بسبب رقة قلبه أو ان الحرب ليست من خلقه ، واحتجوا بمشاركته بحرب الفجار بمناولة اعمامه النبال ، لكن العقاد ينفي ذلك ، ويستعرض قول الأمام علي

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٦٠ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ٤٦/٧ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٦٠ ؛ قريبي ، ابراهيم ابن ابراهيم ، مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ، عمادة البحث العلمي ، السعودية ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ، ص ١٤٦ .

٣ - الشيباني ، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، ص ١٨٢ .

(ﷺ) بان النبي كان في مقدمة المقاتلين وليس هناك من هو أقرب للأعداء منه ، ودوره القتالي في وقعة حنين كافية لبيان خبرته (ﷺ) القيادية والتي قلبت نتيجة الحرب لصالح المسلمين.

و من خصائص العظمة النبوية عند النبي محمد (ﷺ) حيث انه وصف بالنيقيضين بأسنة المتعصبين على دينه ، فهو عند بعضهم صاحب رقة تمنعه من القتال ، و عند بعضهم الاخر صاحب قسوة تضرية بإهدار الدماء البشرية والقتل من غير رحمة ، لكن محمد (ﷺ) تنزه عن رأي هذا وذاك ، فإن شجاعته تنفي عنه صفة الخوف و رقة الضعف، فحياته منذ طفولته تنفي عنه وصفه بالقسوة والجفاء ، حيث كانت صلته بأهله ومرضعاته و صحبته و زوجاته او خدمه مثلاً للرحمة (١) .

و هذا ما أكده ابن الاثير بالقول: " لو كان رسول الله محباً لسفك الدماء وهدرها لما أمر بعدم قتل ابو البختري بن هشام من أشراف مشركي مكة ، وخرج مع قريش لقتالهم ببدر فقط لأنه كان أكف القوم عن رسول (ﷺ) وهو بمكة . . وكذلك منع النبي (ﷺ) المسلمين من قتل سهيل بن عمرو ، و ورد أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله دعني أنزع ثنية عمرو فلا يقدم عليك خطيباً ابد ، فقال رسول الله (ﷺ) دعه يا عمر فسيقوم مقام تحمده ، فكان مقامه ذلك عند موت النبي (ﷺ) ، فكرامة لهذا الموقف الذي لم يأت بعد ، على الرغم من ما لاقاه رسول الله من عمرو يوم الحديبية فلم يأمر بقتله " (٢) .

ويستدلون بذلك بتحريض الرسول (ﷺ) على قتل عصماء بنت مروان (٣) وهي من اليهود التي كانت تهجو المسلمين والاسلام وان النبي نهى بقول صريح من قتل النساء ، وقد قال بعض الفقهاء والعلماء بمنع قتل المرأة حتى وأن خرجت للحرب و القتال ، " مالم يكن ذلك لدفع خطر لا يندفع ألا بقتلها " (٤) .

١ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٦١ - ٦٢ .

٢ - الكامل ، ١ / ٢٨٥ - ٢٨٦ .

٣ - عصماء بنت مروان : يهودية من بني عمرو بن عوف ، قتلها عمير بن عدي سنة اثنتين من الهجرة ، كانت تعيب الاسلام واهله وكان عمير رجل أعمى فدخل بيتها في جوف الليل فوضع سيفه في صدرها حتى اخرجها من ظهرها . ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ٣٧٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تميز الصحابة ، ٣١٩ / ١ .

٤ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٦٢ .

أما ول ديوارنت فله رأي آخر حول مقتل عصماء بنت مروان، حيث يقول أن لهذه الحادثة أسباب وظروف تبررها بلا ريب، فأن عصماء كانت تعيب الاسلام وأهله وتحرض على المسلمين وتؤذيهم أذى شديد فكان قتلها جزاء ماجنت حقا واجبا حتمته الضرورة، وقد قيل بعد قتلها "من يومئذ عز الاسلام واهله بالمدينة" (١).

كما وينقل العقاد حادثة اخرى يراها تستحق الاهتمام وهي مقتل كعب بن الأشرف وكيف أثار مقتله حفيظة المؤرخين الأوربيين المتعصبين، وكعب هذا كان يقوم بهجو المسلمين وأثارة الأعداء عليهم، ويدعو الى قتل النبي (ﷺ)، وكان من ضمن قومه بني النضير محالفاً للمسلمين يعمل بمحاربة من يحاربهم ولا يقابلهم الا بما يقدمه الحليف لحليفه من المعونة و المودة، لكنه نقض العهد وعاد الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى أذاهم و قد افترى عليهم مالم يقبله في عرضه رجلٌ عربي غيور وقيل أن نفر الذين خرجوا لقتله بلغوا الى حصنه فصاح به أبو نائله وكان هذا حديث عهد بزواج فأخذت امرأته بناحيها وصاحت به إنك محارب وأصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة لكنه أصر على قتله (٢).

وقيل أن النبي أقر بقتله فعاب هذا بعض المؤرخين الأوربيين عليه ذلك وعدوه خرقا لسنن القتال وقد شابه بذلك فعل نابليون عند أمره بخطف الدوق دنجان وحكمه بغير حق (٣).

أما ول ديوارنت يصف حادثة مقتل كعب ابن الأشرف بالقول: " ان محمد كان رئيس دولة وكان من حقه أن يصدر فيها الأحكام وأن كعب بن الأشرف كانت أمه يهودية ويكتب القصائد يحرض فيها قريش وأثار غضب المسلمين بتشبيهه بنسائهم فقال النبي (ﷺ) : من لي بأبن الأشرف فلم يمض آخر النهار حتى كان رأس الشاعر ملقى أمام قدميه وأن المسلمين كانوا يرون أن هذه الاعمال وأمثالها ما هي الا دفاع مشروع عن انفسهم من الخونة" (٤).

لذلك نرى أن حادثة كعب بن الأشرف و أمر الرسول (ﷺ) بقتله نتيجة لما قام به من الغدر والخيانة ونقض العهد والتعرض للأعراض، ألا تستحق هذه الأفعال الامر

١ - ويليام جيمس (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨١ م)، قصة الحضارة، تح: محي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب واخرين، دار الجبل، بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ١ / ٥٠٥٦.

٢ - عبقرية محمد، ص ٦٢-٦٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٢ / ٢؛ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ابو حاتم الدارمي البستي (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م)، السيرة النبوية، ط ٣، الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٧ هـ / ١ / ٢١٢؛ ابن كثير، الفصول في سيرة الرسول، ١ / ٣٦.

٣ - العقاد، عبقرية محمد، ص ٦٣.

٤ - قصة الحضارة، ١ / ٥٠٥٦.

بقتله ؟ و أن تعريض المؤرخين الأوربيين بالرسول ومقارنته بنابليون ، لانه قتل الدوق دنجان دون محاكمة ، فهل يحتاج كعب بن الأشرف بعد أفعاله هذه الى محكمة لأدانتة ، فهو أدان نفسه بنفسه وكان فعله واضح لليهود والعرب .

و هنا ذكر العقاد : "ان قوانين العصر الحديث تعاقب بالموت على جريمة أهون من جريمة كعب بن الأشرف بكثير ، لأنه تجاوز الغدر الى التآليب والائتثار و ثلب الاعراض" (١)

أسرى غزوة بدر:

يقول العقاد " يلتحق بقتل ابن الأشرف ما اخذه بعض المستشرقين من قتل بعض الاسرى بعد غزوة بدر وخروج النبي الى ساحة القتال لرؤية صرعى المعركة وغنائمها بعد انتهائها ، فهو أمر لا يصح الحكم فيه الا بالنظر الى موضعه وموقفه وأشخاصه ، لانه ليس بالحكم العام الذي اتبعه الاسلام في جميع الاسرى وجميع الحروب ، وإنما هي حالة أفراد كانوا معروفين بتعذيب المسلمين والتنكيل بهم" (٢) .

أما ابن الاثير له رأي آخر فيقول : " ان المصادر الاسلامية تذكر أن الرسول (ﷺ) أستوصى بالأسرى خيرا. حتى كان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه " (٣) .

فضلاً عن استنكار المستشرقين على الرسول (ﷺ) قتل كعب الأشرف ، فعابوا عليه أيضا انه (ﷺ) خرج بعد معركة بدر الى رؤية صرعى المعركة وغنائمها وقتل بعض الاسرى ، فيقول العقاد لا يصح أن يلقوا هذا الحكم الا بعد النظر في واقع المعركة وأشخاصها ، وأن هذا الحكم لم يتبعه الاسلام مع جميع الاسرى في كافة حروبه ، وإنما هذا الحكم كان خاصا لبعض الأشخاص المعروفين بتعذيب المسلمين وقتلهم وتهجيرهم .

فيجيب العقاد قائلا : اما قتل الاسرى بعد معركة بدر ما هو الا قصاص للمتهمين بالتعذيب، وأما مشاهدة المقتولين في ساحة الحرب فهي نتيجة طبيعية فقد نسي هؤلاء الناقدون

١ - عبقرية محمد ، ص ٦٤ .

٢ - عبقرية محمد ، ص ٦٤ .

٣ - الكامل ، ١ / ٢٨٦ .

أن فرحة المنتصر بفوزه هي طبيعة انسانية ، رغم ذلك لم يزعم أحد أنه شاهد النبي متبسماً أو فرحاً بالنصر ، وذلك احتراماً لمن مضى شهيداً من المسلمين (١) .

ونسى اولئك الناقدون ان الرجل الذي يرى الدم في المدينة العصرية ليس كالذي يراه في حروب البادية وهي حياة الرعاة عادت ما تتكرر بها أراقة الدماء في كل يوم، فأنتك لا تتهم طبيباً بالقسوة وقد ألفت النظر الى اشلاء الجثث و جراح الاجسام الحية ، وما من رجل سكن البادية وشهد غزواتها ثم يقال فيه انه ساحة الحرب قد تفاجئه بما لم يكن يشاهده ، كان على هؤلاء الناقدين أن يحضروا بدر لينظروا بعين النبي (ﷺ) الى عواقب هذه الغزوة التي كادت ان تصبح الواقعة الحاسمة في تاريخ الاسلام (٢) .

وكان على هؤلاء الناقدين أن يروا قلق النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من عاقبة هذه المعركة ، ويستمعوا لما ناشد به ربه قائلاً: اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تكذب رسولك اللهم نصرك الذي وعدتني .. اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد (٣) .

اي أنه كان عليهم أن يشاهدوه وقد رفع يديه الى ربه وشخص ببصره اليه، وجمع نفسه في صلاته و سقط رداؤه عن منكبيه ، فكان على هؤلاء الناقدين أن يعرفوا هذا كله حتى يعرفوا أن الفرخ في هكذا موقف أمر لا غرابة فيه ، وأن النظر في ساحة المعركة الى من قضى بها من قريش والى من رجع الى وكره لكي يعيد الكره ، ورؤية تلك الغنائم و الاسلاب التي كادت تفتن المسلمين ولم ينزل بها تشريع سماوي بعد ، ويضرب العقاد مثالا من الواقع فيقول : أن مراسلو الصحف الحربيون الذين يحضرون اليوم هكذا مواقف ويجدون من الواجب عليهم الا يتخلفوا عن ساحات الحروب بعد انجلاء الفريقين ، لكي يوضحوا دروس النصر والهزيمة ، و ذلك يعد انصراف النبي (ﷺ) عن ساحة بدر بعد النصر أمر غريب يخل بمكانة القائد العسكري الذي يجب عليه التحقق والاستفادة من كل ما هو مفيد (٤) .

١- عبقرية محمد ، ص ٦٤ - ٦٥ .

٢- العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٦٥ - ٦٦ .

٣- العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٦٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١ / ٢٨٤ .

٤- عبقرية محمد ، ص ٦٦ - ٦٧ .

بعد معركة الاحزاب (٥ هـ) :

وفي إطار الحديث عن القسوة و الرحمة يجب علينا ان نذكر ما ذكره المؤرخون الاوربيون عن قتل المقاتلين من يهود بني قريظة بعد انتهاء معركة الاحزاب ، أن اولئك المؤرخين يستكرونها قتلهم ويعدونهم مخالفا للعرف السائد في الحروب وينسون بذلك أموراً يصعب تصديقها وهي ان بني قريظة نقضوا ايمانهم مرات عديدة فلا يمكن اخذ الموثيق معهم من جديد ، وانهم قبلوا حكم سعد بن معاذ^(١) الذين اختاروه للتحكيم وان سعد ادانهم بنص كتابهم المنزل التوراة الذين يؤمنون به^(٢) .

ما أن انتهت معركة الاحزاب الا وأثار الناقدون الاوربيون المتعصبون مسألة جديدة وهي قتل المقاتلين من بني قريظة وعدوه هذا خارقاً للقوانين المتبعة في ساحات المعارك فمتى كان ذلك خارقاً او غير مألوف في الحروب ، وقد تناسى هؤلاء معركة الاحزاب وصعوبة أوضاعها التي عاشها المسلمون حتى وصفها القرآن " وبلغت القلوب الحناجر"^(٣) من شدة الرعب الذي حل بالمسلمين ونقض بني قريظة للعهد معهم لم يعد هناك ثقة بين الطرفين لعقد موثيق جديدة.

ويرد العقاد على هؤلاء الناقدون قائلاً: انه يجب على الناقدون ان يسألوا انفسهم كيف يكون مصير المسلمين لو ظفر بهم الاحزاب ؟ فالحكم الذي اصدره النبي (ﷺ) في بني قريظة كان عادلاً وصائباً، و لا يقضي احد أ مثل أحد مثل ذلك القضاء وهو مؤتمن على الامامة و مصيرها يرحمها من غدر الاعداء المحيطين بها^(٤).

١ - سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي يكنى أبا عمرو. وأمه هي كبشة بنت رافع كان لها صحبة أسلم في المدينة في الفترة ما بين العقبة الأولى والثانية على يدين مصعب بن عمير، وشهد سعد بدرأ وأحد والخندق ورمى في يوم الخندق بسهم فعاش بعدها شهراً ثم انتفض جرحه و مات على اثره . ينظر : بن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ١٨١٨ ؛ ابن حجر ، الاصابة في معرفة الصحابة ، ١ / ٤٣٥ .

٢ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ٦٨ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، ابن قتيبة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، الامامة والسياسة ، تح: الشيرازي ، (د. ط.) ، (د . ت) ، ص ٢١٨ ؛ اليافعي ، ابو محمد عفيف الدين عبدالله بن اسعد بن علي بن سلمان اليافعي (ت ٧٦٨ هـ/١٣٦٦م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢ ؛ ابن الضياء ، محمد ابن احمد بن الضياء محمد القرشي العمري بهاء الدين ابو البقاء (ت ٨٥٤هـ/١٤٤١م) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تح: علاء ابراهيم وايمن نصر ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ص ١٢٧ ؛ السهمودي ، علي بن عبدالله بن احمد الحسني (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، تح: محمد الامين محمد الجيني ، (د. ط.) ، (د. ت.) ، ١ / ٩٨ .

٣ - سورة الاحزاب : اية (١٠) .

٤ - عبقرية محمد ، ص ٦٨-٦٩ .

وكان حكم سعد بن معاذ فيهم عادلاً فقد ارتضاه رسول الله (ﷺ) حتى قال له " لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة " ، وكان حكمه أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء (١).

ويرى العقاد ان حملة واحدة تأديبية من حملات العصور الحديثة يقوم بها مسلحون على قوم ضعفاء عزل، و فيها من القتل و البطش مالم يحدث له مثيل في عقاب النبي لبني قريظة . وفي ختام كتاب عبقرية محمد يقول العقاد: " أن عبقرية محمد في قيادته ، لعبقرية ترضاه فنون الحرب ، وترضاها شريعة الله والناس ، وترضاها الحضارة في أحداث عصورها ، ويرضاها المنصفون من الاصدقاء والاعداء " (٢) .

وفي نهاية استعراضنا لعبقرية محمد (ﷺ) العسكرية ، وقيادته الفذة وادارته الحكيمة التي قل لها نظير في القادة العسكريين المعاصرين له والمحدثين و سياسته الرشيدة في مواجهة المعارك والازمات الحربية التي اعترضت طريقة لتأسيس دولته الاسلامية . وجدناه (ﷺ) كما عهدناه من الرحمة والرافة في التعامل مع أشد الناس عداوة عليه ، ومن جانب اخر رأيناه القائد المثابر لا يعرف الخوف الى قلبه سبيل ، فتمكن بفضل حسن تدبيره وبصيرته حسم نتائج المعارك لصالحه سواء كان ذلك عن طريق نصر عسكري بعد قتال ، أو عن طريق عقد الاتفاقيات والعهود ، فوجد به اتباعه القائد الموجه والجندي المقاتل أمامهم إذا حمى الوطيس فأتبعوه مطمئنين .

^١ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢ / ٢٤٠ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ١ / ٤٤٣ ؛ ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ١٩٥ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٣ / ٢٣٣ .

^٢ - عبقرية محمد ، ص ٦٩ .



الفصل الثاني

الإمام علي (عليه السلام)
في تراث عباس محمد العقاد



المبحث الاول

عبقرية الامام علي الاجتماعية

توطئة:

يتناول هذا الفصل سيرة راية الله العليا ، وغايته المثلى ، والهدف الاسمى ، والمثل الاعلى ، ولي الله الاعظم امير المؤمنين ابو الحسن والحسين علي ابن ابي طالب (عليه افضل الصلاة والسلام) في فكر عباس محمود العقاد من خلال مؤلفة الموسوم ب (عبقرية الامام علي) . وهو حلقة من سلسلة عبقرياته التي ابتدئها ب (عبقرية محمد) .

يبدأ العقاد كلامه في مقدمته في تبيان سبب شروعه في تأليف كتاب عن سيرة الامام علي (ع) ، فيقول : ان كل ناحية من نواحي النفس الانسانية ملتقى بسيرة علي ابن ابي طالب ، لان سيرته تخاطب الانسان ، وسيرته ملتقى للعاطفة والاحساس المتطلع الى الرحمة والاكبار .

فيلقبه العقاد ب (الشهيد) و (ابو الشهداء) (١) .

وهذا ما وصف به (الشيخ الأربلي) الامام علي (عليه السلام) ايضا بأنه " الشهيد ابو الشهداء ، مضمخ مرده الحروب بالدماء ، ومفلق هامات الفجرة ، حمال الالوية والرايات الغمرة " (٢) .

لما خاضه (عليه السلام) وخاضوه اولاده معه ومن بعده من المعارك والصراعات الطويلة دفاعاً عن الحق واهله ، فما كان جزاؤه وجزاء اولاده الا الشهادة وأن تعددت طرق شهادتهم وظروف كل منهم .

فيقول العقاد في معرض حديثه واصفاً حال اولاد علي (عليه السلام) " يترأون للمتبع من بعيدا واحدا بعد آخر شيوخاً قد جللهم وقار الشيب ثم السيف الذي لا يرحم ، او فتياناً عولجوا

١ - عباس محمود العقاد ، عبقرية الامام علي ، دار كتاب للنشر ، الكوم الاخضر ، (د.ت) ، ص ٥ ؛ الخوارزمي ، المناقب ، ص ٤١ .

٢ - كشف الغمة ، ١ / ١ ص ١٤٢ .

وهم في مقتبل العمر يحال بينهم وبين متاع الحياة ، يحال بينهم وبين الزاد والماء أحياناً وهم على حياض المنية جياح ظماء " (١) ، ربما قصد العقاد هنا ما جرى في واقعة كربلاء.

فلا نعرف يوماً قبلة تعرض فيه أبناء علي (عليه السلام) الى القتل الفظيع والمنع عن الماء والزاد وقتل الفتيان الصغار ومعالجته شبابهم بالسيوف قبل ذلك اليوم .

وأن ألم مصرعهم كاد أن يصبغ ظواهر الكون بصبغتهم وصبغة دمائهم ، حتى قال الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري الذي لا يظن به التشيع ، بل ظنت الظنون بأسلامه :

وعلى الافق من دماء الشهيد بين علي ونجله شاهدان

فهما في أواخر الليل فجرا ن ، وفي أولياته شفقان .

وهذه غاية من أمتزاج العاطفة بتلك السيرة فلما تبلغها في سير الشهداء ، فخلق له الرواة انداداً من المناجزين والمبارزين الذين لم يخلقهم الله .

فأما فصاحته (عليه السلام) لا يكاد يختلف عليها المختلفون ويشهد عليها المحب والمبغض حيث لسيرته ملتقى بالذوق الادبي والذوق الفني ، لأنه (عليه السلام) كان أديباً فصيحاً بليغاً له نهج من الادب والبلاغة يقتدي به الآخرون ، فهو الحكيم الاديب والخطيب المبين ، والمنشئ الذي يتصل أنشأؤه بالعربية ما اتصلت آيات الناثرين والناظمين (٢) .

كما يصفه جورج جرداق الكاتب اللبناني قائلاً " ان علي ابن ابي طالب هو الامام في الأدب ، كما هو الامام في ما أثبت من حقوق وفي ما علم و هدى وآيته في ذلك نهج البلاغة ، الذي يقوم في أسس البلاغة العربية في ما يلي القران من أسس ، ولا عجب في ذلك لأنه نشأ في المحيط الذي تسلم فيه الفطرة وتصفو ، ثم انه عايش أحكم الناس محمد بن عبدالله " (٣) .

وقد اختلف فيه المختلفون وتشيع المتشيعين ، حتى قال (عليه السلام) " ليحبنى أقوام حتى يدخلوا النار في حبي ، ويبغضني أقوام حتى يدخلوا النار في بغضي " وقال ايضاً " يهلك في

١ - عبقرية الامام ، ٥ - ٦ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٦ - ٧ .

٣ - روائع نهج البلاغة ، ط ٣ . دائرة معارف الفقه الاسلامي ، قم ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ٩ - ١٠ .

رجلان محب مفرط بما ليس في ومبغض يحمله شنأني على أن يبهتني " ، وقد غالى في حبه طرفين منهم من رفعوه الى مرتبة الاله المعبود ، وهذا ما نقله العلامة (المستنبط رحمه الله) حيث قال بعض الفرق قالوا عن علي (عليه السلام) هو الرب ومنهم عبدالله بن سبأ وأصحابه ، فأحضرهم الامام وقال : " يا قوم غلب عليكم الشيطان أن أنا ألا عبدالله ، فأرجعوا عن الكفر ، فخرج بعضهم عن الكفر و بقي قوم على الكفر ، فأحرقهم بالنار وتفق منهم قوم في البلاد و قالوا لولا أن تكون فيه الربوبية ما كان أحرقنا في النار ، فنعوذ بالله من الخذلان " أما المبغضون فاتهموه بالمروق من الدين ، وهناك ممن عبده وهم الروافض الغلاة الذين نهاهم عن عبادته بأحراقهم فيقولون وهم يساقون الى الحفيرة الموقدة : أنه الله هو الذي يعذب بالنار . وهناك فئة أخرى يتهمونه بالكفر ويطلبون منه التوبة الى الله بعد عصيانه وهم الخوارج (١) .

و كان لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) مكانة كبيرة في نفس العقاد حيث يقول أصبح اسم علي علماً يلتف حوله كل مظلوم ، وينادي باسمه كل طالب أنصاف ، حتى قامت بعد موته باسمه دولاً لم تقم له في حياته . واصبح الغاضبون على المجتمع والحكومات الجائرة يلونون بالدعوة العلوية ، كأنها الدعوة المرادفة للأصلاح ، أو كأنها المنفس الذي يستريح عنده كل مكظوم ففي اسم علي شفاء لنوازع نفسه ، ومن ثار على الضيم ففي أسم علي حافزٌ لهذه الثورة .

فأن هذه المميزات التي انفرد بها تاريخ الامام (عليه السلام) جعله مختلف عن تواريخ الائمة وخلفاء الامة .

وان هذه الاسباب و الميزات وغيرها دفعت العقاد بأن يأخذ على عاتقه بتأليف هذا الكتاب الذي يضاف الى قائمة الدراسات المنصفة بحق أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) ، فرسم خلاله صورة مشرقة لونها بتاريخ علي الزاهر بالإيمان والعطاء والانجازات ، نابذا (العقاد) خلفه كل الاحقاد والروايات المدسوسة التي سطرها الناقمون على علي (عليه السلام) ، ناظراً الى تاريخ علي نظرة الرجل الاديب المنصف الذي لم تجره الاهواء والمصالح لنقل غير ما نقل عن علي وأمجاده ، ماسكاً بذلك العصى من الوسط ، للخروج بهذا الانجاز العظيم .

١ - العقاد، عبقرية الامام ، ص ٨ - ٩ ؛ احمد بن السيد رضي بن السيد احمد (ت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، القطرة من بحار مناقب النبي والعترة ، مطبعة سليمان زاده ، قم ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ١ / ١٥٩ .

نسبه ونشأته:

هو علي ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف^(١)، و أمه هي السيدة الجليلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف^(٢) وقيل ان الاسم الذي اختارته امه هو حيدرته على اسم ابيها أسد والحيدرة هو الاسد. لكن ابي طالب كان له رأي آخر فسماه علياً^(٣)، وما يؤكد هذه التسمية قوله (عليه السلام)

انا الذي سممتي أمي حيدرته كليث غابات كرية المنطرة^(٤)

وكان علي أصغر اخوية واكبر منه جعفرأً وعقبلاً وطالباً وبين كل منهم عشر سنين^(٥) ، وبعد أن أصاب قريش القحط أهاب رسول الله بعمية حمزة والعباس ان يحملوا ثقل أبي طالب في تلك الازمة فأخذ العباس طالباً وحمزة جعفرأً ، وأخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) علياً فعوضه ايثار النبي بالحب عليه عن ايثار ابيه^(٦)

فأن كان القحط أصاب قريش جميعاً فلما كان حمزة والعباس والنبي أيسر حالاً من ابي طالب ، الم يكن أبي طالب سيد قريش ومن زعمائها فكيف يكون كذلك وهو شحيح المال ، ومن هنا بدأت حياة علي في بيت النبي وعلى يديه ، فرافقه في حله وترحاله وطعامه ومنامه ، ولم يأخذ النبي علي لتربيته في بيته مصادفةً بل سبق ذلك تعلق شديد من جانب النبي بعلياً (عليه السلام) منذ ولادته . فمنحه من حبه وعطفه مايفوق حنان الابوين .

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٣ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣٣٥/١ ؛ الباجي ، التعديل والتجريح ، ٣ / ٩٥٢ ؛ النووي ، تهذيب الاسماء واللغات ، ٤٧٣/١ ؛ ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ٤٠٢ / ٢ .

٢ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١ / ٦٠ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٥ / ٣٧٠ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٤١/٤ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٣ ؛ المحب الطبري ، الرياض النظرية ، ص ٢٤٣ .

٤ - الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، ٣ / ١١٦ ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، ٤١/١ .

٥ - ابن سعد ، الطبقات ، ٣٦/٤ ؛ ابن عساکر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٩ / ٤١ ؛ السهلي ، الروض الانف ، ١ / ٤٢٦ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، ١ / ٢٨٧ .

٦ - ابو فرج الاصفهاني ، (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) ، مقاتل الطالبين ، تح: كاظم المظفر ، ط ٢ ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، ص ١٥ ؛ المحب الطبري ، الرياض النظرية ، ص ٢٤٤ .

إسلام الإمام:

أما عن إسلام الإمام علي (عليه السلام) فينتقي العقاد جملة من أجمل ما صاغه من كلمات ، فيقول "... كاد علياً أن يولد مسلماً ... بل ولد مسلماً " . و يكمل بالقول : أن مولد علي (عليه السلام) في جوف الكعبة (١) وينقل عن سعيد ابن جبير عن يزيد بن قعنب : " كنت جالساً مع العباس ابن عبدالمطلب بأزاء بيت الله الحرام ، أذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين و كانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق فقالت : رب أني مؤمنة بك وبما جاء من عندك اني مصدقة بكلام جدي ابراهيم الخليل (عليه السلام) فبحق المولود الذي في بطني لما يسرت ولادتي ، قال يزيد : فرأينا البيت وقد أنفتح عن ظهره ودخلت فاطمة والتزق الحائط ، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح فعلمنا أن ذلك من أمر الله ، وخرجت بعد الرابع بيدها أمير المؤمنين (عليه السلام) " (٢) فكرم الله وجهه عن السجود لأصنامها ، فكأنما كان يوم ميلاده ثمة أيداناً لبداية عهد جديد للكعبة والعبادة فيها .

اي ان سلام علي جاء مرافق لولادته ، ولم يعبد أصنام الجاهلية التي عبدها قومه . وقد تربي في البيت التي خرجت منه دعوة الاسلام ، وعرف العبادة من رؤية لصلاة النبي وزوجته خديجة (عليها السلام) . واختلف المؤرخون في عمره حين أسلم بين السنة السابعة والسادسة عشرة ، ولعله أسلم في العاشرة ويعلل العقاد ذلك بقوله لانه كان يناهزها عند اعلان الدعوة المحمدية (٣) وهذا ما يرويه صاحب كتاب الجوهرة عن ميمون بن مهران عن ابن عمر قال : "أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن ثلاث عشرة" (٤) . اما ابو الفرج الاصفهاني يذكر أنه أسلم وعمره إحدى عشرة سنة (٥) .

١ - عبقرية الامام ، ص ٤٥ .
٢ - المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي (٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، أثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب ، مؤسسة أنصاريان ، قم ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ١٣ ؛ الصدوق ، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ/٩٩١م) ، الامالي ، تح: حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م ، ١٠٣ - ١٠٤ ؛ الراوندي ، ابو الحسن سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م) ، الخرائج والجرائح ، تح: مؤسسة الامام المهدي بأشراف محمد باقر المرتضى الابطحي الاصفهاني ، المطبعة العلمية ، قم ، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨م ، ١ / ١٧ .

٣ - عبقرية الامام ، ص ٤٥ .
٤ - البري ، محمد بن أبي بكر الانصاري التلمساني (ت ٦٤٥هـ/١٢٤٧م) ، تح: محمد التونجي ، ط ٢ ، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، قم ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ٩ .
٥ - مقاتل الطالبين ، ص ٢٦ .

فملاً الدين الجديد قلب علي (عليه السلام) الذي لم ينازع فيه منازع من عقيدة سابقة، فبحق مايقال : " أن علياً كان المسلم الخالص على سجيته المثلى ، وان الدين الجديد لم يعرف قط أصدق أسلاماً منه ولا أعمق نفاذاً فيه " و كان عابداً يستهوي العبادة كأنها رياضة تريحة وليست ، فرضاً مكتوباً عليه ، وتراه في كهولته وكأن في جبهته ثفنة بعير من أدمان السجود (١) ، و ما رواه أبو الدرداء خير مثال على ذلك فيقول " شهدت علي (عليه السلام) بشويحطات النجار وقد اعتزل عن مواليه ، و أختفى ممن يليه ، و أستتر بمغيلات النخل فقلت : لحق بمنزله ، فأذا بصوت حزين ونغمة شجي يدعو ربه ، فركع في جوف الليل الغابر ، ثم فزع الى الدعاء والبكاء ، فلم أسمع بعد ذلك حساً ولا حركة ، فقلت غلب عليه النوم لطول السهر ، وأوقظه لصلاة الفجر ، فأتيته فأذا هو كالخشبة اليابسة ، فحركته لم يتحرك ولم ينزو ، فقلت انا لله وأنا اليه راجعون ، مات والله علي ، فأتيت منزله انعاه اليهم ، فقالت فاطمة (عليها السلام) يا أبا الدرداء ماكان من شأنه ، فأخبرتها ، فقالت : هي والله الغشبية التي تأخذ من خشية الله " فيقول أو الدرداء " فو الله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله " (٢) ، وما هذه الا قطرة من بحر عبادة علي ابن أبي طالب

دينه له ولعدوه دينه ، فما كان الحق عنده لمن يرضاه دون من يقلاه ، ولكنه كان الحق لكل من استحقه و أن بهته و أذاه ، فينقل لنا العقاد حادثة تاريخية جميلة تبين لنا مدى التسامح الديني الذي كان علي (عليه السلام) يوفره لغير المسلمين في دولته ، فينقل قائلاً " وجد درعه عند رجل نصراني فأقبل به الى شريح القاضي ، يخاصمه مخاصمة رجل من عامة رعاياه ، وقال : انها درعي ولم أبع ولم أهب ، فسأل شريح النصراني ، : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ قال النصراني : ما الدرع الا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب . فالتفت شريح الى علي يسأله : يا أمير المؤمنين هل من بينه ؟ فضحك علي وقال : أصاب شريح . مالي بينه ، فقضى بالدرع للنصراني فأخذها ومشى و " أمير المؤمنين " ينظر اليه .. الا أن النصراني لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء . و أمير المؤمنين يدينني الى قاضية يقضي عليه . أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين . اتبعت الجيش وأنت منطلق الى صفين فخرجت من بعيرك الاورق . فقال : أما إذ اسلمت فهي

١ - العقاد، عبقرية الامام ، ص ٤٧ .

٢ - الصدوق ، الامالي ، ص ١٣٧ - ١٣٩ .

لك . وشهد الناس هذا الرجل بعد ذلك وهو من أصدق الجند بلاء في قتال الخوارج يوم النهروان .^(١)

يستنتج من هذه الحادثة على التسامح الديني الكبير الذي عاشه الجميع في ظل خلافة الامام علي (عليه السلام) ، فهو الخليفة و ان القانون والسلطة له، ويعلم علم يقين بأن الدرع درعه كان بإمكانه سلب الدرع من الرجل ، لكن دين علي و أخلاقه تأبى الا أن يترك الامر الى القضاء ، وهو يعلم بأن القضاء سوف لن ينصفه لعدم وجود البيينة.

امتاز علي (عليه السلام) بين فقهاء الاسلام في عصره أنه جعل من الدين موضوع من موضوعات التأمل والتفكير ، ولم يقصره على العبادة و إجراء الاحكام ، فأذا عرف في عصره أناس فقهاء في الدين ليصححوا عباداته ويستنبطوا منه الاحكام ، فقد أمتاز علي بالفقه الذي يراد به الفكر المحض والدراسة الخالصة ، ويصح أن نقول : أن علياً (عليه السلام) أبو " علم الكلام " في الاسلام ، لان المتكلمين قاموا مذاهبهم على هذا الاساس ، كما ذكر ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة . أن واصل ابن عطاء كبير المتكلمين كان تلميذ أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم هذا تلميذ والده ، و والده تلميذ علي (عليه السلام) ، أما الأشعرية فهؤلاء ينتمون أى أبي الحسن علي بن أبي الحسن علي بن أبي بشر الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي^(٢) .

وذكر ابو الفداء و الصفدي و ابن تغري بردي أن ابو علي الجبائي هو زوج أم ابي الحسن الأشعري ، لذلك أخذ الأشعري عنه علمه^(٣) ، وأبو علي الجبائي أحد مشايخ المعتزلة الذين علمهم واصل ابن عطاء^(٤) ، لكن تتفق المصادر التاريخية على أن ابو علي الجبائي أخذ علمه عن يعقوب بن عبدالله الشحام البصري^(٥) .

^١ - عبقرية الامام ، ص ٤٨ ؛ المامطيري ، ابي الحسن علي بن مهدي الطبري (ت ٣٦٠ هـ/٩٧٠م)، نزهة الابصار ومحاسن الآثار، تح: محمد باقر المحمودي ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، طهران ، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩م ، ص ٣٣٠- ٣٣١ .

^٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٤٩ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ص ٢٦٠ .

^٣ - ابو الفداء ، المختصر ، ١ / ٢١٠ ؛ الصفدي ، الوافي في الوفيات ، ١ / ٤٧٦ ؛ تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣٣ / ١ .

^٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٥٠ ؛ الداودي ، الحافظ شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٤٥ هـ/١٥٣٨م) ، طبقات المفسرين ، تح: لجنة من العلماء بأشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١ / ٣٠٧ .

^٥ - الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٥ / ٣٢١ ؛ السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م) ، طبقات المفسرين ، تح: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م ، ص ٨٨ ؛ الادنروي ، أحمد بن محمد الادنروي ، طبقات المفسرين ، تح: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م ، ص ٦٢ .

اما الفقه فأمامه الاكبر هو أبو حنيفة وهذا قرأ على يد جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وجعفر قرأ على يد والده وهو الامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) وهكذا حتى ينتهي الامر الى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، وقد قرأ مالك بن أنس على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة على عكرمة ، وقرأ عكرمة على يد عبد الله بن عباس وعبدالله قرأ على علي (عليه السلام) ، وقيل لأبن عباس : علمك من ابن عمك ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر الى بحر المحيط (١) .

فبذلك تكون المذاهب الاسلامية الكبيرة الموجودة حالياً تعود بالاساس اليه ، فهنا العقاد ينسبها الى أمير المؤمنين مباشرة أو عن طريق أولاده الذين أخذ الناس علومه منهم .

و ان علياً (عليه السلام) كان " يتلمذ للقرآن الكريم ويستوحيه نصاً في عرفان اسلامه وتقرير ايمانه ، فكانت نظرته الى الخلق والخالق نظرة قرآنية يبتكر ما شاء ابتكار التلميذ في الحكاية عن الاستاذ ، فكلامه عن الطاووس والخفاش والزرع والسحاب إنما هو الدرس القرآني الذي وعاه أمر الكتاب بالنظر في المخلوقات ، وصف الكتاب لطوائف منها كالنمل والنحل والطيور والاجنة في الأرحام .. فهو تلميذ ربه جلا وعلا " (٢) .

فيقول العقاد هنا بأن علي (عليه السلام) تلمذ القرآن ويستند اليه في جميع أقواله وأفعاله وما وصفه لبعض المخلوقات الا امتداداً لما سبقه القرآن بوصف بعض المخلوقات و أفرد لها سوراً قرآنية كاملة، و أن قول العقاد هذا لا يخرج عن حديث الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين قال "علي مع القرآن والقرآن مع علي" (٣) وهذا ما ينقله السيوطي (٤) عن الطبراني عن ام سلمه .

فينقل العقاد قول علي (عليه السلام) واصفاً الخفاش فيقول (عليه السلام) : " من لطائف صنعته وعجائب حكمته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي ، وكيف عشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذهبها ، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً ، والنهار لها سكناً وقراراً ، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران ، غير ذوات

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٥٠ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٥١ .

٣ - الشامي ، سبل الرشاد ، ١١ / ٢٩٧ ؛ الطبطباي القمي ، تقي الطبطباي القمي ، أمير المؤمنين ، ترجمة غالب السيلوي ، المطبعة العلمية ، (د.ت) ، ص ١٠٩ ؛ الصلابي ، سيرة امير المؤمنين علي ، ٣ / ٢١٣ .

٤ - تاريخ الخلفاء ، ص ٧٠ .

ريش ولا قصب ، تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها و فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلاف غيره " (١) .

ويقول (عليه السلام) أيضا واصفاً الطاووس : " ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل ونضد الوانه في أحسن تنضيد ، بجناح أشرج قصبه وذنب أطال سحبه ، إذا درج الى الانثى نشره من طيه ، وسما به مضلاً على رأسه ، وقد يحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى وينبت تباعاً ، فينحت من قصبه نحاتات أوراق الاغصان ، ثم يتلاصق ثانياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف ألوانه ولا يق لون في غير مكانه " (٢) .

لكن العقاد هنا لا يستغرب أن يصف الامام (عليه السلام) هذه المخلوقات لانه يقول ان في هذا العصر بدأ يظهر النظر الفلسفي وبدأت تنبت فيه أصول الفرق الاسلامية بالظهور من الخوارج و كذلك القائلين بالرجعة وتناسخ الارواح وايضاً المجتهدين في قراءة القران وتفسيره على مختلف المذاهب (٣) .

وهنا لابد لنا من وقفة نرى أن وصف علي (عليه السلام) لهذه المخلوقات في ذلك الزمان الذي لا يكاد المرء يشبع بطنه الا وصفاً غاية بالدقة ينم عن علم عظيم ، يعجز عنه علماء الاحياء والمختبرات العلمية بكل امكانياتها الهائلة ، وهنا تخالف العقاد الذي لا يرى ذلك غريباً في عصر علي (عليه السلام) الذي بدأت تنمو فيه الفرق الاسلامية ؟ وماذا نماء هذه الفرق ؟ فهل قدمت هذه الفرق علماً بغزارة علم علي (عليه السلام) ؟ فما علمنا عن هذه الفرق الا الشتات و عدم التفريق بين الحق والباطل وان كان ذلك واضحاً ، و جر الولايات على الناس ، والعناد ، وما الخوارج الا نموذجاً على ذلك ، فهل منحنا أحد من زعماء تلك الفرق وصفاً وعلم كما قال ووصف علي (عليه السلام) ، فما كان علي (عليه السلام) الا معجزة ربه وعصرة .

فضلاً على ما ذكرنا من صفات الامام الرائعة ، لكن العقاد يستشهد بصفات أخرى يعدها مفاتيح لشخصية الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) ، فيذكر أول هذه المفاتيح فيقول هي

الفروسية ويعدها هي المفتاح الاول لشخصيته النبيلة الذي يفتح منها كل مغلق ، ويفسر كل ما يحتاج الى التفسير ، وأداب الفروسية هي تلك الاداب التي نلخصها بكلمة واحدة وهي : النخوة

^١ - عبقرية الامام ، ص ٥١ - ٥٢ ؛ جرداق ، موسوعة الامام علي ، ٣ / ٢٥٦ - ٢٥٧ ؛ عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢١٢ .

^٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٥٢ ؛ عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢٢٨ .

^٣ - عبقرية الامام ، ص ٥٢ - ٥٣ .

، وانها كانت طبع في علي فطر عليه ، وكانت أدب من أداب الاسرة الهاشمية ، وهكذا كان علي (عليه السلام) في جميع أعماله وأحواله بلغت فيه نخوة الفروسية غايتها المثلى ، ولاسيما في معاملته الضعفاء من الرجال والنساء (١) .

وقال ممن شهدوا معركة صفين : عندما قدمنا على معاوية واهل الشام بصفين وقد نزلوا منزلا اختاروه مستويا وأخذوا مورد الماء في أيديهم وقرروا منعنا من الماء (٢) ، فذهبنا الى أمير المؤمنين فأخبرناه بذلك ، فدعى صعصعة بن صوحان فقال له أت معاوية وقل له : "أنا سرنا مسيرنا هذا اليكم ونحن نكره قتالكم قبل الاعذار اليكم ، وانك قد قدمت الينا خيلك ورجلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا ، ونحن من رأينا الكف عنك حتى ندعوك ونحتج عليك ، وهذه اخرى قد فعلتموها أذ حلتم بين الناس وبين الماء ..."(٣) ، وعلى ما يبدو ان العقاد استند الى المسعودي في مقولته تلك ، اذ ذكر المسعودي: " بات علياً وجيشه في البر عطاشاً ، ومعاوية يقول : يموتوا عطاشا كما مات عثمان " (٤) .

و ان معاوية كان قد استشار أصحابه فيما يعمل ، فأشاروا عليه أن يحول بين علي والماء ، فarsل معاوية مددا الى الحراس الذين يحمون المورد ثم حصل بين المعسكرين تراشق بالنبل والرماح وضرباً بالسيوف ، حتى اقتحم أصحاب علي (عليه السلام) الماء وملكوه (٥) ، وهنا جاءت الفرصة لعلي (عليه السلام) لكي يغلب أعداءه بالظماً ، فقال أصحابه : والله لا نسقيهموه . فكان هو سفيراً لمعاوية وجنوده يتشفع لهم فصاح بأصحابه " خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا الى عسكريكم وخلوا عنهم ، فأن الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم " (٦) .

فلم يكن هذا بعيداً عن خلق علي ، وطبائعه ، أنه خلق السماء الذي نشأ عليها علي ، وتربية رسول السماء الذي كان المربي الاول له ، فلم يطلعنا التاريخ على قائد أكثر عطفاً من علي (عليه السلام) على اعداءه.

١ - عبقرية الامام ، ص ٣٦ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١ / ١٨١ ؛ المطهر ، البدء والتاريخ ، ١ / ٣٢٢ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٧ ؛ أبو حنيفة لدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٦٨ .

٤ - مروج الذهب ، ١ / ٣٢٤ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٧ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ١ / ٥٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٤٧٦ ؛ الحلي ، ابو البقاء ، المناقب المزبانية في أخبار الملوك الاسدية ، ٤٨ ، الصلابي ، الدولة الاموية ، ١٦٦ .

٦ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٨ .

كما نجده في يوم الجمل تلوح له فرصة أخرى فيأبى ان يهتبلها انصافاً لأعدائه ،
فنهاهم من ان يسلبوا أموالهم ويستبيحوا السبي وهو في نظرهم حلال ، قالوا : " اتراه يحل لنا
دماءهم ويحرم علينا أموالهم " ؟ فقال : " انما القوم أمثالكم من صفح عنا فهو منا ونحن منه
ومن لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر " (١) .

وهكذا سن علي (عليه السلام) آداب الفروسية ، وسنن ومبادئ النخوة ، الذي عرف بها وسار عليها في
حياته وحروبه ، واخذها عنه من اقترب منه وصاحبه .

وكان من آداب فروسيته ايضا انه كان ينهي عن سب الاعداء لانه يرى من دأب
الفرس أن ينال أعدائه بالسيف وليس السباب ، وقال لأصحابه عندما سمعهم يسبون أهل الشام
بصفيين : " أني أكره لكم أن تكونوا سبابيين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم و ذكرتم حالهم كان
أصوب في القول " . مما أثار استغراب أصحابه كما ينقل الدينوري فقالوا له " يأمر المؤمنين
ألسنا على حق ، وهم على الباطل ؟ قال : بلى ، ورب الكعبة المسدنة ، قالوا : فلم تمنعنا من
شتمهم ولعنهم ، فقال : كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانيين " (٢) .

فيقول العقاد : "ربما شذ عن سنته هذه في بعض الاحيان ، فأذا به لا يشذ عنها إلا كما
يشذ الفرسان حين تغلبهم بوادر اللسان ، فندر بين رجال السيف من يسمع الكلمة المغضبة
فلاينطق لسانه بكلمة عوراء يجاري بها غضبه الذي طبع على أبدائه ولم يطبع على كتمانته " (٣) .

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله (عليه السلام) بحق عمرو ابن العاص ومعاوية والاشعث بن قيس ، لكنه
لم يجعله ديدناً له كما فعلوهم وسبوه على المنابر ، وعملوا على مذمته بين أهل الامصار .

وشغب عليه الاشعث بن قيس ، وأفشى الفتنة بين أنصاره ، وقاطعة ذات مرة وهو
يخطب على منبر الكوفة فأثار غضبه وهاج غيظة فقال له : " عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين
، حائك أبن حائك ، منافق أبن كافر ، والله لقد أسرك الكفر مرة والاسلام أخرى ، فما فداك من
واحدة منهما مالك ولاحسبك " (٤) .

وعمل أبن العاص بنعت علي (عليه السلام) بين اهل الشام ويصفه بالهزل والدعابة و يأمر
بسبه على المنابر حتى وجب رده ، فقال (عليه السلام) " عجباً لأبْن النابغة ، يزعم لأهل الشام أن في

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٨ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٩ ؛ بن قتيبة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٦٥ .

٣ - عبقرية الامام ، ص ٤٠ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٤٠ ؛ عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ٤٨ .

دعابة وأني أمرؤ تلعباة ، أعافس ، وأمارس ، لقد قال باطلاً ونطق أثمأً ، أنه يقول فيكذب ، ويعد فيخلف ، ويسأل فيبخل ، ويخون العهد ويقطع الأمل " (١) .

وكان (عليه السلام) يجيب معاوية بنظائر تلك الكلمات عندما يجترئون عليه بما ينقص من حقه ، فلا يشذ عن ديدن الفرسان في رؤية الفكرة ولا يوادر لسانه

إن ما قاله علي (عليه السلام) بحق هؤلاء لم يكن أخلاقاً بأدبه أو خروجاً عما عرف من أخلاقه ، لكنه (عليه السلام) عندما وجد هؤلاء يتجنبوا مواجهته بساحات القتال ، ويخشوا حد السيف وقرار الحسام ، و لجاءوا الى المكر والسب وأثارة الفتن ، فكان على الامام (عليه السلام) أن يصددهم عما يعملون بذات الاسلوب الذي يفهمونه . واعتادوا على أتباعه .

صفات الامام:

وصف علأً (عليه السلام) في طفولته بأنه كان طفلاً مبكر النماء ، سابق لأقرانه في الفهم والقدرة ، فقد أدرك وهو في السادسة أو السابعة من عمره شيئاً من الدعوة النبوية (٢) .

وصفه الواصفون وهو في تمام رجولته : انه كان (عليه السلام) ربعة أميلً الى القصر ، آدم ، أي أسمر ، شديد الادمة ، أصلع مبيض الرس واللحية طويله ، حسن الوجه ، واضح البشاشة ، عريض المنكبين لهما مشاش كمشاش السبع الضاري لا يتبين عضده من ساعده قد أدمجت ادماجاً ، وكان أبجر – اي كبير البطن – يميل الى السمنة في غير افراط ، ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها ، ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ، شئن الكفين ، يتكفأ في مشيئته على نحو يقارب مشية النبي ، ويقدم في الحرب فيقدم مهرولاً لايلوي على شيء (٣) ويقول الابن الاثير : "كان علياً من أحسن الناس وجهاً ، ولايغير شيبه ، كثير التبسم" (٤) ، كما ينقل ابن الجوزي

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٤١ ؛ الدينوري ، أبو حنيفة عيون الاخبار ، ١ / ٦٩ ؛ عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ١١٤ ؛ الكعبي ، شهيد كريم محمد ، صورة أصحاب الكساء بين تجني النص و أستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامس أنموذجاً ، دار الكفيل ، كربلاء ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م ، ص ٦٠٦ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤- ١٥ ؛ الكنجي الشافعي ، الامام الحافظ ابي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) ، كفاية الطالب في مناقب علي أين أبي طالب : ، تح: محمد هادي الاميني ، ط ٣ ، دار أحياء تراث اهل البيت ، طهران ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٤٠١ .

٤ - الكامل ، ٢ / ١٠٤ .

اخبرنا ابو عمر بن هارون قال : اخبرنا اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي قال : " رأيت عليا وكان عريض اللحية أصلع على رأسه زغيبات" (١)

وهذه الصفات وغيرها من صفاته (عليه السلام) التي تتفق عليها المصادر ، ومن صفاته التي لا اختلاف عليها ايضاً هي قوته الجسمانية ، فيقول العقاد واصفاً قوة الامام الجسمانية : ربما رفع الفارس بيده فيجلد به الارض غير جاهد ولا حافل ، ويمسك بذراع الرجل فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس ويذكر المازندراني : "كانت لعلي ضربتان إذا تطاول قد وأذا تقاصر قط ، كما يقول : كانت قریش اذا رأوه بالحرب توأست خوفاً منه ، وقد نظر اليه رجل وقد شق العسكر فقال : علمت بأن ملك الموت في الجانب الذي فيه علي" (٢) ، وعرف عنه انه لم يصارع رجلاً الا صرعه ، كما يذكر المطهر المقدسي عنه ذلك فيقول : "قال الحارث الاعور كان علي دقيق الذراعين كأن على كاهله سنام ثور لم يصارع أحداً الا صرعه" (٣) .

ويروي السيوطي عن شجاعة علي المشهورة عن جابر بن عبدالله: "ان علي حمل باب خيبر على ظهره حتى صعد المسلمون عليه وانهم جروه بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلاً" (٤)

وعرف عنه انه لا يبالي بالحر والبرد ، ولا يحفل بالطوارئ الجوية في صيف ولا شتاء ، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء و ثياب الشتاء في الصيف ، وسئل (عليه السلام) عن ذلك فقال " ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعث اليه وأنا أرمد العين يوم خيبر ، فقلت : يا رسول الله : أني أرمد العين ، فقال : اللهم أذهب عنه الحر والبرد ، فما وجدت حرا ، ولا بردا منذ يومئذ" كما ونقل ذلك الشامي بأن رسول الله دعا لعلي (عليه السلام) فقال (اللهم اذهب عنه الحر والبرد) (٥) .

ثم يعلق العقاد على هذا قائلاً : " لا يفهم من هذا أنه (عليه السلام) كان معدوم الحس بالحر والبرد بالغاً ما بلغت به القساوة والايذاء ، فقد كان يردد للبرد للبرد اذا أشتد " وينقل العقاد

١ - المنتظم ، ٨٩/٢ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤ ؛ ابن شهر آشوب ، ابي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي ، مناقب ال ابي طالب ، تح: يوسف البقاعي ، ط٢ ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ، ٢ / ٩٧-٩٨ .

٣ - البدء والتاريخ ، ٢٨١/١ .

٤ - تاريخ الخلفاء ، ص ٦٨ .

٥ - العقاد ، عبقرية علي ، ص ١٥-١٦ ؛ النسائي ، ابي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٣٠٣ هـ - ٩١٥ م) ، تهذيب خصائص الامام علي ، تح: أبو أسحاق الحويني الاثري الحجازي بن محمد بن شريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٢٧ ؛ الشامي ، سبيل الهدى والرشاد ، ١٠ / ٢٠١ .

رواية مروان بن عنترة عن أبيه الذي قال: " دخلت على علي (عليه السلام) بالخورنق وهو فصل الشتاء وعليه خلق قطيفة وهو يردد فيها ، فقلت : يا أمير المؤمنين أن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل هذا بنفسك ؟ فقال : والله لا أرزأ من مالكم شيئاً ، وماهي الا قطيفتي التي أخرجته من المدينة " (١) .

ويذكر الشعراني أن علياً لم يكن عديم الحس بالبرد والحر ، بل كانت ترتعد أعضاؤه من البرد شتاءً لكنه يتمتع من أخذ المال من بيت المال وهذا هو زهده الذي عرف به (٢)

وهذا الزهد الذي عرف به أمامنا علي (عليه السلام) فلم يكن في ملبسه أو مأكله ما يميزه عن فقراء الامة ، لم يكن هذا انعدام حس بالصيف والشتاء ، إنما هي مناعة قوية قد خص بها الامام (عليه السلام) ولم يخص بها معظم الناس .

وكانت شجاعته (عليه السلام) تمتاز بالتورع عن البغي ، والمروءة مع الخصم سواء كان ضعيفاً أم قوياً ، وسلامة الصدر من الضغن بعد الفراغ من القتال و ومع قوته البالغة وشجاعته النادرة فإنه لم يبدأ أحد بقتال وكان يقول لأبنه الحسن (عليه السلام) " لا تدعون الى مبارزة .فإن الداعي اليها باغ والباغي مصروع " وعندما علم بأن جنود الخوارج يفارقون عسكره لمحاربته ، وقيل له " انهم خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك ، فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني . وسيفعلون " (٣)

ويذكر الياضي انه (عليه السلام) وجه لهم ابن عباس (رض) ليعظهم فقال لهم جئتم من عند صهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وابن عمه ،واعلمنا بربه وسنة نبية ، فقال لهم ابن عباس : أنشدكم بالله الا ما صدقتم أما علمتم ان الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم يصاد في الحرم فقال عز من قال " يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة " فقالوا اللهم نعم ، قال :

١ - عبقرية علي ، ص ١٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٨ / ٣ .

٢ - عبد الوهاب (ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) ، الطبقات الكبرى لواقح الانوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية ،تح: احمد عبد الرحيم السايح و آخرون ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ١ / ٤١ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٩ ؛ باسلوم ، مجدي محمد سرور ، و سميرة جميل مسكي ، موسوعة آل بيت النبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ٦١ / ٢ .

أنشدكم الله هل تعلمون ان رسول الله أمسك عن القتال للهدنه بينه وبين قريش في الحديبية ، قالوا اللهم نعم فبدأ بكلامهم حتى تمكن من اقناعهم فسمع له منهم ألفان (١) .

بينما يذكر صاحب كتاب المسترشد في أمانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن ابن عباس تمكن من اقناع اربعة الاف رجل ممن قعدوا عنهم (٢) .

فاستطاع (عليه السلام) بأرساله لابن عباس ووعظهم من كسب فئة كبيرة منهم وأرشادهم الى طريق الرشاد بعد أن ظلوا .

فكان (عليه السلام) يعظ قوماً حتى أبهر وعظه بعض الخوارج الذين كفروه ، فصاح أحدهم معجباً بكلامه أعجاب الكاره الذي لا يملك اعجابه ولا بغضه : " قاتله الله كافراً ما افقهه " ، فحاول اتباع علي (عليه السلام) لقتله ، لكنه (عليه السلام) نهاهم عنه وهو يقول : " انما هو سبٌ بسب أو عفواً عن ذنب " (٣) .

اما مروءته (عليه السلام) كانت أندر بين ذوي المروءة فأبى علي جنده أن يقتلوا مدبراً ، او يجهزوا على جريح أو يكشفوا ستراً أو يأخذوا مالاً ، وقد صلى في معركة الجمل على القتلى من اصحابه واعدائه على سواء ، فيذكر الطبري ان علياً توجع لقتلى الجمل (٤) حتى قال له الاشتر ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم (٥) .

وظفر بكل من عبدالله ابن الزبير و مروان ابن الحكم وسعيد بن العاص وهم من أشد اعدائه ومؤلبين الناس عليه فعفا عنهم ، وظفر بعمر بن العاص وهو كما يقول العقاد : " أخطر عليه من جيش ذي عدة " فاعرض عنه وتركه ينجو بحياته عندما كشف عن سواته اتقاء لضربته (٦) حتى قر ابن العاص بذلك في شعره :

وعلمتهم كشف سوءاتهم لرد الغضنفرة المقبل

١ - مرآة الجنان ، ص ٥٤ .

٢ - الطبري الامامي ، محمد بن جرير بن رستم ، تح: احمد المحمودي، مطبعة سلمان الفارسي ، قم ، (د.ت) ، ص ٣٩٣ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٩ ؛ العاملي ، جعفر مرتضى ، علي والخوارج ، المركز الاسلامي للدراسات ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ١ / ١٤٩ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت النبي ، ٦٢/٢ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢١ ؛ تاريخ الرسل ، ٦٤ / ٣ ؛ باسلوم ، موسوعة أهل بيت النبي ، ٦٣/ ٢ .

٥ - المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٢٢/ ١ .

٦ - عبقرية الامام ، ص ٢١ ؛ باسلوم ، موسوعة اهل بيت النبي ، ٦٣/٢ .

و أكشف عن سواتي أدلي

فقت على عجلتي رافعاً

حياءً وروعك لم يعقل (١)

فستر عن وجهه وانثنى

وفي معركة صفين عندما منعه جند معاوية الماء وهم يقولون : ولاقطرة حتى تموتن عطشاً، ولما حمل على الماء وأجلاههم فسمح لهم أن يشربوا كما يشرب جنده ، وينقل ابن الجوزي انه لما غلب اصحاب علي (عليه السلام) على الماء ،قال علي لهم خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا، وخلوا عنهم،ففعلوا (٢)

وعندما زار عائشة بعد معركة الجمل صاحت به صفية أم طلحة الطلحات " أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي " فلم يرد شيئاً عليها ، ثم خرج فعادت عليه ماقالته له فسكت ولم يرد أيضاً ، فقال رجل أغضبه كلامها " ياامير المؤمنين : أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع ؟ فأنتهره وهو يقول : ويحكم ؟ .. أنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات أفلا نكف عنهن وهن مسلمات " (٣) .

وقد اخبره بعض أتباعه أن رجلين ينالان من عائشة . فأمر أن يجلدون مائة جلده ، فيذكر الطبري ان هذين الرجلين كانا قد قالوا في عائشة " انها أعق أم نعلم " (٤) .

ويبدو أن قيام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بجلدهم من أجل أن يحفظ لعائشة مكانتها كأمر المؤمنين ، ولايفسح المجال للغط المتقولين ، فماكان منه الا أنزال العقوبة بهم لردع الآخرين ممن تسول لهم أنفسهم القول كقولهم .

وعندما ودع عائشة اكرم وداعها وسار في ركابها أميالاً ، وكان قد أرسل معها من يعمل على خدمتها ، فقبل انه ارسل معها عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم وقلدهن بالسيوف ، لكنها قالت عليه بالطريق مالا يجب ان يقال عليه وتاففت عليه ، وقالت : " هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي " ، وعندما وصلت المدينة القى النساء من رؤسهن العمائم ، وقال لها أنما نحن نسوة (٥) ، وينقل ابن الطقطقي : " أن علي أختار له أربعين امرأة

١ - ال قطيط ، هشام ، سلوا عليا عن طرق السماوات والارض ، ط٢ ، منشورات الفجر ، بيروت ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ص ٧٨٦ - ٧٨٨ .

٢ - المنتظم ، ١٠٣ / ٢ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢١ .

٤ - تاريخ الرسل ، ٦٣ / ٣ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٢ .

من نساء البصرة المعروفات لأجل الطريق وسيرها بصحبة أخيها محمد بن أبي بكر مكرمة
مختومة" (١) .

اما ابن الاثير يقول : أن علياً أرسل معها جماعة من رجال ونساء وجهازها بما تحتاج
(٢) .

وهل يوجد أنبل من هذه المروءة التي يحملها علياً (عليه السلام) مع من ألب الناس ضده ، وقاد
الجيش عليه ، وعكر صفو خلافته . فأما تصرفه مع عائشة فلم يكن غريباً فهو قد قضى شبابه
مدافعاً عن النبي و أهله في حياته ، فلم يوجد أحرص منه على شرف النبي بوفاته .

كما أنه (عليه السلام) نهى أهله من التمثيل بقاتله فيذكر ابن الطقطقي: " لما ضرب ابن
ملجم ، لعنه الله ، علي ابن أبي طالب بالسيف قبض ابن ملجم وحبس حتى ينظر ما يكون من
أمر علي (عليه السلام) فجمع علي ولده وخاصته وقال لا تمثلوا بالرجل فأني سمعت رسول الله
(ص) ينهي عن المثلة ولو بالكلب العقور " (٣) .

ورثى طلحة الذي كان قد نقض بيعته وجمع الجموع لحربه رثاء محزون يفيض كلامه
بالألم و المودة ؛ وذلك بعد أن مرّ عليه هو صريع فقال: لهفي عليك يا أبا محمد! إنا لله وإنا إليه
راجعون، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى، أنت والله كما قال الشاعر:

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا ما هوا استغنى ويبعده الفقر (٤)

ان البعض كان يتهمه (عليه السلام) بالزهو، وهو ليس زهواً وانما هي الثقة بالنفس ، فيقول
العقاد كانت هذه الصفة من صفات علي (عليه السلام) يفهمها من يريد أن يفهم ولا يضيق
صدره بفضله ، أما من ينفّس عليه ذلك فيسميها الزهو او الخيلاء .

فينقل لنا العقاد حادثة تبين مدى اتهام علي (عليه السلام) بالزهو فيقول " مر الزبير بن
العوام مع رسول الله (ص) في بني غنيم ، فرأى رسول الله علياً على مقربة منه فضحك له

١ - الفخري في الاداب السلطانية ، ص ٣٠ ؛ مشكول، ابن عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول ، ١ / ٣٩٢ ؛
الاعظمي ، علي ظريف ، مختصر تاريخ البصرة ، تج: عزة رفعت ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، (د.ت)
، ص ٣٤ .

٢ - الكامل ، ١٢ ص ٥٢ .

٣ - الفخري ، ص ٤٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ١٨٥/٢ ؛ الصلابي ، علي محمد ، سيرة أمير المؤمنين علي
ابن ابي طالب ، (د.ط) ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ٣ / ١٩٤ .

٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ٥٠/٢ ؛ ابي الفداء ، المختصر ، ١ / ٢٦٨ .

وضحك علي يحييه . فقال الزبير : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، قال رسول الله : أنه ليس به زهو ، ولتقاتله وأنت له ظالم .^(١)

يتبين لنا من هذه الحادثة أمران .. الاول : هو مدى أتهام علي (عليه السلام) بالزهو من أقرب الناس اليه هو الزبير لانه قال هذا القول قبل حربه لعلي (عليه السلام) ، ألم يقل علي عن الزبير " كان الزبير منا بني هاشم الى أن أدرك عبدالله أبنه"^(٢)، فكلام علي هذا يدل على مدى قرب الزبير منه ، ألم يبايع الزبير علي (عليه السلام) من رجال الشورى الذين وضعهم عمر لانتخاب الخليفة من بعده .فإذا كان هذا قول الزبير فما قول شائني علي .

أما الامر الثاني : هو قول الرسول لزيير تقاتله وأنت له ظالم ؟ فماحكم من حارب علي يوم الجمل ؟ وما هو أذن حكم خروج عائشة وتحريضها على محاربة علي .

و أن هذا الحديث كان سبباً في تراجع الزبير عن قتال علي يوم الجمل ، وذلك بعد أن ذكر علي الزبير بذلك الحديث وقول الرسول " لتقاتله وأنت له ظالم وقال :علي فعلام تقاتلني؟" ، فشرد الزبير برهة ثم تنبه وقال "اللهم نعم ، وقد كنت أنسيتها ولو ذكرتها ماخرجت اليك"^(٣)

وانما هذه هي الثقة الأصيلة التي أمتلأ بها أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم تفارقه منذ طفولته حتى أستشهاده . فان علي في سنينه الباكره كما هو علي في الخمسين أو الستين .

فمن شواهد هذه الثقة بالنفس انه حملها من ميدان الشجاعة الى ميدان العلم والرأي حيث كان يقول : " أسألوني قبل أن تفقدوني فو الذي نفسي بيده لا تسألوني في شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة ألا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ، ومناخ ركابها ومحط رجالها " ^(٤) .

^١ - عبقرية الامام، ص ٢٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل، ٤٤/٢ ؛ الشرقاوي ، عبد الرحمن ، علي أمام المتقين ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، (دب)، ١ / ٢٢٩ .

^٢ - كمره اي ، عبداللطيف كوه ، البديون في حرب صفين ، مركز الغدير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ \ ٢٠٠٤ م ، ص ٥٢ .

^٣ - ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٤٧ ؛ الشرقاوي ، علي أمام المتقين ، ١ / ٢٢٩ .

^٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١٨٢/٢ .

وان هذا لم يكن أعجاب بالنفس بقدر ما كان ثقة بنفسه وقدرته ، كيف يعجب بنفسه وهو الذي كان ينهي عن الاعجاب بالنفس ، فكان يقول " أياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها " (١) . وهذا ما قاله (عليه السلام) لمالك الاشر حين ولاه مصر (٢) .

فما أستطاع قط أن يحصي عليه كلمة خالف فيها الحق في سلمه وحربه ، أو بين أصحابه أو بين أعدائه ، ولعله كان (عليه السلام) أحوج الى المصانعة بين النصراء أكثر مما بين الاعداء ، لانهم أرهقوه باللجاجة وأعتنوه بالخلاف ، فما عدا معهم قول الصدق في الشدة والرخاء ، حتى قال عنه أقرب الناس اليه : " أنه رجل يعرف من الحرب شجاعتها ولكنه لا يعرف خدعتها " وقال (عليه السلام) " علامة الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ، وألا يكون في حديثك فضل على علمك ، وأن تتقي الله في حديث غيرك " (٣) .

فأن صراحتة (عليه السلام) وصدقه كان السبب المباشر في خروج كثير عليه وشق عصا الطاعة ، وتجيش الجيوش ضده ، ممن كانوا اقرب الناس اليه ، وذلك لطمعهم في المناصب والاموال لكنه (عليه السلام) لم ير فيهم الاهلية لهذه المناصب ، أو الاحقية في هذه الاموال .

فأن العقاد يقول لم اعرف أحداً من الخلفاء أزهده منه في لذة الدنيا ، وكان وهو أمير المؤمنين يأكل الشعير وتطحنه أمراته بيديها ، وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير فيقول : " لا أحب أن يدخل بطني مالا أعلم " (٤) .

قال عمر بن عبدالعزيز وهو من أسرة أمية التي تبغض عليا وتختلق له السيئات وتخفي ما توافر له من الحسنات : " أزهده الناس في الدنيا علي ابن ابي طالب " (٥) .

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٨؛ الحراني ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، تحف العقول عن آل الرسول ، تح: حسين الاعلمي ، ط ٧ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ١٠٣ .

٢ - الحراني ، تحف العقول ، ص ١٠٣ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٠ ؛ عبده ، محمد ، شرح نهج البلاغة ، ط ٣ ، ذوي الفربي ، قم ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ٤ / ٥١٢ ؛ جرداق ، جورج ، موسوعة الامام علي صوت العدالة الانسانية ، تح: ميخائيل نعيمة ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م ، ٣ / ٢١١ .

٤ - عبقرية الامام ، ص ٣٠ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣١ ؛ القمي ، امير المؤمنين ، ص ١١٠ ؛ الخوارزمي ، المناقب ، ص ١١٧ .

وزهد علي (عليه السلام) قد شهد به الله ورسوله وهذا ما رأوه الخوارزمي عن عمار ابن ياسر قوله : سمعت رسول الله (ص) يقول "يا علي ان الله تعالى زينك زينة لم يزين العباد بزينة هي أحب اليه منها : زهدك فيها وبغضها اليك وحبب اليك الفقراء فرضيت بهم أتباعاً ورضوا بك أمماً" (١).

وأن هذا اعتراف كبير من شخصية كالعقاد بأن أسرة بني أمية هي من الأسر التي تبغض علي (عليه السلام) وتخلق له السيئات وتخفي محاسنه وفضائله ، وتألب الاعداء عليه

وقد ابى أن ينزل القصر الابيض بالكوفة أيثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء ، وقد باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام ، فينقل ابي نعيم الاصفهاني عن علي ابن الارقم عن أبيه . قال : " رأيت علياً وهو يبيع سيفاً له في السوق ، ويقول من يشتري مني هذا السيف ، فو الذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ولو كان عندي ثمن أزار ما بعته " (٢).

وكيف لا يكون هذا زهده وهو الذي كان يدعو " اللهم أني أسالك سلوا عن الدنيا ، ومقتاً لها ، فإن خيرها زهيد ، وشرها عتيد ، فلا تجعلني ممن رضي بها ، وأطمأن اليها ، ووثق بها ، فإن من أطمأن اليها خانته ، ومن وثق بها غرته " (٣) . وروي النضر بن المنصور عن عقبة بن علقمة قال : " دخلت على علي .ع. فاذا بين يديه لبن حامض أذنتي حموضته وكسر يابس ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتاكل مثل هذا ؟ فقال لي : يا أبا الجنوب ، كان رسول الله يأكل ايبس من هذا ويلبس أخشن من هذا ، وأشار الى ثيابه فإن ام أخذ بما أخذ به خفت الالحق به " . و كانت للامام صفات ومزايا فكرية تطابق ما معروف عنه من صفات نفسية وخلقية ، فأتفق خصومه وأصحابه على بلاغته ، كما اتفقوا على علمه وفطنته ، وتفرقوا فيما عدا ذلك من رأيه في علاج الامور ودهائه في سياسة الرجال . كان على قدر كبير من الفطنة النافذة لاينكرها منصف ، وانه لاوعنه أخذ العلماء ممن شرعوا علم الكلام قبل ان يتوصل اليه علم فارس أو علم اليونان (٤) .

١ - المناقب ، ص ١١٦ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ١ / ٣١٨ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٠ ؛ الحافظ ابي نعيم أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ١ / ٨٣ .

٣ - القرشي ، باقر شريف ، موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، مطبعة امير ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٢٨١ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣١ - ٣٢ .

اضافة الى أخلاقه وصفاته الجسمية (عليه السلام) لا يختلف أثنان في بلاغته ، فإن قوة ساعده في القتال لا يقل عن بلاغة لسانه ، ألم ينقذ عمر ابن الخطاب في مواقف شتى ، حتى قال عنه " لولا علي لهلك عمر " (١) ، والفضل ما شهدت به الاعداء ، فيروي ابن أبي الحديد " أن معاوية سئل محفن بن أبي محفن من أين أتيت ؟ قال جئتك من أعبي الناس ، وكان يقصد بأعبي الناس الامام علي (عليه السلام) ، قال له معاوية : ويحك ، فو الله ما سن الفصاحة لقريش غيره " (٢) .

كما كان يقول " عقت النساء أن يلدن مثله " ، اي مثل امير المؤمنين علي بن أبي طالب (٣) .

وهو الذي وضع اسس علم الكلام (٤) ، قبل ان يصل اليه الحضارات المتقدمة عليهم (٥) .

لكن يفترق الناس في رأيه رأيين وأن لم يكونوا من الشانئين المتحزبين ، فيقول فريق : " انه كان على قسط وافر من الفهم والمشورة ، ولكنه عند العمل لا يرى ما تقضي به الساعة الحازبة و لا ينتفع بما يراه " ، ويقول فريق آخر: " بل هو الاضطرار والتخرج يقيدانه ولا يقيدان أعداءه وانهم لدونه في الفطنة والساد وقد اعتذر لنفسه بمشابه لهذا العذر حين قال : " والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس " (٦) .

لكن العقاد يقول أن هذين الفريقين لم يثبت احدا منهما أن العمل بالأراء الاخرى كان أنجح في حل المشكلات من العمل على رأي الامام ، كما انه لم يثبت أحداً ان خصوم الامام كانوا يصرفون الامور خيراً من تصريحه (عليه السلام) ، لو انهم وضعوا في موضعه وتعرضوا للمتاعب التي تعرض لها ، وكلنا الحقيقتين حرية أن تضبط لسان الميزان قبل أن

١ - هيفا ، راجي انور ، الامام علي في الفكر المسيحي المعاصر ، ط٤ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١١ م ، ص ٣٣٣ ؛ الشرقاوي ، علي امام المتقين ، ١ / ٨٦ .

٢ - ال قطيط ، سلوا علياً ، ص ١٧٠ .

٣ - القاضي النعمان ، ابي حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) ، شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار ، تح: محمد الحسيني الجلاي ، ط٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩ م ، ١٣ / ٢٤١ .

٤ - علم الكلام : هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة و سر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد: ينظر ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٨٠ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٣ .

٦ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٣٣ ؛ ابو جعفر الاسكافي ، محمد بن عبدالله المعتزلي (ت ٢٢٠ هـ / ٨٣٦ م) المعيار والموازنة في فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، تح: محمد باقر المحمودي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٩٦ - ١٦٦ .

يميل فيغلوا به الميل هنا أو هناك . هذه صفات تنتظم في نسق موصول : رجل شجاع لانه قوي ، وصادق لأنه شجاع ، وزاهد مستقيم لأنه صادق ، وأصدق الشهادات لهذا الرجل الصادق أن الناس اثبتوا له في حياته أجمل صفاته المثلى ، فلم يختلفوا في شيء منها إلا الذي اصطدم بالمطامع وتفرقت حوله الشبهات ، وما من رجل تتعسف المطامع أسباب الطعن فيه ثم تنفذ منه الى الصميم^(١) .

ثقافة الامام:

قبل أن يخوض العقاد في ثقافة أمير المؤمنين يبتدأ كلامه ، بذكر بعض الالقاب التي تلقب بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وصار يعرف بها دون غيره .

منها لقب (الامام)^(٢) ، الذي أختص به علي (عليه السلام) من بين الخلفاء الراشدين ، وأذا أطلق لا ينصرف الى أحدٍ غيره ، ثم يطلق العقاد تساؤلاً يقول فيه : ألم يكن أبو بكر أماماً كعلي ؟ ألم يك عمر أماماً كعلي ؟ ألم يكن الثالث أماماً كعلي ؟ فيجيب قائلاً " بلى كانوا أئمة مثله ، وسبقوه في الامامة .

فيكمل العقاد قائلاً : أن من الاسباب التي جعلت علي (عليه السلام) يشتهر بهذا الاسم دون غيره ، هو أن الخلفاء الذين سبقوه لم يمتازوا على هذا اللقب ، ولم يكتب لأحد منهم أن يحمل علم الامامة ليناضل به ، ولا أن يتحيز بعسكر يقابله عسكر ، فكلهم أمام حيث لا يوجد التباس ، ولكن الامام بغير تذليل ولا تعقيب هو الامام كلما وقع الالتباس والاشتباه .

كما يقول أن من صفات الامامة التي أنفرد بها علياً (عليه السلام) ولا ينافسه أمام غيره ، هي اتصاله بكل مذهب من المذاهب والفرق الاسلامية ، فهو منشئ هذه الفرق وقطبها ، كما يعرض العقاد سبب آخر لاتصاف الامام بصفة الامامة فيقول : هو نسبة العلوم اليه ، " فقل أن سمعنا بعلم من العلوم الاسلامية أو العلوم القديمة لم ينسب اليه " ^(٣) .

١ - عبقرية الامام ، ص ٣٣ .

٢ - العقاد، عبقرية الامام، ص ٢١١ ؛ الخوارزمي ، المناقب ، ص ٤١ ؛ الوزير ، الهادي بن ابراهيم بن علي (ت ٨٢٢ هـ / ٤١٩ م) ، البروج في أسماء أمير المؤمنين ، تح: محمد الاسلامي اليزدي ، منشورات جامعة الاديان ، طهران ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ص ٤٤ .

٣ - عبقرية محمد ، ص ٢١٤ .

وأن العقاد هنا لم يكن موفقاً في تبيان سبب تسمية علي (عليه السلام) ب (الامام) ، إضافة أنه جعل الامامة تسمية وليس منصب ، بينما الامامة منصب وليس مجرد لقب فذهب العقاد يبحث في اسباب تسميته (عليه السلام) بها . ذاكراً أن كل من الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه كانوا يلقبون بالامام ايضاً .

يمكننا أن نرد على العقاد بالبده بتعريف الامامة أولاً والتي هي : " التقدم فيما يقتضي الطاعة لصاحبه فيما تقدم به على الايضاح والبيان" وأن منفعة وجود الامام هو لطف من الله تعالى لعبيده ، لانه بوجوده بينهم يجتمع شملهم، ويرتدع الجاهل ، وينصف الضعيف من القوي ، والفقير من الغني ، فاذا لم يوجد بطل الشرع واحكام الدين من حج وجهاد وغيرها ، ألا أن يكون الامام خائفاً على نفسه فقد ظهر عنده (١) .

ولكن للامامة شروطاً : منها أن يكون الامام أفضل الامة ، ويجب اجتماع فيه خصال لا تتوفر عند غيره ، منها العلم بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، والفقه في الدين ، والجهاد سبيل الله ، والرغبة فيما عند الله ، والزهد فيما عند الخلق (٢) .

ولا يصل الامام الى معرفة هذه الخصال المعودة ، الا بوحي من الله الى رسوله ، فاذا ظهر الوحي فقد وجب على الرسول أن ينص على من يخلفه بعد وفاته ، والنص هذا على نوعين : قول و فعل : " أما القول " هو قول رسول الله (ص) " هذا علي وزيري ، وخليفتي على أمتي ، وقاضي ديني ، والمبلغ عني " (٣) ، وهو القائل (ص) " من كنت مولاه فعلي مولاه " (٤) وينقل صاحب موسوعة الغدير تفسير الرسول (ص) لهذا عندما سأل عن ذلك فقال (ص) " الله مولاي ، أولى بي من نفسي لا أمر لي معه ، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا

١ - جمال الدين الشامي ، جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي ، الدر النظيم في مناقب الائمة اللهايم ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م ، ص ٢٤٧ ؛ الصدوق ، الامالي ، ص ٢٥٣ ؛ الصلابي ، اسامي المطالب في سيرة أمير المؤمنين ، ٢ / ٧٥٤ .

٢ - جمال الدين الشامي ، الدر النظيم ، ص ٢٤٨ .

٣ - جمال الدين الشامي ، الدر النظيم ، ص ٢٤٨ ؛ النسائي ، تهذيب خصائص الامام علي ، ص ٢٢ .

٤ - الطبري ، المسترشد ، ص ٦٢٠ ؛ ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ، ٥ / ٥٣٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٤ / ٤١٦ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ٦٨ / ١٢ ؛ القندوزي ، شيخ سليمان ابن ابراهيم المعروف بخواجه كلان ابن محمد المشتهر به بابا خواجه الحسيني البلخي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧ م) ، ينابيع المودة ، تح: علاء الدين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ١ / ٣٧ .

أمر لهم معي ، ومن كنت مولاه أولى به من نفسه لا امر له معي ، فعلي مولاه ، أولى به من نفسه لا أمر له معه " (١)

أما " الفعل " : هو كفعل رسول الله (ص) بعلي (عليه السلام) انه ولاءه على سراياه وجيوشه ولم يول عليه أحد ، وانما ولاءه على جميع أصحاب جيوشه وأرسلهم تحت رايته ، ولم يكون كالذين ساروا تحت راية عمرو ابن العاص و أسامه بن زيد. وقد علم جميع أصحاب رسول الله (ص) أنه كان اميراً في جيوشه غير مؤمر عليه (٢)

أن منصب الامامة إلهي وديني ، وليس بالانتخاب والتعيين والشورى ، بل هناك نصوص قرآنية تدل عليه ، واحاديث نبوية بهذا الخصوص .فلا يوجد حديث نبوي يدل على تنصيب الرسول لأبو بكر وعمر وعثمان بهذا المنصب ، بينما تعج المصادر بذكر أحاديث النبي التي تنص بأمامة علي (عليه السلام)

أما الحديث عن ثقافة علي ابن أبي طالب فإنه (عليه السلام) كان ينظم الشعر ، وينقد الشعراء نقد العالم البصير ، وعندما سئل : " من أشعر الناس ؟ " قال : " أن القوم لم يجروا في حلقة تعرف الغاية عند قصبته . فأن كان ولا بد فالملك الضليل " (٣) .

لعله كان يقصد بالملك الضليل أمرؤ القيس (٤) .

وذكر أحد المحدثين بانه لقب بـ "الملك الضليل و الملك المضلل ، لانه سعى وجدّ لإعادة ملك والده، ولكنه باء بالفشل، وكان آخر ما فعله في هذا الباب، أن ذهب إلى "القسطنطينية" لمقابلة "قيصر" لإقناعه بمساعدته في الحصول على حقه، وتقويته لينتقم من قتلة والده، وليعيد الحكم إلى كندة، فكان مصيره أن جاءه الموت وهو في طريقه " (٥) .

١ - الاميني ، عبد الحسين أحمد الاميني النجفي (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ، تح: مؤسسة بإسراف محمود الهاشمي الشاهرودي ، ط٥ ، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الاسلامي ، قم ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م ، ٦٧٠ / ١ .

٢ - الشامي ، الدر النظيم ، ص ٢٤٨ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ؛ محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٤ / ٥١٣ .

٤ - الجمحي ، محمد بن سلام (٢٣١هـ / ٨٤٥ م) ، طبقات فحول الشعراء ، دراسة طه احمد ابراهيم ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م ١ / ٥٤ .

٥ - ابن العديم ، عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي كمال الدين (ت ٦٦٠هـ - ١٢٦١م) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) ، ٢ / ٢٥٦ ؛ المفصل ، ١٨ / ٨٦ .

ومن هذه الابيات التي نسبت اليه عليه السلام هو وصفه قبيلة همدان في وقعة صفين :

ولما رأيت الخيل ترحم بالقنا	فوارسها حمر النحور دوام
وأعرض تقع في السماء كأنه	عجاجة دجن ملابس بقتام
ونادي ابن هند في الكلاع وحمير	وكندة في لحم وحي جذام
تيممت همدان الذين هم هم	أذا ناب دهر جنتي وسهامي
فجاوبني من خيل همدان عصابة	فوارس من همدان غير لئام
لو كنت رضواناً على باب جنة	لقلنت لهمدان : أدخلوها بسلام ^(١) .

ومن الابيات الاخرى

محمد النبي أخي وصهري	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها	فأيكم له سهم كسهمي ^(٢) .

اما بخصوص كتاب الجفر فإن العقاد ينفي ان يكون كتاب الجفر أو علم الجفر لعلي (عليه السلام)^(٣) فيكون العقاد بهذا معتمداً على روايات ابناء العامة كأبن تيمية الذي ينكر وجود هذا الكتاب فيقول : " أن الكتب المنسوبة الى علي او غيره من اهل البيت في الاخبار بالمستقبليات كلها كذب مثل كتاب الجفر وغير ذلك"^(٤) ، اما روايات الشيعة الامامية تؤكد ان كتاب الجفر " خص الله تقدس اسمه به محمداً والائمة من بعده عليهم السلام" أي انه يعود أولاً

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢١٦ ؛ المصطاوي ، عبد الرحمن ، ديون الامام علي ابن أبي طالب ، ط ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ١٣٦ .

٢ - عبقرية الامام ، ص ٢١٧ .

٣ - عبقرية الامام ، ص ٢١٧ ؛ الصلابي ، سيرة أمير المؤمنين علي ، ٣/٣٠ .

٤ - العامل ، أكرم بركات ، حقيقة الجفر عند الشيعة ، تقديم جعفر مرتضى ، دار الصفوة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٤٤ .

الى النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) و إن علي (عليه السلام) كان يكتب مايملي عليه الرسول (١).

اما العقاد يستبعد ان يكون الجفر لعلي (عليه السلام) وذلك على حد زعمه أن : " مثل علي في تقواه وفضله ، لا يشتغل بعلم مزعوم هو السحر القديم بعينه ، وليس هو مما يليق بورعه ولا ذكائه " ، ويرى أن علي (عليه السلام) نهى عن أستطلاع الغيب بمثل هذه العلوم وتعلم النجوم ، كما يرى العقاد أن ماجاء في نهج البلاغة من نبوءات حول الحجاج بن يوسف وفتنة الزنج وغارات التتار هو من مدخول الكلام عليه ، ومما كان قد أضافوه النساخ الى الكتاب بعد وقوع هذه الاحداث بزمن قصير أو طويل ، فيذكر العقاد انه يمكن أن نعد علي (عليه السلام) أساساً لموسوعة المعارف الاسلامية في جميع العصور ، أو في الصدر الاول من الاسلام ، لما له من دور كبير و الهداية الاولى في التوحيد الاسلامي ، والقضاء الاسلامي ، والفقهاء الاسلامي ، وعلم النحو العربي ، وفن الكتابة العربي (٢) .

يمكننا أن نقول ذلك وبلا منازع ، ونجزم بأنه موسوعة المعارف الاسلامية على مدار العصور فلا نجد أحد من المنصفين وعلى اختلاف اتجاهاتهم وميولهم يستطيع أن ينكر هذا عن علي ابن أبي طالب ، فقد دانت جميع الخلائق بعلمه وهو علم رسول الله (ص) . وهو القائل (ص) " انا مدينة العلم وعلي بابها " (٣) .

اما القضاء والفقهاء ، فكان أفضى أهل زمانه ، ولا يوجد بينهم من هو أفضى منه وافقه ، واقدروهم على استخراج الاحكام من القران وحديث الرسول والعرف المأثور . فكان عمر يلجأ اليه كلما استعظمت مسألة (٤) . وينقل عن عمر عن أبي البحتري عن علي (عليه السلام) قال : " بعثني رسول الله الى اليمن وأنا شاب حديث السن ، فقلت : يا رسول الله تبعثني الى قوم يكون بينهم أحداث وأنا شاب حديث السن ، قال : أن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك ، قال : ما شككت في حديث أفضى بين اثنين " (٥) .

١ - المجلسي ، بحار الانوار ، ٢٢٠/٥١ ؛ العاملي ، حقيقة الجفر ، ص ٥٨ - ٥٩ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ .

٣ - السهمي الجرجاني ، تاريخ جرجان ، ٧ / ١ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤٣ / ٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٣٧٩ / ٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٤٣١ / ٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣ / ٣٥٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٦٩ ؛ القندوزي ، ينابيع المودة ، ٣٦ / ١ ، القمي ، امير المؤمنين ، ص ٣١ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٢١ .

٥ - النسائي ، تهذيب ، ص ٤٠ - ٤١ ؛ حسام الدين الهندي ، كنز العمال ، ٥ / ٨٠٤ ؛ ال قطيط ، سلوا علياً ، ص ٢٥٨ .

و أن علمه بأدوات الفقه كعلمه بنصوصه وأحكامه ، ومن هذه الادوات علم الحساب اذ كانت معرفته به أكبر من معرفة فقيه يتصرف في معضلات المواريث ، حيث كان (عليه السلام) سريع الفطنة الى الحيلة التي تعد في ذلك الزمان الغازاً تعجز في حلها العقول . فسأل ذات يوم في أثناء خطبته " عن ميت ترك زوجة و ابوين و ابنتين . فأجاب من فوره : صار ثمنها تسعاً " حتى سميت هذه الفريضة بالفريضة المنبرية ، وذلك لانه أفتى بها أثناء خطبته على منبر الكوفة (١) .

فأن هذه سرعة البديهة ، انما تدل على علم زاخر ، وذكاء وافر تمتع به علي (عليه السلام) في المواريث الذي هو من صنوف علم الفقه .

أما في علم النحو ، لا يوجد أحداً أوفر سهما منه في أنشاء هذا العلم (٢) . حيث أن ابا الاسود الدؤلي اشتكى له من شيوع اللحن على السنة العرب ، فأملى (عليه السلام) على أبي الاسود كلاماً وقال له : " أنح هذا النحو يا أبا الاسود " فعرف هذا العلم ب (علم النحو) (٣) .

وما هذا بالمستبعد على شخص كعلي (عليه السلام) بعلمه وفطنته أن يضع أسس الكلام العربي ، فهو الذي نشأ في أفصح البيوت العربية لساناً ، وتربى على أيد أفضل من نطق بالضاد وأقوم أهل الحجاز لغةً رسول الله محمد (ص) .

كما أن أمير المؤمنين هو أول من عالج فن الكتابة معالجة الاديب، واول من أضاف عليها صبغة الانشاء لان كل الذين سبقوه كانوا يعملون على صياغة كلامهم صياغة مبلغين لا منشئين ، لكن علي (عليه السلام) تعلم الكتابة صغيراً، ودرس الكلام البليغ من خلال روايات الالسن وتدوين الاوراق . وذلك لكونه (عليه السلام) كاتباً لرسول الله منذ نعومته أظفاره فلا نستغرب منه بعد هذه الخبرة الطويلة في الكتابة أن يعمل على وضع أسس فن الكتابة العربية وخلق منهاجاً بذلك .

فيقول العقاد أن ديوانه (عليه السلام) الذي سمي ب (نهج البلاغة) هو أحق بان يسمى بهذه التسمية من بين الكتب العربية ، لكن العقاد يشكك في بعضه فيقول باشماله على جزء مشكوك فيه ، ثم يعود ليقول : أن ذلك لا يمنع في اشتماله على جزء صحيح ننسبه اليه ، ويستند

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٢٢ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٢٢ ؛ ال قطييط ، سلوا علياً ، ص ٤٤١ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون ، مقدمة ، ص ٦١٨ .

بذلك من خلال اسلوب الامام ، فضلاً عن قوله : "ربما كانت دلالة الاخلاق والمزاج فيه كانت اقوى وا قرب على الاقتناع من دلالة الاسانيد التاريخية " (١) .

يرى العقاد أن قول النبي (ص) " علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل " (٢) ، أصدق ما يكون على علي ابن أبي طالب (عليه السلام) في علمه وحكمته التي تقارن بأولئك الانبياء .

ثم ينتقل العقاد ليذكر أن علي (عليه السلام) لم تكن له ثقافة أدبية فقط ، فقد كان يمتلك ثقافة عسكرية الذي هي مضماره الأول ومحل شهرته التي تبرز فيه صفة شجاعته قبل أي صفة .

فأن ما يمكن أن يقال في هذا الصدد هو أن فن علي العسكري هو فن المقاتل المغوار الذي ينفع الجيش الذي هو فيه بالشجاعة و أذكاء الحماسة ، وتوطيد الثقة بين صفوفه ، حيث كان (عليه السلام) يعرف كيف يكون الهجوم ومتى يجب الهجوم ، من خطته المشهورة في توهين عزم عدوه أنه أمر بعقر الجمل في تلك الواقعة المعروفة بأسمه ، لأنه كان بمثابة العلم الذي يلتفتون حوله ، ويثبتون بثبوتهم (٣) ، حيث قال للاشتر وعمار ابن ياسر " أذهباً فأعقرا هذا الجمل ، فأن الحرب لا يخمد ضرامها مادام حياً ، أنهم قد أتخذوه قبلة " (٤)

وكان يقسم جيشه الى ميمنة وميسرة وقلب ومؤخرة وطلعية ومن أشباه هذه التقسيمات التي سار عليها في معركة صفين . كما له ثقافة واسعة وكبيرة في نظام الادارة .

ويختتم العقاد ثقافة الامام علي (عليه السلام) بقوله : " ان ثقافة الامام هي ثقافة العلم المفرد والقمة العالية بين الجماهير في كل مقام ، فهي ثقافة الفارس المجاهد في سبيل الله يداول بين القلم والسيف " (٥)

١ - عبقرية الامام ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٢ - عبقرية الامام ، ص ٢٢٨ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) ، المقدمة ، تح: إيهاب محمد إبراهيم، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ص ٣٣٨ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ١٠ / ٣٣٧ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٣٣ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٢٨ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ٤٧/٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٤٨/٢ ؛ عبد المقصود ، عبد الفتاح ، الامام علي ابن أبي طالب ، راجعه محمد علي قطب ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ٢ / ٢٢٣ .

٥ - عبقرية الامام ، ص ٢٣٥ .

الامام علي (عليه السلام) مع أسرته:

كان علي (عليه السلام) يرى أن هناك فضائل خاصة بالمرأة وتليق بها حيث تختلف عن تلك الفضائل التي تناسب الرجل ، فيقول (عليه السلام) : " فخير خصال النساء شرار خصال الرجال . الزهو ، والجبن ، والبخل . فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها و إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها ، و إذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها " (١) .

اي أنه (عليه السلام) كان يرى ليس كل ما يليق بالمرأة يليق بالرجل بل العكس تماماً ، بل لكل منهما طبيعة خاصة تناسبها صفات خاصة ، فالمرأة تتحلى ببعض الصفات لو تحلى الرجل بها لكانت مثلبة عليه ، منها ما ذكره (عليه السلام) وهو البخل فهو عار على الرجل لو أتصف به وقد نهى عنه رسول الله (ص) وذلك لما له من نتائج سلبية على الاسرة لو أتصف بها رب الاسرة ، لكنه يعد من جمالية المرأة لحرصها على مال زوجها وعدم تبذيره و أسرافه .

وعرف عنه (عليه السلام) بالتلطف بالمرأة والصفح عن عداوتها ، فلم ينتقم من امرأة قط لأساءتها اليه ، ما غفل عن الوصية بها في المواضع التي تستدعي الوصية ، ومن أمثلة ذلك ما قاله لجنوده في خطبة في صيفين ، حيث قال : " لا تهيجوا النساء بأذى وأن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم ، فأنهن ضعيفات القوى والانفس والعقول (٢) ، ان كنا نؤمر بالكف عنهن و أنهن لمشركات ، و أن الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر – اي الحجر- أو الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده " (٣) .

ولم يعرف بأن له هوى لأمرأة من نسائه غير الهوى الذي أختص به السيدة الجليلة فاطمة لزهراء (عليها السلام) ، وذلك لمنزلتها وكرامتها عنده وعند أبيها (٤) .

وشاءت الاقدار أن تنقضي حياة الامام (عليه السلام) وللمرأة اليد الطولى في القضاء عليها، فكانت حياة علي الثمينة مهراً لقطام (١) ، التي قال ابن أبي مياس المرادي :

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٣٧ ؛ محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٤ / ٤٧٥ ؛ القبانجي ، السيد حسن القبانجي ، مسند الامام علي ، تح: طاهر السلامي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ٥ / ٨٣ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٣٧ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ٨٤/٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٦٤/٢ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٣٨ .

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة
كمهر قطام من فصيح و أعجم
ثلاثة الاف وعبد وقينة
وضرب علي بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من علي وأن غلا
ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم (٢)

وان حياة الامام البيئية كانت على أفضل ماوصفت به الحياة الزوجية لأزواج زمانه، عاش مع فاطمة (عليهم السلام) ولم يقرن بها أي زوجة أخرى ، حتى ماتت بعد وفاة النبي (ص) بستة أشهر ، وذلك رعاية لمقامها ومقام أبيها ، وكان النبي (ص) يغار لبناته ، فروي عنه قوله وهو على المنبر : " أن بني هشام بن المغيرة استأذوني في أن ينكحوا أبنيتهم علي ابن أبي طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن ، الا أن يريد علي ابن أبي طالب أن يطلق أبنيتي وينكح أبنيتهم . فإنه بضعة مني يرييني ما رابها ويؤذيني ما آذاها " (٣)، بينما يذكر ابي داوود في سننه تنمة لهذا الحديث عن المسور بن مخرمة ، فيقول عندما سمع الرسول (ص) بخطبة علي ابن أبي طالب من بنت أبي جهل ، فقال على المنبر " اني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً ، ولكن والله لاتجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً " (٤).

لذلك نرى ان هذه الرواية و أن ثبت وجودها في كتب المسلمين لايمكن أن تثبت أمام العقل و المنطق ، فهي موضع شكوك واستفهامات جمة منها :

اولا : كيف ينهي رسول الله (ص) عن أمرٍ أحله الله في كتابه وهو الزواج ، فقد أحل الله زواج الرجل لأربعة نساء في أن واحد ، كيف يغضب على حلال الله وان كانت أبنته ؟ فنجد (ص) عند النهي عن السرقة يقول " لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " فإن النبي كان ماضي في تطبيق الشرائع السماوية ولم تأخذه في الله لومة لائم سواء كانت أبنته أو غيرها ، فمن المحال أن ينهي علي عن الزواج لو اراد ذلك حقاً.

١ - قطام بنت علقمة : وكانت خارجية، من تيم الرباب . وقد قتل علي أباه وأخاه يوم النهروان - وكانت فائقة الجمال - فلما رآها عبد الرحمن ابن ملجم التبست بعقله فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي، قال: وما تشائين، قالت: ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة، وقتل علي فوافق على ذلك ، ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، ١ / ٢١١ ؛ المسعودي، مروج الذهب ، ١ / ٣٤٠ ؛ المطهر ، البدء والتاريخ ، ١ / ٣٢٧ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١٣٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٤٧٩ / ١ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٧١ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٤٠ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ٣ / ١٥١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٤ / ٢ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٧ / ٣٢٩ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

٤ - سنن ابي داود ، ٣ / ١٥ ؛ النسائي ، التهذيب ، ص ١٠٧ .

ثانياً : كيف يدعو الرسول (ص) على المنبر بتطليق ابنته وأن الطلاق أبغض الحلال الى ربه وهو القائل (ص) " تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش " (١) .

ثالثاً : من غير المعقول أن يفكر علي (عليه السلام) بالزواج من امرأة غير فاطمة (عليه السلام) وهي أفضل نساء الارض وسيدة نساء الجنة ، ويغبطه العرب أجمعين على نسبه من خاتم الرسل والنبیین محمد (ص) ، لذلك يمكن ان نعد هذه الرواية من وضع الحاقدين على علي (عليه السلام) والناقمين منه

وهنا العقاد يثير أمر آخر يقول فيه أن علياً لم يبايع ابو بكر وفاءً لفاطمة وغضباً لغضبها ، وهجره كما هجرته فاطمة مدة حياتها (٢) .

لكن العقاد لم يذكر سبب غضب فاطمة على أبي بكر ولما هجرته . فهذا دليل واضح على أيمان العقاد بما فعله ابو بكر بفاطمة (ع) من غضب حقها وميراثها بعد أبيها وغصب حق علي (عليه السلام) بالخلافة ، وان لم يصرح العقاد بذلك ويكتفي بالإشارة فقط .

فولدت فاطمة (عليه السلام) لعلي أشهر ابنائه : الحسن والحسين والمحسن ، وأم كلثوم وزينب عليهم السلام وماتت ولم تبلغ الثلاثين (٣) ، وينقل صاحب كتاب المنتظم بأن لعلي (عليه السلام) من الابناء الذكور أربعة عشر ذكراً ، أما الاناث فتسع عشرة أنثى (٤) ، بينما ينقل النسابة ابن عنبه : " بأن له ستة ثلاثون ولداً ، ثمانية عشر ذكراً ، وثمان عشر أنثى ويقول : حكى العمري أنه وجد بخط شيخ الشرف العبيدلي النسابة ماصورته قال : مات من اولاد علي (عليه السلام) الذكور وهم تسعة عشر ، ستة في حياته ، وورثة منهم ثلاثة عشر ، قتل منهم بالطف ستة " (٥) .

١ - القبانجي ، مسند الامام علي ، ٥ / ١٧٢٨ ؛ الطائي ، نجاح ، الشائعات المشهورة ضد الامام الحسن ، دار احياء التراث ، بيروت ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١٠ م ، ص ٣٥ - ٣٦ .

٢ - عبقرية الامام ، ص ٢٤١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٦ / ٢٣٣ ؛ القحطاني ، سعيد بن علي بن وهب ، فقه الدعوة في صحيح الامام البخاري ، الرئاسة العلمية لادارة البحوث العامة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م ، ٢ / ٣٠٦ ؛ بيضون ، أبراهيم ، الامام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ ، ط ٢ ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩ م ، ص ٤١ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٤١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٠٥ ؛ جمال الدين الشامي ، الدر النظيم ، ص ٤٢٩ .

٤ - ابن الجوزي ، ٩٠ / ٢ .

٥ - جمال الدين أحمد بن علي الحسنی الداودي (ت ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م) ، عمدة الطالب الصغرى في نسب آل ابي طالب ، تج: مهدي الرجائي ، مركز الدراسات الاسلامية للأسباب ، قم ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م ، ص ٤٧ .

كما عرف (عليه السلام) بأنه أبٌ سمحٌ يستريح الابناء الى عطفه ، كما أشتهر بالعطف على صغارهم كما عرف بمودة كبارهم ، فكان يداعبهم ويمازجهم^(١).

ويقول (عليه السلام): " أن للوالد على الولد حقاً، وأن للولد على الوالد حقاً ، فحق الوالد أن يطيعه في كل شيء إلا في معصية الله سبحانه ، وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه أن نبي الله (ص) سماه الحسن (عليه السلام)، ثم بعد ذلك أتم حق ابنائه في حسن اختيار أسمائهم ، فأختار لهم اسم النبي وأسلافه الخلفاء : أبي بكر ، عمر ، عثمان " (٢) .

أما معيشته في بيته بين أبنائه وزوجاته ، فكانت تمتاز بالزهد والكفاف ، حيث كان يطحن لنفسه ، ويأكل الخبز اليابس حيث يكسره على ركبته (٣) .

فيقول العقاد : " ان أحداً من رعاياه لم يمت عن نصيب أقل من النصيب الذي مات عنه وهو خليفة المسلمين ، وكان خليفة يوم كانت الخلافة تناقض ملك الدنيا . فكان بيته نقيض القصر الذي تعرض الدنيا المملوكة بين أركانها وزواياها " (٤) .

١ - العقاد . عبقرية الامام ، ص ٢٤٣ .
 ٢ - العقاد، عبقرية الامام ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت النبي ، ٢ / ١٠٤ - ١٠٥ .
 ٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٢٤٤ ؛ الاربلي ، كسف الغمة ، ١ / ٣١٨ ؛ الخوارزمي ، المناقب ، ص ١١٨ .
 ٤ - عبقرية الامام ، ص ٢٤٤ .

المبحث الثاني

عبقرية الامام علي السياسية

بيعة الامام:

بعد خمسة وعشرون سنة من إبعاد علي (عليه السلام) عن خلافة رسول الله (ص) وهو خليفته الشرعي كما اسلفنا في بيعة الغدير، جاءت الخلافة تتوسل بعلي لقبولها، وهو معرض عنها لولا الحاح الملحّين وإصرار المقربين بقبولها، لقد مضت خمسة وعشرون سنة على وفاة النبي الاعظم (ص) عاش الامام خلالها من التهميش والاقصاء ما يعجز عنه الواصفون، فلم يذكره الا اذا حاطت بهم البلوى هرعوا اليه طالبين منه العون والنصرة، فلم يكن يبخل عليهم بذلك.

ذكر العقاد ان الامام بويع بالخلافة بعد حادثة وصفها بأنها من أفعج الحوادث الدامية في تاريخ الاسلام، ألا وهي مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان. بعد أن حاصروه المعارضون بين جدران داره، وقد حاصروه المعارضون لمدة اربعين ليلة كما ينقل الطبري، وكاد يقتل من شدة الظمأ لو أمهله القتلة بضعة أيام^(١).

ثم يطرح العقاد تساؤلاً فيقول: " أكان على علي وزر في هذه الجريمة؟ أكان في مقدوره عمل صالح يعمل له لانقاذ عثمان من هذا المصير؟"، فيجيب قائلاً: نحن لانسأل هذا السؤال لنعود في جوابه الى جدل المجادلين، لقد سال في الخلاف على هذا التساؤل دم غزير ولانريد أن نزيد قطرة على هذا البحر المسجور، فيقول: أن علياً (عليه السلام) لم يكن أقدر على أجتناّب هذا المصير من معاوية أو عثمان نفسه، لو أستمع الى كلام الناصحين، لقد كان معاوية والياً عزيزاً في الشام، له جند يرسله لحماية الخليفة و لاننسى أن لمعاوية قبول لدى عثمان ولم يكن لعلي ولا لأحد من خلصائه، أو كان بإمكان عثمان الرحيل الى مكة أو الشام^(٢).

كيف ينقذ علي عثمان ولم ينقذ عثمان نفسه، الم يطلب من علي أن يمهل المعارضين ثلاثة أيام لكي ينفذ مطالبهم بعزل كل عامل يكرهون، وطلب من علي أن يخرج ويبلغهم ذلك،

^١ - عبقرية الامام، ص ٧٥؛ تاريخ الرسل، ٤٨٦/٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٨٣/٢؛ العمري، أكرم بن ضياء، عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، ص ٤٣٨.

^٢ - عبقرية الامام، ص ٨٢ - ٨٣.

فخرج علي وبلغهم واخذ المواثيق من عثمان بالايفاء بعهده ، ولكن عثمان بدأ يتأهب بالسلاح ويستعد للقتال فنارت ثائرة الناس (١) .

فيتبين لنا من كلام العقاد هذا أن الامام (عليه السلام) كان في موقف أصعب مما يتصوره المتصور ، فهو لم يكن بموقع القبول والحظوة لدى عثمان ليستمع الى نصحه و أرائه ، فوجد العقاد يضع اللوم الاكبر على معاوية لانه القادر الوحيد لانقاذ عثمان فهو أبن عمه ومسموع لديه ، فضلاً عن القوة العسكرية التي يمتلكها لو أراد انقاذ عثمان لأرسلها لحمايته .

وحاول علي (عليه السلام) بأقصى جهده للدفاع عن عثمان اذ ينقل المسعودي أن علياً أرسل ولديه الحسن والحسين مع مواليه يحملون أسلحتهم الى باب عثمان لنصرته ، وعندما هجم القوم جرح الحسن (عليه السلام) أثناء الدفاع عن الخليفة عثمان ، ولما سمع علي بطلب عثمان للماء أرسل له ثلاث قرب من الماء (٢) كان علي(عليه السلام) ناقداً لسياسة الخليفة عثمان وبطانته التي ابعده عن رعاياه ، وطالما نصح عثمان بأقصاء هذه البطانة لكنه صم سمعه عن الناصحين له .

ومع هذا نجد ان الجميع يلجأ الى علي (عليه السلام) يطالبونه بالاصلاح ، و ذلك لان الثوار يعذونه المسؤول الاول في السعي عن الاصلاح ، والخليفة يعده المسؤول عن تهدئة الحال وكف ايدي ال . لذلك نجده (عليه السلام) في حرج شديد من هذه الفتنة (٣) .

وكان لمروان بن الحكم (٤) هو الاخر موضع الحظوة الاول من الخليفة عثمان بين جميع المقربين اليه ، فكان يقع في روع الخليفة بأن علي و اخوانه من الصحابة هم يسعون بتأليب الثائرين عليه ، فعقد عثمان مؤتمر للتشاور في صلاح الامر ، أما علي (عليه السلام) لم يكن مدعوا لهذا المؤتمر ، بل المدعوون هم الكارهون له ولنصحه وهم معاوية و عمرو بن العاص

١ - الطبري ، تاريخ الرسل، ٢/ ٤٨٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٥/٢ .

٢ - مروج الذهب ، ١/ ٣١١ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٦٥ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٨٤ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٥ .

٤ - مروان ابن الحكم :هو مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد المناف القرشي الاموي يكنى أبا عبدالمك ولد على عهد رسول الله وعاش في الطائف لان رسول الله نفى أباه الحكم اليها فلم يرجع الى المدينة حتى خلافة عثمان وكان يلقب بخيظ باطل ، وتولى الخلافة بعد معاوية بن يزيد وتوفي ستة خمس وستين وقيل أن زوجته أم خالد زوجة يزيد بن معاوية هي من قامت بقتله: ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١/ ٤٣٤ ؛ الذهبي ، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م) ، العبر في خبر من غير، تح: ابو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د.ت) ، ١/ ٥٣ ؛ ابن قنفذ ، ابي العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب(٨١٠هـ/ ٤٠٧م) ، الوفيات ، تح: عادل نويهض ، ط٤ ، دار الافاق الجديدة ، بيروت، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م ، ص ٧٦ .

وعبدالله بن أبي سرح^(١)، و عبدالله بن عامر^(٢) و سعيد بن العاص^(٣)، وهم أولئك الولاية الذين شكاهم علي والصحابه .

ويمكننا القول ان عقد هكذا مؤتمر لمناقشة الازمة الراهنة التي تعصف بالأمة وعدم دعوة علي (عليه السلام) اليه ، و تهميش رجل مثله بحنكته و درايته ما هو الا دليل قاطع على الاقصاء الكبير الذي تبعه الخليفة وحاشيته بحق علي (عليه السلام) في ادارة سياسة الدولة

قال لهم عثمان : " أن لكل امرئ وزراء ونصحاء ، وانكم وزرائي ونصحاوي واهل ثقتي ، وقد صنع الناس ما قد رأيتم ، فأجتهدوا رأيكم وأشيروا علي " ، قال معاوية : " أرى لك يا امير المؤمنين أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم ، وانا ضامن لك ما قبلي "

فيقول العقاد : هذا رأي رجل اراد ان يحتفظ بولايته ، ولا يريد أن يثير غضب أحداً من أصحاب الولايات الاخرى .

أما عبدالله بن عامر قال : " رايبى يا امير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وأن تجمهرهم في المغازي حتى يدلوك . فلا تكون همة أحدهم الا نفسه " . برأيه هذا أراد اشغال الناس عن الشكوى ولا يريد أزالته ، دون أن يبالي سفك الدماء في جهاد غير مطلوب .

وقال عبد الله بن سعد : " أرى يا امير المؤمنين أن الناس أهل طمع ، فأعطيهم المال تعطف عليك قلوبهم " ، أراد برأيه هذا شراء الذمم بالمال والرشوة ، من أجل الحفاظ على منصبه وما تحت يده^(٤) .

^١ - عبد الله بن أبي سرح : عبدالله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي القرشي وكان اخو عثمان لأمه وهو عامله على مصر عند وقوع الفتنة : ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٦٢ ؛ الياضي ، مرآة الجنان ، ٤٦١ / ١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ١٥١ .

^٢ - عبدالله بن عامر : بن كرز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ولد بعد الهجرة ، فتح إقليم خراسان ، وهو ابن خال عثمان فولاه عثمان البصره بعد عزل ابو موسى الاشعري . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢ / ٦٠٤ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣ / ١٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ١٩٠ .

^٣ - سعيد بن العاص : بن سعيد بن العاص بن أمية ولد في عام الهجرة وقيل انه ولد سنة إحدى . فقتل أبوه العاص بن سعيد بن العاص يوم بدر كافراً قتلته علي بن أبي طالب هـ ، ولأه عثمان على الكوفة وشكاه اهل الكوفة لانه كان ذات تجبر وغلظة وشدة سلطان ، توفي سنة تسع وخمسين . ينظر : ابن عبد البر ، الإستيعاب ، ١ / ١٨٧ ؛ الذهبي ، العبر ، ١ / ٤٧ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ١ / ٤٤٣ .

^٤ - عبقرية الامام ، ص ٨٥ - ٨٦ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢ / ٦٤٣ ؛ رضا ، محمد ، ذي النورين عثمان بن عفان ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) ، نهاية الارب في فنون الادب ، تح : عبد المجيد ترحيني و عماد علي حمزة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م ، ٩ / ٢٩٤ .

ولاننسى أخيراً مشورة عمرو ابن العاص " أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون ، فأعتزم أن تعدل ، فإن أبيت ، فأعتزم أن تعتزل . فإن أبيت فأعتزم و أمض قدما "، يقول العقاد ان هذا رأي رجل عينه على الخليفة وعينه الاخرى على الثوار ، لكنه انتظر حتى تفرق المجتمعون . فقال للخليفة حيث لا يسمعه أحد : " والله يا امير المؤمنين لأنت اعز الي من ذلك ولكني قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا ، فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي . فأفود اليك خبيراً و ادفع عنك شراً" (١) ، فأى مكر يحمله عمرو ابن العاص و أي دهاء .

فتفرق المؤتمرون وارجع الخليفة عثمان كل عامل الى عمله ، وأمرهم بالتضييق على رعاياهم فكانت حيلة علي في هذه المعضلة قليلة جداً فجاءوه الثوار ذات مرة من مصر يعرضون عليه الخلافة ، فاستقبلهم بسوء و انذرهم لأن عادوا الى ماجاؤوا به ليكون عقابهم عنده وعند الخليفة عثمان عقاب المردة المفسدين . وجاؤه مرة ثانية ودليل التهمة التي يتهمون بها عثمان و بطانته في اكفهم ، يحملون الخطاب الذي عثروا عليه مع غلام عثمان في طريق مصر وهو يأمر عامله بقتلهم بعدما وعدهم خيراً ووافق على رغبتهم بتوليته عامل يرضونه ، لكن علي (عليه السلام) لم تخدعه حجتهم الناهضة ، بل قال لهم " وما الذي جمعكم في طريق واحد ، وقد خرجتم من المدينة متفرقين كل منكم الى وجهة " (٢) .

ويصف ابن خلدون هذا الكتاب بانه " كتاب مدلس " زعموا أهل مصر أنهم وجدوه في يد عامل مصر ، وينفرد ابن خلدون بتكذيب كتابة هذا الكتاب من قبل مروان الذي أتهم بكتابته (٣) .

ويشاطره بهذا الرأي طه حسين فيقول "ليس من المعقول ولا المقبول أن يكيد عثمان للمسلمين هذا الكيد ، فيعطي فريقاً منهم الرضا ، ثم يرسل الى عامله سراً من يبلغه الامر أن يبطش بهم ويرهقهم من أمرهم عسراً" (٤) ، لكن نجد بالمقابل أن المصادر التاريخية القريبة من الحدث تؤكد على صحة هذا الفعل لكنها تبرء عثمان ، وتتهم مروان بن الحكم بهذا التصرف .

١ - عبقرية الامام ، ص ٨٦ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٦٤٣ / ٢ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ٢٩٤ / ١٩ ؛ رضا ، ذي النورين عثمان بن عفان ، ص ١٣٦ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٨٧ - ٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣٨٧ / ٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٤٤٣ / ١ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ١٧٤ / ٧ ؛ ابن خياط ، تاريخ ، ص ٣٧ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٦٤ ؛ العمري ، عصر الخلافة الراشدة ، ص ٤٢٠ ؛ هيكل ، محمد حسين ، عثمان بن عفان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٢م ، ص ١٠٢ .

٣ - مقدمة ، ص ٢٢٦ .

٤ - الفتنة الكبرى ، دار المعارف ، مصر ، (د.ب.ت) ، ١ / ٢١٠ .

وما عمله (عليه السلام) هذا الا رغبة منه لمحاولة لامتناس غضب الناقلين ، وتهدئة للوضع القائم بعد رفض عثمان الاستماع الى مشورته .

حتى قال لابن عباس الذي بلغه بطلب عثمان منه بالخروج الى ماء له في ينبع : " يا ابن عباس . ما يريد عثمان الا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب - أي الدلو - أقبل و أدبر . بعث الي أن أخرج ، ثم بعث الي أن أقدم ، ثم هو الان يبعث الي أن أخرج . والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون أتما " ، ثم بعد ذلك فاق عثمان من غيبوبته ليذكر مافاته فكتب الي علي يقول له " أن أمر الناس أرتفع في شأني فوق قدره . وزعموا انهم لا يرجعون دون دمي ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه " (١) .

فأن كنت مأكولاً فكن خير أكل والا فأدركني ولما أمزق (٢) .

من هنا يتبين لنا أن الخليفة عثمان لما أشتدت به المحنة وضاق المخرج منها لم يجد منفذ للخروج منها الا علي (عليه السلام)، تاركاً بطانته التي طالما حجبته عن علي ورعاياه

فعاد علي (عليه السلام) وجهه جهده في أنقاذ الخليفة ، لكنه يعالج داء استعصى دواءه و ووعده الخليفة ليصلح الاحوال ويبدل العمال ، لكن سرعان ما أحاطت به بطانته تحذره كعادتها من ان ينجز وعده وتخيفه من طمع الناس فيه ، فأشارت عليه زوجة السيدة نائلة في ظل هذه الظروف مشورةً عجزت عنها عقول رجال بطانته طالبتة منه استرضاء علي وترك هذه البطانة . حيث قالت له كما تنقل كتب التاريخ : " تتقي الله وحده لا شريك له وتتبع سنة صاحبك من قبلك فانك متى اطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هيبه ولا محبة ، فارسل الي علي فاستصلحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى " لكن كان أيسر علي هذه البطانة بأقناعه بعدم سماع رأي امرأة ضعيفة ، وقال له مروان : " والله لأقامة علي خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها " (٣) .

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٨٨ - ٨٩ ؛ المامطيري ، نزهة الابصار ، ص ٤١٢ .
٢ - هذا البيت لشاعر من عبد القيس جاهلي واسمه شأس بن نهار بن أسود يلقب بالممزق العبيدي ، سمي ممزقاً لبيته هذا . ينظر : المامطيري ، نزهة الابصار ، ص ٤١٣ ؛ الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ١٠٥/١ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار ، ١٤/١ ؛ المطهر ، البدء والتاريخ ، ٣١٩/١ ؛ جواد علي ، المفصل ، ١٨/٢٥٦ .
٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٩٠ ؛ ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٨١/٢ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ١٧٣/٧ .

فما شدة هذا التضليل وسوء النص والمعونة الذي يكنه مروان لعثمان ، وعظم الحقد والضغينة التي يكنها لعلي (عليه السلام) .

فكان مروان يخرج ليكلم الناس فيقول لهم : " ما شأنكم قد أجمعتم كأنكم جنتم لنهب ، شأهت الوجوه . جنتم تريدون أن تنزعوا ملكنا . أرجعوا الى منازلكم ، فأنا والله مانحن مغلوبين على ما في أيدينا " (١) .

ومن كلام مروان هذا ينبثق لنا عدة أمور منها :

أولاً - أن قول مروان هذا ماهو الا كلام رجل لا يريد بعثمان خيراً ، وهو أول المأججين للوضع بطريقة غير مباشرة من خلال كلامه اعلاه الذي قابل به الثوار الناقمين ، واصفاً أياهم بالناهبين ، في الوقت الذي يجب عليه أتباع أسلوب التهذئة .

ثانياً - يتبين من قوله " جنتم تريدون أن تنزعوا ملكنا " أن نظرة بني أمية للخلافة ، على أنه ملك أختص به افراد البيت الاموي ، ومستعدون لاراقة الدماء من أجل ابقائه في أيديهم من خلال أتباع وسائل القمع والترهيب والترغيب احياناً .

هجم المعارضون على باب الخليفة ، فمنعهم الحسن (عليه السلام) وكان معه ابن الزبير ومحمد بن طلحه ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وأخرون من ابناء الصحابة ، ففتح باب الخليفة عثمان ، فسأل رجل من أسلم عثمان بأن يعتزل ، فرماه كثير بن الصلت الكندي (٢) بسهم فارداه قتيلاً . فجن جنون الثائرين طالبين من عثمان تسليم القاتل ، لكن عثمان رفض تسليمه فقال لهم عثمان : " لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي " ، فاعلق الباب فقام الثوار باقتحام الدار من الدور التي حولها ، و أقدموا على قتله (٣) .

فوصل الخبر الى المسجد ، وكان علي (عليه السلام) جالس فيه ، فأثاره منظر القادم فقال له : " ويحك ما وراءك ؟ " ، قال : " والله قد أفرغ من الرجل " ، فصاح به : " تباً لكم آخر

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ١٧٣ ؛ النجار ، عبد الوهاب ، الخلفاء الراشدون ، دار التراث ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ٣٣٣ .

٢ - كثير بن الصلت الكندي : هو ابو عبدالله أخو زبيد بن الصلت من أهل الحجاز كنيته ولد في عهد النبي (ص) وقتل يوم الحرة ، وقيل كان اسمه قليلاً فسماه النبي كثيراً وكان ممن ادرك عثمان وروي عنه . ينظر : البخاري ، محمد ابن سماعيل بن أبراهيم (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩ م) ، التاريخ الكبير ، تح: محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد ، الدكن ، (د.ت) ، ٧ / ٢٠٥ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٥ / ٣٣٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٠ / ٣٩ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٩٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤١٤١٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٧٨٢ .

الدهر .. ثم اسرع الى دار عثمان حتى وصفه المسعودي بقوله " دخل علي الدار كالواله الحزين " ، فلطم الحسن وضرب الحسين ، وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير وأخذ يسأل الحسنان : " كيف قتل امير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ " فأجبه طلحة : " لاتضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن ، لو دفع مروان ما قتل " (١) .

ولنا هنا وقفة من قول العقاد بأن علي (عليه السلام) بعد علمه بقتل الخليفة عثمان " لطم الحسن وضرب الحسين " . اذ نستبعد كل البعد أن يكون علي (عليه السلام) فعل هذا بالحسين و أمام المأ ، وهو الذي طالما أظهر لهم الود والاحترام أمام الناظرين ، فهم سبطي رسول الله ، وسيدا شباب أهل الجنة ، إضافة الى أنهم قد تجاوزوا الثلاثين من العمر ، فلم نسمع بأن علياً فعل بهم ذلك بطولتهما ، فكيف يفعل ذلك بشبابهم .

وبعد مقتل عثمان ، ينقل العقاد رواية سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قوله : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان ، و أميرها الغافقي بن حرب (٢) ، يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالأمر والمصريون يلحون على الامام علي وهو يهرب الى الحيطان (٣) ، و يطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم (٤) ، فمضوا الى سعد بن أبي وقاص فلم يقبل منهم ، ثم الى ابن عمر فرفض ايضاً ، فقالوا : أن عدنا الى أمصارنا بمقتل عثمان من غير أمير أختلف الناس في أمرهم ، فعادوا الى علي (عليه السلام) والحواء الطلب ، فأخذوا الاشر بيده فبايعه ثم بايعه الناس . وهم يقولون : لا يصلح لهذا الامر الا علي ، فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر فبايعه من لم يبايعه بالامس ، و أول من بايعه طلحة بيده الشلاء (٥) ، فقال احدهم : " انا لله و أنا اليه راجعون " ، ثم بايعه الزبير ، و قال الزبير : " أنما بايعت علياً

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٩١ - ٩٢ ؛ مروج الذهب ، ٣١١ .

٢ - الغافقي بن حرب : وهو احد ابناء القبائل اليمينية التي نزلت في مصر بعد فتحها ، وعند ثورة المصريين على عثمان كان الغافقي معهم ويصلي بالناس و كان أكثرهم جرأة على عثمان حيث ضربه بحديدة ، وأصبح أميراً للمدينة بعد مقتل عثمان . ينظر: ابن العربي ، محمد بن عبدالله ابوبكر بن العربي الاشيلي المالكي (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) ، العواصم من القواصم ، تح: محب الدين الخطيب و محمود الاستانبولي ، ط ٢ ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٢١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٧/٧ .

٣ - البساتين : ينظر: العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٩٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٥٤/٣ ؛ ابن العربي ، العواصم و القواصم ، ص ١٢١ .

٤ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٥٤/٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨٢/٢ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٩٢ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، ٩٠/١ ؛ ابن المطهر ، البدء والتاريخ ، ٣٢٠/١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢٣/٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٦/٧ .

واللج على عنقي والسلام " .فذكر العمري ذلك بأن طلحة والزبير بايعا علي تحت التهديد من قتلة عثمان (١) .

ونرى ان الطامعين بالخلافة بعد عثمان كثيرون ومنهم طلحة والزبير وكانوا يحسبون أن قريشاً قد أجمعت رأيها الا يتولاها هاشمي ، وأن علي كاد يبعد عنها كما أبعاد في السابق .أما موقف السيدة عائشة من هذه الاحداث ، فكانت تفضل أن تؤل الخلافة الى طلحة أو الزبير أو عبدالله بن الزبير ، لكون طلحة من قبيلتها قبيلة تيم ، والزبير زوج اسماء أختها ، أما عبدالله فهو ابن أختها وربيبها (٢) .

فيرى العقاد أن عثمان لو مات حتف أنفه لأجتمعت قريش وعقدت البيعة لخليفة غير علي (عليه السلام) ، ولأختلف بنو هاشم فيما بينهم ولم يجتمع لهم رأي لأي من رجالهم المرشحين للخلافة وهم : علي ، و عقيل ، و أبين عباس (٣) .

لكن الظروف التي عصفت بالامة وجاءت بالثوار الى المدينة هي التي عملت على إيصال علي الى الخلافة ، فبيعة علي (عليه السلام) كان قرار المعارضين وليس قريش وبني هاشم ، لأنهم رأوه الرجل الاجدر لحل الازمات التي حلت بالامة . ثم ظهر بعد ذلك الخلاف بين علي (عليه السلام) ومعاوية الذي كان خلاف بين نظامين متقابلين وعالمين متنافسين ، حيث كان صراعاً بين الخلافة الدينية التي تمثلت في علي بن ابي طالب ، ودولة دنيوية تمثلت بمعاوية بن ابي سفيان .

فقطورت الاحداث حتى نجد طلحة وأصحابه يتمردون بوجه علي ليطلبوه بدم عثمان (٤) ، وهم لم يدافعوا عنه في حياته كما دافع الامام علي ، حتى سمع عثمان يقول كثيراً : " ويلي من طلحة .أعطيته كذا وكذا ذهباً وهو يروم دمي . اللهم لاتمتعه به ولقه عواقب بغيه " حتى رآه بعض الناس انه كان يرمي دار عثمان يوم مقتله ، ويقود بعض المعارضين للدور المجاورة ليهبطوا من خلالها الى دار عثمان ،حتى قال ابن ابي الحديد " أن طلحة كان مقنعاً- يوم قتل عثمان -بثوب قد أستتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهم " (٥) .

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٩٢ ؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص ٤٣٩ .

٢ - العقاد، عبقرية الامام ، ص ٩٣ ؛ ابن المطهر ، البدء و التاريخ ، ٣٢٠١١ .

٣ - عبقرية الامام ، ص ٩٣ .

٤ - الذهبي ، العبر ، ٢٧ / ١ ؛ طه حسين ، الفتنة ، ١٥٠ / ١ ؛ القرشي ، موسوعة الامام أمير المؤمنين ، ص ٢٦١ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٩٨ ؛ عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، شرح نهج البلاغة ، تح: محمد ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧ م ، ٢ / ٤٠٤ ؛ كريم ، فارس حسون ، الروض النضير في معنى حديث الغدير ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٢٩٢ .

لكن العقاد يرى ان هذا سنده ضعيف ، لكنه إن دلّ على شيء دلّ على سوء ظن الناس بطلحه وعلاقته بالخليفة المقتول .

أما معاوية فقد أعلن ثورته على علي (عليه السلام) متهماً أياه بدم عثمان وعدم وقوفه بوجه الثوار ، فكيف يقف علي بوجه الالوف المسلحين وهو لم يكن بمركز قيادة أو مالكاً لقوة عسكرية أو سلطان ، وهذا ما يمتلكه معاوية . فهنا نجد أن معاوية يدين نفسه .

ثم يطرح العقاد تساؤلاً يقول فيه : " ماذا صنع معاوية بقاتلي عثمان حين صار الملك اليه ؟" (١) ، فيجيب قائلاً : أن معاوية صنع كما صنع علي من حيث رفض ذكر الثأر المقيم المعقد ، وقد ذكروه به والحوافى في تكبيره ، وعندما زار المدينة ودخل بيت عثمان ، فإذا بصوت عائشة بنت عثمان تصك مسامعه وهي تبكي " وأبتاه" فلم تزيده هذه الصيحة الا إصراراً على الاغضاء ، فقال لها معزياً " يا أبنة أخي أن الناس أعطونا طاعة و أعطيناهم أماناً و اظهرنا لهم حلاً تحت غضبه ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل أنسان سيفه وهو يرى مكان انصاره . فأن نكتنا بهم نكتوا بنا ، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا و لأن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني أمراً من عرض المسلمين " (٢) .

ومن كلام معاوية هذا يتبين لنا بطلان تمرده على علي (عليه السلام) أكثر مما هي باطلة ، فأين ثأر عثمان الذي أجاج الجيوش بوجه علي من أجله ، فلم يكن دم عثمان الا السلم الذي أراد من خلاله معاوية الوصل الى الحكم و ضمان عدم استقرار حكم علي (عليه السلام) ، فكان همه الشاغل أن يقال له أمير المؤمنين وهذا ما أبلغه لأبنة عثمان .

ولم يكتف بالمواجهة العسكرية فقط ، بل بدء يستخدم السبل الملتوية والخبيثة، للتقليل من شأن علي (عليه السلام) وذلك بوضع احاديث بفضل عثمان والاساءة بالمقابل لعلي (عليه السلام). وسب علي على منابر المسلمين وتشكيك الناس بفضله و اسلامه . وهذا ما ينقله عن المدائني قوله : كتب معاوية الى عماله : ان برئت الذمة ممن يروي شيئاً من فضل أبي تراب و أهل بيته ، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ، و يبرئون منه ، ويقعون فيه وفي أهل بيته ، وكما كتب معاوية الى عماله في كل الافاق ، الا يجيزوا لأحد من شيعة علي و أهل بيته شهادة ، حتى كان يقول لا تتركوا خبر يرويه أحد المسلمين في علي ألا وتأتوني بمناقض له في

١ - عبقرية الامام ، ص ٩٨ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ٩٨ - ٩٩ ؛ ابي قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار ، ٦ / ١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٨ / ١٣٢ - ١٣٣ .

الصحابة ، و أنظروا الى من قامت عليه البينة أنه يحب علياً و أهل بيته فأموه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه ، وايضا كتب اليهم : من أتهموه بمولاة هؤلاء القوم فنكلوا به و أهدموا داره (١) .

وينقل كوه كمره اي في كتابه عن ابن عباس انه قال لمعاوية : أتسب علياً على المنابر وقد بناها بسيفه ؟ وما كان من معاوية الا قال له : لا أدع ذلك حتى يموت فيها الكبير ويشيب عليها الصغير (٢) .

فزاد الحديث والروايات الموضوعه بفعل الفقهاء و الوضاع الذين اشتراهم معاوية بماله وصلاته ، لكن شمس الامام علي أسطع من ان يحجبها معاوية بضلاله و سلطانه الزائل .

فيرى العقاد أن الخلافة قد انتهت بنهاية حكم علي فكانت هذه البيعة هي ايذاناً بنهاية الخلافة ، وكانت نهايتها بداية الملك ، وهذا ما نظر اليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعين الغيب ، حين قال : " الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك " ، فيكملة الحاكم النيسابوري فيقول : " امسك ابو بكر سنتين وعمر بن الخطاب عشر سنين وعثمان بن عفان اثنتي عشرة سنة وعلي ستة سنين " (٣) ، وبدأ علي (عليه السلام) في خلافته الذي اتبع بها أحسن السياسات من حيث صدق الرأي و أمان العاقبة ، وأشاد بحسنها جميع الناقدون والمؤرخون .فعمل على عزل الولاية ، ورد القطائع التي وزعها عثمان و بطانته بين ذوي الرحم ، كما عمل على تجنيد الصحابة الطامعين في الامارة فتنة الولايات ، وحين طلب منه طلحة والزبير ولاية اليمن والعراق ، قال لهم : " بل تبقيان معي لأنس بكما " وسياسته هذه أغضبت منافسيه وطالبي المنافع الدنيوية ، وهذه الاسباب التي جعلت كل من طلحة والزبير ينهضان للخروج عليه (عليه السلام) طلباً للملك الدنيوي (٤) .

وقد علم (عليه السلام) أن قريشاً لا ينصرونه ، فنقل مقر عاصمته الى الكوفة ، لأن قريش كانت منقسمة بين هاشميين لا يتفقون على بيعته وحتى الاقارب بعضهم تركه ورحل الى معاوية طلباً للمال وصله ، و بعضهم كانوا أمويين وهم حزباً لمعاوية ، ومنهم من تيم مؤيدون لطلحة ، أو من عدي الراغبون في عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وهناك قبائل أخرى لو أقام بينهم ، لأقام بين أناس لا ينتهي لهم طلب ولم يستطيع أن يضمن ولائهم له . ولم تمض إلا ايام

١ - الكرياسي ، محمد صادق ، الحسين في السنة ، المركز الحسيني للدراسات ، لندن ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ٢٠١ / ١ ؛ الكعبي ، صورة اصحاب الكساء ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

٢ - البديريون في حرب صفين ، ص ٩٨ .

٣ - عبقرية الامام ، ص ١٠١ ؛ المستدرک ، ٣ / ١٥٦ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٠٢ .

معدودة على بيعة الخليفة الجديد حتى احتشدت صفوف الحجاز له أو عليه وعلى رأسهم طلحة والزبير فخرجوا الى البصرة وبرفتهم السيدة عائشة التي كانت ترغب في خلافة طلحة . ويعلل العقاد سبب خروج عائشة على الامام علي (عليه السلام) هو نصيحته (عليه السلام) لرسول الله (ص) في مسألة الافك التي قيل بأنه أشار عليه بتطبيقها ، فخرجت الى البصرة مع المطالبين بدم عثمان وهي التي كانت تحشد الناس بقتل عثمان (١) ، فينقل ابن قتيبة الدينوري بما نصه : "أن عائشة كانت خارجة عن المدينة، فقيل لها: قتل عثمان. وباع الناس عليا. فقالت: ما كنت أبالي أن تقع السماء على الارض، قتل والله مظلوما، وأنا طالبة بدمه، فقال لها عبيد: إن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لانت، ولقد قلت: اقتلوا نعتلا فقد فجر، فقالت عائشة: قد والله قلت وقال الناس، وآخر قولي خير من أوله فقال عبيد: عذراً والله يا أم المؤمنين. ثم قال: منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر وأنت أمرت بقتل الامام وقلت لنا إنه قد فجر فهبنا أطعناك في قتله" (٢) ، فحدثت هناك وقعة الجمل التي أنتصر فيها جيش علي ، وقتل الزبير ، وطلحة مات متأثر بجراحه وقيل أن مروان هو من رماه بسهم (٣) ، وحسم القتال بالصلح بين أهل الحجاز والعراق .

فكانت هذه الواقعة الطعنة الاولى في جسد الامة الاسلامية ، ودخل الناس في حرج شديد لكون على رأس أحد الفريقين عائشة أم المؤمنين زوج النبي و بنت ابي بكر صاحبه وبجانبها كبار الصحابة، والفريق الاخر على رأسه علي ابن أبي طالب خليفة رسول الله وصهره و ابن عمه ، ولم ينج من هذا الضلال إلا من أوتي عقلاً سليماً وقلباً طهوراً ، وقد نقل اليعقوبي في تاريخه رواية تبيّن التباس الامر على الناس ، لكن جواب الامام علي (عليه السلام) كان بمثابة الشمس التي ازاحت العتمة التي تضلل القلوب حيث قال له الحارث بن حوط الراني : " اظن طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل، فقال: يا حارث! إنه ملبوس عليك، وإن الحق والباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه" (٤)

لم ينته الامر بموت طلحة والزبير فكان هناك خصماً يمتلك من العدة والجيش والحيلة التي لا يستهان به وهو معاوية فألت الامور الى حدوث وقعة صفين بعد الجمل .

١ - العقاد، عبقرية الامام ، ص ١٠٣ - ١٠٥ ؛ ديوارنت ، قصة الحضارة ، ٤٢٦ / ١٣ .

٢ - الامامة والسياسة ، ٩٨ / ١ - ٩٩ .

٣ - الطبرسي ، ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي ، الاحتجاج ، منشورات الشريف الرضي ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ، ٢١٨ / ١؛ طه حسين ، الفتنة ، ١٥٠ / ١ .

٤ - تاريخ اليعقوبي ، ١٩٢ / ٢ .

وكان الامام علي كعادته مع خصومه يبدء بالمسالمة والاقناع ، حتى طالبت المراسلة بينه وبين معاوية ، فينقل العقاد هنا كتاباً واحداً من تلك الكتب التي كانت بينهما ويقول هذا الكتاب كمثال يغنيا عن كثير من الكتب الاخرى . حيث كتب الامام الى معاوية بعد وقعة الجمل : " سلام عليك ... أما بعد ، فإن بيعتي بالمدينة لزمك و أنت بالشام ، لانه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر و عثمان على ما بايعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد ، فأدخل فيها كما دخل المسلمون ، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدي أبرأ قريشاً من دم عثمان ، وأعلم أنك من الطلقاء ^(١) الذين لاتحل لهم خلافة ولا يدخلون في الشورى وقد بعثت اليك والى من قبلك جريير بن عبدالله ، وهو من أهل الايمان والهجرة ... فبايعه ، ولا قوة الا بالله " ^(٢) .

فرد عليه معاوية مايلي : " سلام عليك ... أما بعد ، فلعمري لو بايعك الذين ذكرت وانت بريء من دم عثمان ، لكنت كأبي بكر وعمر و عثمان ، ولكنك أغريت بدم عثمان وخذلت الانصار ، وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ... فأما فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلست أدفعه " ^(٣) .

فيقول العقاد من رد معاوية تبدو لنا النية واضحة في رغبته بفتح أبواب العداء والشقاق واحداً بعد آخر ، تسليم قتلة عثمان لم يكن كافياً لان علي (عليه السلام) متهماً بالاغراء و الخذل ، وأن تبرئة علي (عليه السلام) من هذه التهمة لا تكفي أيضاً لان معاوية يرغب بأعادة الامر شورى للنظر في البيعة من جديد ، فبطلت جميع الكتب والرسائل ، فلم يكن هناك علاج الا المواجهة العسكرية ، فزحف علي (عليه السلام) من الكوفة الى صفين فألتقى الجيشان و لحق الهزيمة بجيش معاوية

١ - الطلقاء : جمع طليق، وهو الاسير الذى اطلق سراحه وخلي عن سبيله ، ويقصد بهم الذين خلى عنهم رسول الله يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترقهم حيث قال لهم: "يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا : خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : فإنني أقول لكم : كما قال يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء" . ينظر: المسعودي ، مروج الذهب ، ١/ ٢٨٥ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، مج ٣ ، ١٧ / ١٠٨٨ ؛ العثيمين ، محمد بن صالح ، الضياء اللامع ، الرئاسة العامة لأدارة البحوث العلمية ، السعودية ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٣٧٠ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ؛ ابن عبد ربه الاندلسي ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) ، العقد الفريد ، تح: عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، ٥ / ٨٠ ؛ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابي المظفر يوسف (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، تح: كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ، ٤ / ٢٧٨ ؛ مهنا ، عبد الامير علي و سمير يوسف جابر ، أخبار النساء في العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، ١ / ١٢١ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥ / ٨١ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٤ / ٢٧٨ .

في الواقعة الي سميت بـ (واقعة الهرير)^(١) ، حتى وصف الشاهرودي قتال علي (عليه السلام) في هذه الليلة بقوله " فما لقي شجاعاً الا أراق دمه ولا بطلاً الا زلزل قدمه ، ففتق نيق درعه لثقل ماكان يسيل من الدم على ذراعه ، وقتلاه عرفوا في النهار فإن ضرباته كانت على وتيره واحدة إن ضرب طولاً قدّ او عرضاً قط وكانت كأنها مكوات بالنار " (٢) ، وهم جيش معاوية بالفرار لكن سرعان ما رفعت المصاحف على حراب جيش الشام (٣) ، فاذا علي (عليه السلام) ينظر الى جيشه يكاد أن يقتتل بينه حول القاء السلاح أو الاستمرار بالقتال، ولم يقف الامر على هذا بل وجد علي (عليه السلام) في جيشه أناس يخونون عهده ويشغبون بوجهه ويعملون لصالح عدوه وكارهون لأنتصاره ، وأن الامر والادهي من هذا أنه (عليه السلام) لا يستطيع زجرهم والتكيل بهم ، وذلك لكون الجيش الذي يتواجد به من بحرمتهم القتال العدو ، لن يقبل بقتال النصير المقيم بينهم المتظاهر بالطاعة دون وجود بيعة عليه (٤).

ومن هؤلاء الاشعث بن قيس وهو من كبار سادات كنده ، الذي طمع بعد موت النبي (ص) بالملك ، وحارب المسلمين الى جانب المرتدين ولما حوصر ويئس من النصر أستسلم ، وجيء به الى ابوبكر فقبل توبته و زوجه من اخته ام فروة (٥) ، ولما حدثت الفتنة بين علي (عليه السلام) وابن أبي سفيان ، كان الاشعث من جيش علي ، لكنه كان ينتظر الفرصة السانحة وهو الذي الح على الامام بقبول التحكيم ، وان أنصار علي قد توعدوا علي منذرين : " يا علي ! أجب الى كتاب الله عز وجل أذ دعيت اليه ، والا ندفعك برمتك الى القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عفان، أنه عرض علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه . والله لتفعلنها أو نفعلها بك ، " كما الحو عليه بأن يرد قائده الاشتهر عن ساحة القتال وألا عملوا على قتله ، فقبل (عليه السلام)

١ - ليلة الهرير : وهي إحدى ليالي معركة صفين مصادف ليلة الجمعة الحادي عشر من صفر سنة ٣٨ هـ ، و أستمر القتال الى ضحى يوم الجمعة وسميت بذلك لهول القتال ولم يسمع فيها الا وقع الحديد . ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٢٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٧٢ / ٢ ؛ علي النمازي (ت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م) ، مستدرك سفينة البحار ، تح: حسن بن علي النمازي ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ١٠ / ٥٢١ - ٥٢٢ .

٢ - مستدرك سفينة البحار ، ١٠ / ٥٢٣ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١١٠ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ١ / ٤٨ ؛ ديوارنت ، قصة الحضارة ، ١٣ / ٤٢٦ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١١١ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١١٢ ؛ المطهر ، البداء والتاريخ ، ١ / ٢٨٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١ / ٤٤٣ ؛ ابن العديم ، بغية الطلب ، ٧ / ٢٠٧ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ٣ / ٢٨٩ ؛ الجرجاني ، تاريخ جرجان ، ١ / ٦٩ ، العمري ، عصر الخلافة الراشدة ، ص ٤١٢ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٧ / ١٩٩ .

التحكيم وهو كاره " (١) ، ويقول الشيخ القرشي: " ان الامام لم يجد بدأ من مسايرتهم ، فقد مني بانقلاب عسكري لاطاقة له بمقاومته " (٢) .

لقد استعرض العقاد الاحداث التي دفعت الامام علي (عليه السلام) لقبول التحكيم خيرا استعراض ، لاحظنا خلالها، فقدان الحيلة ، وخذلان الناصر ، وانقسام الجيش ، بل الادهى من هذا هو تهديده (عليه السلام) بالقتل من قبل من يعدون جنوده ، لم نجد أصعب من الموقف الذي وجد فيه علياً (عليه السلام) نفسه ، فلا مخرج منه الا الرضوخ لطلبهم خوفاً من الاقتتال بين جنوده بعد ظهور المنافقين فيه. فوق أختيار أهل الشام على عمرو بن العاص ، أما الاشعث فقال : " فأنا رضينا بأبي موسى الأشعري " .

قال علي : " أنه ليس بثقة ، قد فارقتي وخذل الناس عني ، وهرب مني حتى أمنتته بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس توليه ذلك " .

قالوا : " لا نريد الأ رجلا هو منك ومن معاوية سواء ليس الى واحد منكما بأدنى من الآخر " قال : " فأني اجعل الاشتر " ، قال الاشعث : " وهل سعر الارض غير الاشعث ؟ أو قال : وهل نحن الا في حكم الاشتر " .

وعندما شاهد الامام (عليه السلام) اصرارهم وعدم وجود مؤيد لرأيه قال : " فقد أبيتم الا أبا موسى " قالوا : " نعم " ، قال : " أصنعوا ما بدالكم " (٣) .

ان هذه المراوغة العجيبة التي قام بها الاشعث يعللها العقاد بثلاث نوايا :

الاولى : قد يكون الطمع بالملك بعد تخاذل الناس عن علي (عليه السلام) كما يرى الاشعث .

الثانية : من المحتمل يكون نقمة منه على الاشتر في مكانته وبلائه .

الثالثة : قد يكون هناك تواطؤاً بينه وبين معاوية على منفعة موعودة .

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١١٤ .

٢ - موسوعة امير المؤمنين، ص ٢٥٥ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام، ص ١١٤ - ١١٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٧٥ / ٢ .

بعد ان رأينا موقف الاشعث وكيف حال بين علي (عليه السلام) واختياره، وعدم وجود مؤيد
لعلي (عليه السلام) يقف الى جانبه في ما أختار ، فلا يمكن لعاقل منصف من الناس أن يلوم علي
(عليه السلام) في قبول التحكيم مع معاوية بعد ذلك .

واجتمع الحكمان في دومة الجندل التي تم اختيارها لكونها منطقة وسطاً بين العراق والشام .
فقال أبو موسى الأشعري : " ياعمرو هل لك فيما فيه صلاح الامة ورضا الله ؟".

قال عمرو : " وماهو ؟".

قال : " نولي عبدالله بن عمر ، فإنه لم يدخل في نفسه شيء من هذه الحروب " .

قال عمرو : " فما يمنعك من ابني عبدالله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته ؟".

فأوشك ابو موسى ان يجيبه ، لولا أنه قال له : " إن ابنك رجل صدق ، ولكنك غمسته في هذه
الحروب غمساً" (١) ، وطال بينهم الجدل حتى اتفقا على خلع الزعيمين علي (عليه السلام) ومعاوية ،
فتقدم أبو موسى فقال : " ايها الناس ، أنا قد نظرنا في أمر هذه الامة ، فلم نر أصلح لأمرها ولا
ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي و رأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ...".

وتلاه عمرو فقال : " ...أن هذا قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ،
وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والطالب بدمه وأحق الناس
بمقامه " ، فاعتلى الغضب وجه أبو موسى ، وصاح به : " مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت ،
أنما مثلك مثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث " .

فابتسم ابن العاص وقال : " أنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفراً " (٢) .

ويذكر طائفة من المؤرخين ان عبدالله بن عباس كان عارفاً بغدر عمرو بن العاص ،
لدرجة طلب من أبي موسى الأشعري الا يتكلم الا أن يسبقه عمرو بالكلام فقال له : " ويحك!
والله إنني لأظنه قد خدعك ، إن كنتما قد اتفقتما على أمر ، فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك، ثم تكلم

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١١٥ - ١١٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ١١١ .
٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ١١٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ /
١١٤ ؛ الاصبهاني ، فتح الله بن محمد جواد (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) ، القول الصراح في البخاري وصحيحه
الجامع ، تح: حسين الهرساوي ، مؤسسة الامام الصادق ، قم ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٢١٩ .

أنت بعده ، فان عمراً غادر، ولا آمن من أن يكون قد اعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك" (١) ، وقد صدق ظن عبدالله ابن العباس.

فصدق العقاد حين علق على هذه الاحداث بقوله : " كلب وحمار فيما حكم به على نفسيهما غاضبين ، وهما يقضيان على العالم بأسره ليرضى بما قضياه ... وانتهت المأساة بهذه المهزلة ، أو انتهت المهزلة بهذه المأساة " (٢) .

وحقاً مهزلة كما وصفها العقاد . كيف تركت مصير أمة كان قد شقى محمد (صلى الله عليه وسلم) على بنائها بيد أشخاص يصف احدهم الاخر بالكلب والحمار ، كيف يقرر مصير هذه الامة هكذا اناس بوجود شخص كعلي بن ابي طالب و عبدالله بن العباس وجمع غير من صحابة رسول الله الاجلاء كجابر بن عبدالله الانصاري ، وأبي ايوب الانصاري وغيرهم . فأعان الله علي (عليه السلام) بما أبتلى به .

فعاد بعد ذلك الخلاف الى ما كان عليه ، وظهرت على أرض الواقع ما تعرف بفتنة الخوارج الرافضين للتحكيم ، فخرجوا على الامام (عليه السلام) الذي رفض قتالهم حتى عجز من توبتهم ، عندما التقى بجيشهم بدء في نقاشهم ، وطلب منهم أن يخرجوا اليه رجل منهم ليناقشه فيتوب لو ألزمته حجته ، أو يتوبون هم أن الزمهم الحجة ، فخرج اليه أمامهم عبدالله بن الكواء . قال علي (عليه السلام): " مالذي نقتم علي بعد رضاكم بولايتي وجهادكم معي وطاعتكم لي ، فهلا برتتم مني يوم الجمل ؟ " .

قال ابن الكواء : " لم يكن هناك تحكيم " .

قال علي : "يابن الكواء ويحك. اني أنما حكمت أبا موسى وحكم معاوية عمراً " .

قال ابن الكواء : " فأنا ابا موسى كان كافراً " .

قال علي : " متى كفر ؟ أحين بعثته أم حين حكم ؟ " .

قال ابن الكواء : " بل حين حكم " .

١ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ١١٣/٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١١٣/٢ .

٢ - عبقرية الامام ، ص ١٢١ .

قال علي : " أفلا ترى أنني بعثته مسلماً فكفر في قولك بعد أن بعثته ، أ رأيت لو أن رسول الله صلى الله عليه واله بعث رجلاً من المسلمين الى ناس من الكافرين ليدعوهم الى الله ، فدعاهم الى غيره، هل كان على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من ذلك شيء " .

قال : " لا " .

فرأى الخوارج أن أمامهم ليس ند في نقاش علي (عليه السلام) ، فمنعوه من الحديث ، كأنهم امنوا بأن علي صادق في حجته ، لكنهم أصروا على بتكفير علي (عليه السلام) واصحابه (١) .

وأستمر علي (عليه السلام) كعادته يجنح للسلم والمراجعة ، فرفع راية في الساحة وعليها رجل ينادي : " من التجأ الى هذه الراية فهو آمن " (٢) .

وقال علي (عليه السلام) لأصحابه : " لا تبدءوهم بالقتال حتى يبدءوكم " ، فصاح الخوارج " لا حكم الا لله " (٣) ، فأستبك الجيشان ، وقتل معظم الخوارج .

وبعد ذلك بقي علي (عليه السلام) في ارباض الكوفة منعزلاً عن الناس يتمنى الموت كما ينقل (ابن عساكر) عن الحسن بن علي (عليه السلام) عن علي (عليه السلام) قوله : " وأنا جالس سئح لي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فقلت يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد فقال لي ادع الله عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم وأبدلهم بي شراً لهم مني " (٤)

ووافق بقبول الهدنة مع معاوية على أن يكون العراق له والشام لمعاوية. وفي ظل هذه الاحداث اجتمع ثلاثة على قتل ثلاثة ، فذهب (عليه السلام) وحده ضحية لهذه المكيدة ، ونجا منها معاوية ، وعمرو بن العاص . وذلك حين اجتمع عبد الرحمن بن ملجم و البرك بن عبدالله (٥) ،

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٢١ - ١٢٣ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥ / ٩٩ - ١٠١ ؛ العاملي ، علي والخوارج ، ١ / ٢٩٣ - ٢٩٥ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٢٤ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢١٠ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٢٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١١٣ ؛ الذهبي ، العبر ، ١ / ٣١ ؛ العمري ، عصر الخلافة الراشدة ، ص ٤٨٣ .

٤ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٥٥٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٤٨٩ .

٥ - البرك بن عبد الله : وهو أحد الخوارج الثلاثة الذين اجتمعوا بمكة بعد وقعة النهروان وقرروا قتل علي (عليه السلام) ومعاوية وعمرو بن العاص ، وكان هو ممن تكفل بقتل معاوية فضربه بالسيف فلق آليته . ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٥٥٨ ؛ الدمشقي ، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي (١٤٣٨هـ/١٤٣٨ م) ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم والقابهم وكناهم ، تح محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ١ / ١٩٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل

و عمرو بن بكر التميمي (١) ، فاتفقوا على قتل علي (عليه السلام) ومعوية وعمرو ، لانهم أئمة الضلالة بنظرهم (٢) .

لكن في حقيقة الامر ، فان المتتبع لهذه الاحداث يلاحظ جيداً ان هذه المكيدة كان وراءها معاوية و ابن العاص بدليل امتناعهما عن الصلاة في تلك الليلة ، لكنهم حاولوا تضليل الناس على انهما مستهدفين كعلي (عليه السلام) ، لكن في الحقيقة هم من كان يقف خلف المؤامرة ليلاحظوا ما تفرز عنه الاحداث ، لكننا لم نلاحظ للعقاد رأياً في هذه الاحداث ، غير تناقل الاخبار المتواترة عن المؤرخين دون ان يبدي رأيه بها .

فقال ابن ملجم : " أنا أكفيكم علي ابن أبي طالب " .

وقال البرك : " أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان " .

وقال عمرو بن بكر : " أنا أكفيكم عمرو بن العاص " .

لكن هناك حافظ عجيب شحذ عزيمة ابن ملجم على قتل الامام (عليه السلام) وهو حافظ الغرام الذي لا يرويه الا دم علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ، حيث كان ابن ملجم مغرم بفتاة من تيم الرباب ، وهي قطام بنت الشجنة ، وقد قتل كل من والدها و أخوها وبعض اقاربها في حرب الخوارج ، وكانت ذات جمال فائق وعندما خطبها ابن ملجم ، رفضت الزواج به إلا أن يشفي غيها ، فقال : " وما يشفيك ؟ " ، قالت : " ثلاثة الاف درهم وعبد وقينة ، وقتل علي بن أبي طالب " (٣) .

وخرج المتآمرون الثلاثة في ليلة واحدة ليقتل كل واحد منهم صاحبه ، فأما عمرو ابن العاص فأشتكى بطنه فلم يخرج تلك الليلة ، و أمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته ليصلي

أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م) ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تح: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ٧٨ / ١ .

١ - عمرو بن بكر التميمي : وهو الخارجي الذي تعهد بقتل عمرو بن العاص ، لكنه لم يصبه وذلك لتخلف عمرو ذلك اليوم عن الخروج فقتل قائد شرطته خارجه بن حذافة ظنه أنه عمرو . ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٤٢ / ١ .

٢ - ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٢٩ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ١٥ ، ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ١٨٥ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ١٠٣ - ١٠٤ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٢ / ٥ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٢٦ - ١٢٨ ؛ ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٣٢ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ١٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٠٢ ؛ ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ١٨٥ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ١٠٣ - ١٠٤ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٧١ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٢ / ٥ - ٦ .

بالناس ، فضربه عمرو بن بكر وكان يضنه عمرو فقتله ، فقال ابن العاص : " أردتني و أراد الله خارجة " ، ثم امر بقتله (١) .

اما معاوية فقد ضربه البرك بن عبدالله ، حين خرج لصلاة الغداة فجاءت الضربة في أليته ، وقيل بأن الطعنة مسمومة ولا يشفى الا بالكي بالنار او بشراب يمنع النسل ، فأختار معاوية أنقطاع النسل ، وقال : " في يزيد وعبدالله ما تقر به عيني " وأمر بقتل الرجل ايضاً (٢) .

اما الامام علي (عليه السلام) فضربه ابن ملجم لعنه الله على جبينه بسيفه المسموم وهو خارج للصلاة ، و أستشهد (عليه السلام) بعد أيام قليلة (٣) .

وكان قد أنبأ (عليه السلام) بهذا الامر من قبل ووصف قاتله بأنه شقيق عاقر ناقة ثمود وهذا مانقله الجوهرى بقوله : " قال علي وصي محمد أنا ، أعيش بعده ثلاثين سنة لا أزيد يوماً واحداً ولا أنقص يوماً واحداً ثم ينبعث أشقاها شقيق عاقر ناقة ثمود فيضربني ضربة هينها في قرني ، فيخضب لحيتي " (٤) .

وهو يحذر أهله من المثلة وهو يقول : " يا بني عبد المطلب ، لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، لا يقتلن أحد الا قاتلي " ، أنظر يا حسن إن أنا مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربه " (٥) .

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٢٨ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، ٢١١ / ١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١٩٣ / ١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٤٢ / ١ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٤٧ / ١ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ المطهر ، البدء والتاريخ ، ٣٢٧ / ١ ؛ ابو الفرج الاصفهاني ، مقتل الطالبين ، ص ٣٠ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٢٩ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ٥٥٠ / ١ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٦ .

٤ - احمد بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن عايش الجوهرى (ت ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م) ، مقتضب الاثر في النص على الائمة الاثنى عشر ، اعداد نزار المنصوري ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص ٣٠٦ ؛ ولزيادة معلومات ينظر : الاربلي ، كشف الغمة ، ١٠٢ / ٢ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٢٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٢ / ٢ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦ ؛ السجستاني ، المعمران والوصايا ، ص ٤٩ .

سياسة الامام علي (عليه السلام) :

يبتدئ العقاد حديثه عن سياسة الامام (عليه السلام) بالقول : " هناك بعض الاحكام المرتجلة بين الناس وهو قولهم أن علي بن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بخدع الحرب والسياسة "

وان هذا الرأي قد شاع في عصر علي (عليه السلام) بين أصحابه وأعدائه ، وقالوا عنه أنه خالف دهاء العرب بما أشاروا عليه ، وبذلك لم ينجح عند مخالفته لهم في بعض مساعيه ، فمن الطبيعي أن يقال بأنه مني بالفشل لمخالفته أراء أصحابه الدهاة وانه لم يكن من اصحاب الخدع الناجحة في الحرب والسياسة .

لكن العقاد بعد ذلك يعود ليطلق تساؤلا فيقول : " هل خطر لأحد ناقديه في عصره أو بعد عصره ، أن يسأل نفسه : أكان في وسع علي ان يصنع غير ما صنع ؟ " (١) .

و تلاحظ الباحثة ان كثيراً ما يثار لو ان علي (عليه السلام) اتبع الحيل التي اتبعها خصومه لقوت الفرصة عليهم ، لكن تأبى أخلاق علي ودين علي و نبيل علي ان يكون علي غير علي . فأبتعد (عليه السلام) كل البعد عن الطرق الملتوية لتحقيق الاهداف ، و أتبع الطرق المشروعة و أن كانت سبباً في مشقته .

ثم يجيب العقاد عن التساؤل الذي طرحه قائلاً : انه من خلال تقدير العواقب نجد أن العمل بآراء غيره لم يكن مضمون النجاح ولا مأمون الخطر ، وربما يكون الامل في نجاحه ضعيف .

ثم بعد ذلك يعرض لنا العقاد اهم المسائل التي خالف فيها الامام (عليه السلام) الدهاة ، أو خالفه فيها ناقدين التاريخ ، الذين نظروا لهذه الامور من الشاطئ ولم يكونوا ينظرون بعين علي (عليه السلام) لهذه الحوادث وهو الربان في غمرة الامواج والعواصف . ومن هذه المسائل وهي كما يصنفها العقاد:

١- عزل معاوية

٢- معاملة طلحة والزبير

١ - عبقرية الامام ، ص ١٣٣- ١٣٤ .

- ٣- عزل قيس بن سعد من ولاية مصر
- ٤- تسليم قتلة عثمان
- ٥- قبول التحكيم
- ٦- قبول الخلافة (١).

فيبدأ العقاد بالحديث عن كل مسألة من هذه المسائل ، و يبدأها بقضية عزل معاوية ، ولا نعرف السبب الذي جعل العقاد يضع عزل معاوية بالمركز الاول للدراسة ، ربما لخطورة هذه القضية ، او لانه يرى ان معاوية هو الخصم الاقوى للامام علي (عليه السلام) ، او انه السبب الرئيسي للمشاكل التي نتجت فيما بعد .

اولاً - عزل معاوية:

ذكر العقاد بخصوص هذا الموضوع ان علياً (عليه السلام) خالف آراء كل من المغيرة بن شعبة و ابن عباس و زياد بن حنظلة التميمي (٢) ، و هؤلاء مشهورين بالحنكة و حسن التدبير ، جاءه المغيرة بعد مبايعته قائلاً له " أن لك حق الطاعة والنصيحة ، وأن الرأي اليوم تحرز به ما في غد ، وأن الضياع اليوم تضيع به مافي غد ، أقرر معاوية على عمله و اقرر العمال على أعمالهم ، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت " ، فرفض الامام وقال " لا أداهن في ديني ، ولا أعطي الدنيا في أمري " ، قال المغيرة : " فأني كنت ابنت علي فأنزعه من شئت و أترك معاوية ، فأني في معاوية جراءة " .

فرد الامام (عليه السلام) " لا والله .. لا استعمل معاوية يومين " .

ثم دخل عليه ابن العباس ، وقال له لما علم برأي المغيرة: " أنه نصحك " .

١ - عقربة الامام ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

٢ - زياد بن حنظلة التميمي : وهو حليف بني عدي.وممن بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الزبير بن بدر وقيس بن عاصم ليتعاونوا على قتل مسيلمة ثم عاش زياد إلى أن شهد مع علي جميع مشاهدته وكان منقطع إلى علي . ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٥٨/١ ؛ ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الحزم ، بيروت، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م ، ص ٤١٩ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٣٨٧/١ .

قال الامام : " ولم نصحني " قال ابن عباس : " لأنك تعلم ان معاوية واصحابه أهل دنيا ، فمتى تثبتهم لا يباليوا بمن ولي هذا الامر ، ومتى تعزلهم يقولوا أخذ هذا الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك فينتفض عليك أهل الشام و أهل العراق " (١) .

هذه اراء المشيرين على الامام من ذوي الحنكة ، والقتال والسيف هو ما عمل به الامام و ارتضاه ، فيقول العقاد ايهما على خطأ ، أيهما على صواب ؟ وهل كان الامام قادراً ترك معاوية في عمله أم لا ؟ فيجيب العقاد عن التساؤل الذي طرحه قائلاً : أن الامام لم يكن قادراً على ترك معاوية في عمله (٢) لأسباب يمكن أن نلخصها نحن بم ايلي :

١- ان الامام (عليه السلام) كان يشير على عثمان بعزل معاوية لأنه يعده من المآخذ على حكومة عثمان ، وكثيراً ما اعتذر عثمان بحجة أن معاوية من ولاة عمر بن الخطاب فيقول علي له رافضاً عذره : " أنه كان خوف لعمر بن الخطاب من غلامه " يرفأ" ، ولكنه بعد موت عمر لا يخاف " (٣) .

فمن هذا يتضح ان لو اقره الامام بعد ما ولي الخلافة لقال أتباعه عنه أن علي طالب حكم و أنه حصل على بغيته .

٢- ان الامام لا يستطيع أن يعرض عن رأي الثائرين الذين بايعوه بالخلافة من أجل تغيير الاحوال والتخلص من حكم عثمان الى حكم آخر جديد . كما ينقل العقاد ان اقرار معاوية في مكانه لم يكن يحقق السلم والوفاق ، وذلك لان معاوية لم يعمل في الشام كعمل أي والي يظل والياً طول حياته ، ويقنع بهذا المنصب ولا يتطاول ، ولكنه كان يعمل عمل صاحب دولة يؤسسها له ولأبنائه من بعده ، فأشترى الانصار بكل ثمن ، وأحاط نفسه بالثروة والقوة ، فأبي فرصة هو واجدها أفضل من مقتل عثمان والاخذ بثاره ؟ فكان مقتل عثمان فرصة بالنسبة له لا يضيعها والا ضاع منه الملك (٤) .

ونستطيع أن نقول أن الامام (عليه السلام) كما هو معروف عنه لا تأخذه في الله لومة لائم ، لم يكن ليقر معاوية من أجل ان تصفوا له الخلافة ويسود له الحكم وقد تعلقت أمان الناس به من

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٣٥ - ١٣٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣١٥ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ١ / ٥٢١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٢٥ .

٢ - عبقرية الامام ، ص ١٣٨ .
٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٣٨ ؛ طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ١ / ٢٠٤ ؛ رضا ، ذي النورين ، ص ٣٨ ؛ فلهوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، تح محمد عبد الهادي ابو ريده ، ط٢ ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ص ٤٣ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٣٩ .

أجل تخليصهم من الاوضاع الراهنة في عهد عثمان. وهو الذي كان يقوا [اي معاويه] : " انا أول ملك في الاسلام" (١) .

فأصدق ما يقال في هذا الموقف ان صواب الامام (عليه السلام) في مسألة معاوية أفضل من صواب مخالفه .

ثانياً : مسألة طلحة والزبير :

يرى العقاد ان مسألة طلحة والزبير أيسر بكثير من مسألة معاوية ، وان الرأي الذي عمل به الامام معروف والآراء المخالفة له لا تتعدى واحد من ثلاثة : جميعها عاقبتها غامضة ، وقليلة السلامة ، وأقل ضماناً من رأيه الذي عمل به (٢) .

فالرأي الاول : هو ان يوليهم العراق واليمن أو الكوفة والبصرة ، و كان عبد الله بن عباس مؤيداً لهذا الاقتراح لكن الامام رفض هذا الرأي لان " العراقيين بهما الرجال والاموال ، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلان السفيه بالطمع ويضربان الضعيف بالبلاء .." فينقلبان على الامام بشكل أقوى لو كانا بغير ولاية (٣) .

وان الامام كان صائباً في ظنه بطمع كل من الزبير وطلحة بأموال العراق ، هذا ابن حبان ينقل ما قاله طلحة والزبير لعبدالله بن عامر الذي ترك البصرة وعاد الى المدينة بعد ان كان والياً على البصرة : " لما قدم ابن عامر المدينة أتى طلحة و الزبير فقالا له : لا مرحبا بك و لا أهلا ! تركت العراق و الأموال و أتيت المدينة خوفا من علي و وليتها غيرك و اتخذت الليل جملاً فهلا أقتحت حتى يكون لك بالعراق فئة " (٤) .

لكن اليعقوبي ينقل رواية أخرى يقول فيها " وروى بعضهم أنه ولي طلحة اليمن، والزبير اليمامة والبحرين، فلما دفع إليهما عهديهما قالوا له: وصلتك رحم! قال: وإنما وصلتكما

١ - الشرقاوي ، علي أمام المتقين ، ٢ / ٢١١ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ١٤١ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤١ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، ١ / ٧١ .

٤ - السيرة ، ١ / ٥٢١ .

بولاية أمور المسلمين. واسترد العهد منهما، فعتبا من ذلك، وقالوا: أثرت علينا! فقال: لو لا ما ظهر من حرصكما لقد كان لي فيكما رأي" (١).

الرأي الثاني : هو أن يوقع بينهما ليفرقهم فلا يتفقان على اي عمل وذلك عن طريق إعطاء أحدهما وحرمان الآخر ، فيرى العقاد ان من يعطيه الامام لا يضمن أنقلابه اذا سئحت له الفرصة ، ومن يحرمه قد يهرب الى الشام لساوم معاوية ، أو يقيم في المدينة بضغينة مستورة (٢).

يمكن الرد على هذا الرأي بأن علياً (عليه السلام) لا يحتاج أن يوقع بين طلحة والزبير لانهم لم يكونوا يوماً متفقين حتى في خروجهم من مكة الى البصرة فوق الخلاف في عسكرهم على من يصلي بهم لولا تدخل السيدة عائشة ، فلم تطل المحنة بهم فأنهزما بعد ذلك وخرج الامام من حربهم أقوى من قبل هذه الفتنة (٣).

الرأي الثالث : هو أن يعتقلهم أسيرين ، ولايسمح لهم الخروج من المدينة الى مكة وقد طلبوا منه الاذن . في الواقع أن الامام أستراب من نواياهم من السفر الى مكة وقال لهم " ما العمرة تريدان ، وانما تريدان الغدرة " (٤) ، فيقول العقاد في معرض الرد على هذا الرأي أن حبسهم يؤدي الى تعاطف الناس معهم لانه حبسهم من غير بينة .

لذا لا يوجد اسلم واطمن للعاقبة من الرأي الذي سلكه الامام وخرج منه منتصرا على الحجاز والعراق حسب رأي العقاد (٥).

لو كان علي (عليه السلام) يعمل بغير بينة وجناية لعمل على قتل ابن ملجم وكان على علم بنيته ، وصرح الامام بذلك ، لكن الامام كان يعمل بظواهر الامور لا بواطنها ، وهو صاحب الحكمة والتدبير فمن يكن هؤلاء المشيرون الذي يشيرون عليه ليسبقو علي (عليه السلام) بحنكته وحسن تقديره.

١ - تاريخ ، ١ / ١٧٨ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤١ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤٢ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣١٦ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤٢ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ١ / ٢١٤ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٣٢ / ١١ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤٣ .

ثالثاً : عزل قيس بن سعد من ولاية مصر:

هنا يعد العقاد عزل قيس بن سعد عن ولاية مصر بانها " غلطة من غلطات الامام يقل الخلاف فيها " ويعلل العقاد رأيه هذا بأن قيس بن سعد أقدر أصحاب الإمام علي (عليه السلام) على ولاية مصر وحمائتها، وهو كفؤ لمعاوية وعمرو بن العاص في المداورة والدهاء (١) ، وان الامام عزله لانه شك فيه ، وذلك لان معاوية أشاع المدح لقيس بين أهل الشام ، وادعى ان قيس من حزبه المتأمرين معه في السر ، فيقول العقاد ان علي (عليه السلام) عزله وهو غير واثق من التهمة و ايضا غير واثق من البراءة ، وان معاوية أغراه بنصرته والخروج على الامام ، فكتب اليه كتاب لافيه رفض ولا قبول ، يصح أن يقال عنه انه مراوغاً لمعاوية أو مترقباً لساعة الفصل بين الخصمين ، وجاء بهذا الكتاب : " أما متابعتك فأنظر فيها ، وليس هذا مما يسرع اليه و أنا كاف فلا يأتيك شيء من قبلي تكرهه ، حتى نرى وتري " ، ثم بعد ذلك أشد في وعيده حين أنذره معاوية ، فقال : " أما قولك اني مالي عليك مصر خيلا ورجلا فو الله أن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم اليك أنك لذو جد والسلام " (٢) .

وأن الامام اراد أن يتأكد من الخصومة بين معاوية وقيس ، فأمر قيس بحرب من تخلف من أهل مصر عن البيعة للإمام وهم من أنصار عثمان ، فلم يفعل قيس ، وكتب للإمام " متى قاتلناهم ساعدوا عليك عدوك ، وهم الان معتزلون والرأي تركهم " (٣) . ويمكننا الرد على قول العقاد بأن علي (عليه السلام) كان شاكاً في قيس بن سعد ، فننقل قول ابن الاثير الذي يوضح بأن الامام علي (عليه السلام) لم يكن شاكاً في قيس تمام الشك حتى كان يقول " اني والله ما أصدق بهذا عنه " (٤) .

كما وينقل صاحب كتاب ولاية مصر قولاً مشابهاً لهذا عندما قالوا لعلي (عليه السلام) أن قيس خذله قال لهم: "ويحكم أنه لم يفعل " حتى نجده في كتابه لقيس بعزله يقول له " أني احتجت الى قربك ، فأستخلف على عملك ، و اقدم " (٥) .

فنستطيع القول أن هذا لم يكن رد شاكاً ، بل رد محب واثق وانما قيام الامام بعزله من أجل أن يمنع كثرة اللغظ في هذا الحديث ، ولا يجعل معاوية يوجب نار الظن بينه وبين قيس .

١ - عبقرية الامام ، ص ١٤٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣٩ / ١ .

٢ - عبقرية الامام ، ص ١٤٥ ؛ ابن الاثير الكامل ، ٥٥ / ٢ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤٥ ؛ العسكري ، الاوائل ، ص ٩٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٥٦ / ٢ .

٤ - الكامل ، ٥٦ / ٢ .

٥ - الكندي ، محمد بن يوسف (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م) ، تح: حسين نصار ، دار الصادر ، بيروت ، (د.ت) ، ص

هنا تعاضم شك الامام (عليه السلام) بقيس وكثر المطالبون بعزله ، فعزله ، فتبين فيما بعد أن رأي قيس بعدم قتال المتخلفين عن البيعة هو الرأي الاصبوب لانهم هزموا فيما بعد محمد بن ابي بكر الوالي الجديد لمصر^(١) ، ويذكر الصفدي أن قيس بن سعد نصح محمد بن ابي بكر لكنه لم يعمل بنصحه حين قال له " وأني ادلك على الذي كنت أكيد به معاوية وعمرأ وأهل خربتأ فكأيدهم به فأنتك أن كأيدتهم بغيره تهلك ووصف له قيس بن سعد المكأيدة فاستغشه محمد وخالفه في كل شيء" ^(٢) ، فيقول العقاد ان الامام عرف خطأه وقال لأصحابه : " أن مصر لا يصلح لها الا أحد الرجلين هذا الذي عزلناه والاشتر " ^(٣) .

ثم ارسل الاشتر الى مصر ليعيدها الى الطاعة لكنه مات في الطريق ، الذي قيل أن معاوية دس له السم بالعسل ، فشربه وهو على حدود مصر فمات هناك ، وروي أن معاوية لما بلغه موته قال : أن لله جنودا من عسل " ^(٤) ، وقيل ان علي (عليه السلام) بعث مالك الأشتر أميراً على مصر. فسار يريد مصر حتى نزل جسر القلزم، فصلى حين نزل من راحلته. ودعا الله إن كان في دخوله مصر خير أن يدخله إياها، وإلا لم يقض له بدخولها. وشرب شربة من عسل فمات ^(٥) .

وهنا نجد ان العقاد مؤمن كمال الايمان بخطأ الامام (عليه السلام) بعزل قيس بن سعد عن ولاية مصر.

ولنا رأي اخر في هذه المسألة ، الرأي الاول هو سبق و أن ذكرنا أن الامام علي (عليه السلام) لم يكن ليعتبر أحد من دون بيعة ، اما الامر الاخر فأن قيساً هو عامل مكلف من قبل علي (عليه السلام) يعمل بأمره ونهيه ، فليس له الحق بمخالفة الامام (عليه السلام) بعدم قتال المتخلفين عن البيعة من انصار عثمان ، وربما لو كان قيس عمل برأي الامام وقاتل المتخلفين لما تجرؤا بعده على قتل محمد بن ابي بكر.

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤٦ .

٢ - الوافي بالوفيات ، ١ / ٢٥٦ .

٣ - عبقرية الامام ، ص ١٤٦ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٤٧ ؛ ابن خياط ، تاريخ ، ص ٤٨ ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، ١ / ٨٢ .

٥ - الكندي ، ولاة مصر ، ص ٤٧ ؛ الذهبي ، العبر ، ١ / ٣٢ - ٣٣ ؛ الشرقاوي ، علي امام المتقين ، ٢ / ص ٢٢٣ .

رابعاً :مسألة القصاص من قتلة الخليفة عثمان :

وهذه المسألة يعدها العقاد من أطول المسائل جدلاً بين الامام (عليه السلام) وخصومه، حيث طالبوه بالقصاص وهم لا يعرفون من القتلة ومن هو الذي يؤخذ بدم الخليفة عثمان من هذه القبائل والافراد ، ولكنهم لما قبضوا على زمام الحكم أعفوا أنفسهم من القصاص ، وهم ممن يدعون بأنهم ولاة الدم (١) .

نستطيع أن نقول هنا ان الذي قصده العقاد بكلامه هو معاوية الذي كان يتهم علي (عليه السلام) بدم عثمان ويطالب القصاص ، لكنه لما تولى الحكم لم يعر الامر أهمية وهذا ماقاله لابنة عثمان عائشة كما اسلفنا .

وكان الامام يقول لمن يطالبوه بدم عثمان " ان هذا الامر جاهلية ، وان لهؤلاء القوم مادة، وان الناس من هذا الامر الذي تطلبون على أمور : فرقة ترى ماترون ، وفرقة ترى مالا ترون ، وفرقة لاترى هذا ولا هذا حتى تهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها ، وتؤخذ الحقوق فأهدئوا عني ، و أنظرو ماذا يأتيكم ثم عودوا " (٢) .

في حين ذكر احد المحدثين أن علي (عليه السلام) صرح بأنه لايعرف قتلة عثمان ، وقال للمطالبين من بني امية بذلك : "والله لو ددت أن بني أمية رضوا لنفلناهم خمسين رجلا من بني هاشم يحلفون: ماقتلنا عثمان، ولانعلم له قاتلا " (٣) .

ومن هؤلاء المطالبين بدم عثمان هي السيدة عائشة، إذ روي عنها أنها قالت لما أخبرت ببيعة علي وهي خارجة من مكة : " ليت هذه انطبقت على هذا إن تم الامر لعلي " تشير الى السماء والارض ، ثم رجعت الى مكة وهي تقول " قتل والله عثمان مظلوما ، والله لأطلين بدمه " ، فقيل لها " ولم ؟ والله ان اول من اثار الناس عليه لأنت ولقد كنت تقولين : اقتلوا " نعتلا "

١ - عبقرية الامام ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام، ص ١٤٩ ؛ محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢٣٦ ؛ الشيخ ، حسن ، ملامح من الفكر الاداري عند الامام علي ، دار أرسلان ، دمشق ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١٠ م ، ص ١٠٩ ؛ نسيم ، بلهول ، في جيو سياسة الشيعة والتشيع ، أمواج للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤ م ، ص ١٢٠ ، النجار ، الخلفاء الراشدون ، ٢٥٧ .

٣ - العمري ، عصر الخلافة الراشدة ، ص ٤٤٣ .

فقد كفر " قالت : " أنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي اليوم خير من قولي الاول " (١)

وتشير هذه القضية سؤالاً ، هو كيف علمت عائشة بان الناس استتابوا عثمان ؟ هل كانت حاضرة حينذاك مع القتلة ، ام لديها عيونها التي تزودها بالأنباء ، ولو رجعنا الى الورا لراينا ان مرشحيتها للخلافة وهما طلحة و الزبير ، كانا ضمن القتلة و هي تعلم تماماً ان لهم اليد الطولى بالجريمة و براءة علي من هذا العمل ، لكن مشاعر البغض التي انتابتها كانت فائقة لدرجة لم تتمكن من السيطرة عليها ، على الرغم من تأكدها من براءة ساحة علي من ذلك ، وعلى الرغم من تحذير النبي لها مسبقاً من الخروج .

يرى العقاد ان امرأة بمنزلة عائشة وهي زوج النبي ومالها من مكانة في نفوس المسلمين يكون هذا مطلبها وموقفها ، فما قول المطالبين الاخرين .

لكننا نرى ان سب عداة السيدة عائشة للإمام علي (عليه السلام) هو ما قاله الامام (عليه السلام) في موضوع الافك وعرضه على النبي بتطليقها ، والامر الاخر كانت راغبة بخلافة أحد الثلاثة طلحة وهو تيمي ، او الزبير زوج اختها ، او عبد الله بن الزبير وهو ابن اختها وربيبها ، لكن هذه الرغبات لاتمنحها الحق بإشعال نار الفتنة بين المسلمين والمطالبة بدم عثمان وهي حتى لم تكن من ولادة الدم ، وكانت من المطالبين بقتله ، وانما ذريعة اتخذتها لابعاد اميرالمؤمنين عن سدة الحكم .

خامساً : مسألة التحكيم :

يقول العقاد ان الذين لاموا علياً (عليه السلام) بقول التحكيم من عجلتهم الى اللوم انهم كانوا أول من يلومه لو رفض التحكيم و أصر برفضه ، لكنه (عليه السلام) قبله بعد ان اختلف جنوده وكاد ان يحدث القتال في عسكره خلافاً بين الرافضين والموافقين ، كما وتوعده البعض

^١ - العقاد ، عقربة الامام، ص ١٤٩ - ١٥٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٥٧٠ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٨٦ ؛ عبد المقصود ، الامام علي بن ابي طالب ، ١ / ٥٠٢ .

بقتله كما قتل عثمان^(١)، والحواء عليه باستدعاء مالك الاشتهر الذي كان يلاحق الاعداء في ساحة الحرب وكان النصر قريب .

بعض المؤرخين صوبوا رأي الامام في قبول التحكيم ، لكنهم خطأوه لقبوله ابو موسى الاشعري ، ولكنهم نسوا ان ابا موسى كان قد فرض عليه ، فيرى العقاد ان النتيجة واحدة سواء ارسل الامام ابو موسى او الاشتهر او عبدالله بن عباس ، فإن عمرو بن العاص لم يخلع معاوية ويقر بخلافة علي (عليه السلام)، وان البعض يتوهم بان الاشتهر أو ابن عباس كانا قادرين على ان يحولان عمرو عن رأيه ومساومته جذبه الى فريق الامام ، وان كان الامر كذلك فإن معاوية لم يكن ليقبل بهذه النتيجة فلم يجنح للسلم بعد ذلك، بل يتخذ له مخرجاً شرعياً من أجل نقض الحكمين ... و ما أسهل ذلك على معاوية^(٢) .

وهذا ما لاحظناه في قضية عمار بن ياسر الذي قال فيه النبي (ص) " تقتله الفئة الباغية " فقتل يوم صفين ، فلما خشوا وقوع الفتنة وان تشملهم لعنة النبي قالوا قتلة من اتى به الى الحرب^(٣) .

وبهذا نجد ان اصوب قرار اتخذه الامام هو قرار التحكيم ، و نؤيد ما ادلى به العقاد من رأي وانه كان حكيماً بتفسيره لقبول الامام لقرار التحكيم ، و يلاحظ ان ليس في ايدي المؤرخين الناقدين حل اصوب من ذلك الحل الذي توصل له الامام .

سادساً : اعتزال الخلافة:

ذكر العقاد ربما يخطر على البال لماذا لم يترك الامام الخلافة من البداية بعد المعضلات التي واجهته ، وهو يستطيع ان يتنبأ بها بعد مقتل عثمان والشقاق بين الامصار وشيوع الفتنة ، لكن يجيب العقاد نفسه قائلاً : ان من السخف بأن يخطر في البال ان رجلاً كعلي

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٥٠ - ١٥١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٣٠/١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١١٠/٢ .

٢ - عبقرية الامام ، ص ١٥١ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٥٢ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٩٠ / ٥ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٥٢ / ٥ ؛ ابو بكر العربي ، العواصم من القواصم ، ص ٣٤ ؛ شهاب الدين العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ١٣٤٨ هـ / ١٧٤٩ م) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تح: كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م ، ٢٠٠ / ١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢١٥ / ٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١٦٨٠ / ١ .

بن ابي طالب يترك هذه المعضلات تحيط في الدولة الاسلامية ويقف موقف المتفرج . ويبقى علي ماعاش هو العلم المنسوب الذي يفئ اليه كل مصلح وساخط وكل مخالف للدين والدنيا (١)

ويذكر الطبري ان علي رفض الخلافة حيث قال لهم : " دعوني والتمسوا غيري فأننا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشدك الله الا ترى ما نرى الا ترى الإسلام ، الا ترى الفتنة ، الا تخاف الله ، فقال: قد لجبتكم لما أرى، واعلموا إن أجبتمكم ركبت بكم ما اعلم، وإن تركتموني فإنما انا كأحدكم، إلا اني اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه أمركم" (٢) .

هذا رفض صريح من الامام للخلافة ، كما تنبأ عن الاحداث التي ستواجهه بعد تولية الخلافة ، لم يكن (عليه السلام) غافلاً عما سيحدث .

وكان (عليه السلام) يقول لاتباعه " لم تكن بيعتكم اياي فلته ، وليس أمري و أمركم واحدا ، اني اريدكم لله ، وانتم تريدونني لأنفسكم " (٣) .

كما و ان معاوية يعطل الاسباب التي ادت الى اعانته على علي (عليه السلام) فيقول : " انه كان رجلاً لا يكتتم سراً وكنت كتوما لسري ، وكان يسعى حتى يفاجئه الامر وكنت ابادر الى ذلك ، وكان في اخبث جند و اشد هم خلافا ، وكنت احب الى قریش منه ، فنلت ماشئت " (٤) .

ونلاحظ ان معاوية أستقرأ نفوس الجند فكان تحليله صائباً عندما قال أن علياً (عليه السلام) كان في اخبث جند ، فلولا تمرد جند علي (عليه السلام) لما بقي لمعاوية ذكر يوم صفين وكان النصر قريب لولا اجبارهم علي بقبول التحكيم ، و ايضا ان معاوية كان احب لقریش من علي (عليه السلام) ، وذلك لقتل علي كفارهم يوم بدر و احد ، ولما كان معاوية يصنعه بإغداق الاموال عليهم و استمالتهم وهذا ما ياباه علي (عليه السلام)

اما تحليل علي الوردي لهذا الوضع فيقول : " ان اتباع علي من أهل العراق كانوا يسألونه في كل شيء و يجادلونه في كل عمل يقوم به ، اما اتباع معاوية فكانوا يسيرون معه

١ - عبقرية الامام ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

٢ - تاريخ الرسل ، ٣ / ١٥ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٣٢ / ١١ .

٣ - الاسكافي ، المعيار والموازنة ، ص ١٠٥ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٣٢ / ٢٢ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٥٤ ؛ الجاحظ ، ابي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م) ، البيان والتبيين ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ط ٧ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د.ت) ، ١١٥/٢ ؛ الوردي ، علي ، وعاظ السلاطين ، ط ٢ ، دار كوفان ، لندن ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٣٢ .

كما كانوا يسيرون مع مشايخهم في الغزوات ايام الجاهلية " (١) ، ثم يكمل العقاد قائلاً لو أن معاوية حارب جندا مطيعين بجنود له عصاة ، لما كان حظه أوفق من حظ علي (عليه السلام) ، وكان الامام يقول : " أن لبني أمية مرودا يجرون فيه ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم " (٢) .

ان علياً (عليه السلام) لم يكن يوم يصف بعجز الرأي وضعف التدبير ، فقد أشار برأيه في مواقف عديدة فأصاب المشورة ، ووصف أناس حتى دل على خبرة بالرجال ، فمن مشوراته الصائبة ، عندما نهى عمر بن الخطاب من الخروج لحرب الروم والفرس بنفسه فقال له : " أنك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب ، لاتكن للمسلمين كائنة دون أقصى بلادهم ، ليس بعدك مرجع يرجعون اليه، فأبعث اليهم رجلاً مجرباً . فإن أظهره الله فذاك ماتحب ، و أن تكن الاخرى كنت رداءً للناس ومثابة للمسلمين " (٣) .

ومن وصفه (عليه السلام) للرجال قوله لابن عباس وقد أرسله الى طلحة والزبير : " لا تلقين طلحة ، فأنت ان تلقه كالثور عاقص - اي لاويا - قوته يركب الصعب ويقول هو الذلول ، ولكن ألق الزبير فإنه ألين عريكة فقل له : يقول لك ابن خالك عرفنتني بالحجاز و أنكرتني بالعراق . فما عدا عما بدا ؟ " (٤)

وبعد هذا كله فإن من التجني و مخالفة للحقيقة ان يوصف علي (عليه السلام) بأنه ضعيف ولم يكن يوماً ضعيف الراي والمشورة ، لكن هذا ما اراد أعدائه أشاعته عنه ، فكان الحبيب والعدو له يهرعون الى نجدته عند الازمات، لكن عصره كان عصر خيبت و دهاء ، فأرتقى علياً بنفسه عن هذا المستوى حتى قالوا عنه ضعيف الرأي ، ولكنه أتخذ طريق الحكمة والعقل وهذا ارضى لربه ودينه ثم نفسه ، بعيداً عن الغوص ببحر الحيلة والدهاء .

١ - وعاظ السلاطين ، ص ٣٢ - ٣٣ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٥٥ ؛ الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة ، دار الحديث ، قم ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ١ / ٧٦٤ .

٣ - ابن اعثم الكوفي ، ابي محمد احمد ابن اعثم (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) ، الفتوح ، تح: علي شيري ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ٢ / ٢٩٣ ؛ باسلوم ، موسوعة ال بيت النبي ، ٢ / ٦٦ ؛ محمد ، علي محمد ، الكوكب الدرّي في سيرة ابي السبطين علي ، ميرة الال والاصحاب ، الكويت ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م ، ص ١٠٩ ؛ الحيدري ، نبيل فخر الدين رافع ، التشيع العربي والتشيع الفارسي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٩ م ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٥٧ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار ، ١ / ٨٣ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥ / ٦٤ .

اما مجدي باسلوم يعلل سب اتهامه (عليه السلام) من قبل أعدائه بأنه لا رأي له قائلاً " وما ذاك الا لأنه كان مقيداً بالشريعة لا يرى خلافها ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه ، وقد قال الامام علي - رضي الله عنه : لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب " (١)

وان هذا القسط الوافر من الرأي الصائب لكاف لتولي الخلافة عندما كان العصر عصر خلافة وليس دولة دنيوية ، بل هو كاف أيضا لتولى دولة دنيوية لو أستقرت الاوضاع ، فإن عمر بن عبد العزيز وما عرف عنه من تقواه وصلاحه جاء الى الحكم بعد الملوك الاولين من بني أمية (٢).

ونعد هذا اعترافاً من العقاد بأن الملوك الامويين الذي سبقوا عمر بن عبد العزيز لم يمتلكوا من الصلاح والتقوى شيء .

اما معاوية فلم يكن زاهدا في الخلافة أيام أبي بكر وعمر و عثمان ، ولكن الخلافة زاهدة فيه ، وعندما جاء عصر الملك ، طلب الملك وطلبه ، وقال ابوه سابقا للعباس عم النبي عندما نظر جيش المسلمين يوم فتح مكة : " لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً " (٣) ، فهذا ما تربي عليه معاوية في بيته منذ النشأة الاولى .

ان سياسة علي (عليه السلام) نقدت بفوات الخلافة منه قبل البيعة و أحصى عليه بعض المؤرخين أنه تأخر نيف وعشرين سنة لم يخلف النبي أو أبا بكر وعمر ، وكأنه كان بمقدوره أن يخلفهم ولم يعمل ثم يعود العقاد للعوائق التي حالت بين عليا (عليه السلام) والخلافة ، فيقول أن علياً (عليه السلام) أنكر تخطيهم له وعدم بيعته بعد وفاة ابن عمه وما كان له من قرابة من النبي التي هي وحدها كافية لترشيحه للخلافة ، ومع ما عرف عنه من علم وشجاعة وسبق للاسلام والجهاد ، لكن العقاد يقول أن قرابته من النبي كانت هي العائق للوصول للخلافة ، وان النبي لم يوص به لكي لا يثير العصبية في قريش والقبائل العربية الاخرى ، وانه يكره ان يصور الاسلام للعرب كأنه سيادة هاشمية يتوارثها بني هاشم دون سائر العرب المسلمين ، وهذا ما فعله الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) عندما جعل بيت أبي سفيان أمان للاجئين اليه

١ - موسوعة ال بيت النبي ، ٢ / ٦٦ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٥٨ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٥٩ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ٢ / ٥٢ ؛ ابن عبد البر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، ص ٢٣١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١ / ٣٨٥ ؛ ابن الاثير ، ١ / ٣٢٩ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ٢ / ١٨٨ ؛ ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ، ٣ / ٣٤٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٣١٢ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ٥ / ٢٢١

(١) ، و صاهر ابي سفيان وجعل ابنه معاوية كاتباً له (٢) ، اي أن النبي اراد أن تكون الخلافة من بعده اختياراً ليستوي القريب والبعيد منهم .

فيقول العقاد بهذه الحكمة النبوية نستطيع ان نرد على من يدعي بأن الخلافة وراثية في بني هاشم وهي من أحكام الله ومن ضروريات الدين ، فيقول لو كانت كذلك لماذا لم يعقب الرسول عقب من الذكور ، ولماذا يختم القرآن ولا يوجد فيه نص صريح تحت على خلافة أحد من أهل البيت . فالقراية هي العائق الوحيد الذي حال بين علي والخلافة وهذا ما ذكره عمر بن الخطاب حين قال : " ان قريشاً اختارت لنفسها فأبت ان تجمع لبني هاشم بين النبوة والخلافة " (٣) .

وبهذا نجد رأي العقاد مخالفاً بشأن الروايات التاريخية التي جاءت يوم غدير خم و ذكرت العشرات منها في كتب اهل السنة ، ومبايعة الشيخين لعلي بالخلافة عرض الجدار ، كما انه ليس من المنطق ان يترك الرسول المجتمع بدون قائد و هذا قطعاً محال ، لذا فإن العقاد كان واضحاً في ميله الى صحة تولي الشيخين للخلافة و لم يراع الامانة العلمية في هذا الجانب ، بل كان توجهه عاطفي و ليس عقلي في هذه المسألة .

اما احتجاج العقاد بعدم وجود نص قرآني صريح في خلافة علي (عليه السلام) ، فنحن معه في ذلك ، لكن هناك كثير من الآيات القرآنية التي فسرها اهل السنة على انها خاصة بعلي (عليه السلام) حيث منحه الله فيها الولاية على المؤمنين ، والولاية أعم من الخلافة منها قوله تعالى " النبي اولى من المؤمنين انفسهم " (٤) .

حيث ينقل السيوطي، عن ابن ابي شيبية و احمد و النسائي عن بريدة قال : " غزوت مع علي اليمن ، فرأت منه جفوة ، فلما قدمت على رسول الله (ص) ذكرت علياً فتنقصته ، فرأيت

١ - عبقرية الامام ، ص ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ ؛ الازرقى ، اخبار مكة ، ٣ / ١٨٥ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ١ / ٣١٥ ؛ ابن المطهر ، البدء والتاريخ ، ١ / ٢٥٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ٢ / ١٨٨ ؛ ابن عبد البر ، الدرر ، ص ٢٣٠ ؛ السهلي ، الروض الانف ، ٤ / ١٥٥ ؛ ابن القيم ، زاد المعاد ، ٣ / ١٠٨ ؛ ابن كثير ، السيرة ، ٣ / ٥٤٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤ / ٢٨٩ ؛ الاندلسي ، الاكتفاء ، ٢ / ١٨٣ ؛ النجار ، القول المبين ، ص ٣٤٩ ؛ ابن عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول ، ص ٢٩٩ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ٥ / ٢٣٠ ؛ الخضري ، محمد بن عفيفي ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، تح: هيثم هلال ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ١٦٤ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٦٧ ؛ الاتليدي ، محمد دياب ، اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، دار الصادر ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٣٦ .

٣ - عبقرية الامام ، ص ١٦٩ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ٢ / ٥٧٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١ / ٤٧٥ .

٤ - سورة الاحزاب : آية (٦) .

وجه رسول الله (ص) تغير وقال : يا بريدة ، ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : من كنت مولاه فعلي مولاه" (١) ، و ايضاً اقوال النبي بهذا الخصوص كثيرة ، وقوله (ص) حجة علينا ، ومن هذه الاحاديث ما ينقله صاحب كتاب ميزان الحكمة عن ابي هريرة قوله : "لما كان غدیر خم - وهو يوم ثمانی عشر من ذي الحجة - قال النبي (ص) - من كنت مولاه فعلي مولاه . فأنزل الله : " اليوم أكملت لكم دينكم " (٢) .

وما رواه صاحب كتاب المسترشد عن محمد بن محمد بن جميل عن جرير عن الاعمش عن ابي الضحى عن مسروق عن عائشة ، انها قالت : يارسول الله من الخليفة من بعدك ؟ قال خاصف النعل ، قالت : من خاصف النعل ؟ قال : أنظري ، فنظرت فإذا علي ابن ابي طالب ، قالت يارسول الله ذلك علي بن ابي طالب ، قال هو ذاك (٣) .

اما واقعة غدیر خم فتشهد بها كتب عامة المسلمين من المخالفين لعلي (عليه السلام) والمحبين هو حيث أخذ رسول الله (ص) بيد علي ابن ابي طالب في حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة ، و أمام جمع من الحجيج وقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه " فقال ابو بكر وعمر : أمسيت يا ابن ابي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة (٤) .

كما وشهد بهذا الحديث مجموعة من أصحاب رسول الله (ص) وهذا ما أقره الاصبهاني والهيثمي وكذلك السيوطي حيث قال نقل الاصبهاني عن: " عميرة بن سعد قال شهدت علياً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدیر خم يقول ما قال فيشهد فقام اثنا عشر رجلاً منهم ابو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا انهم سمعوا رسول الله يقول من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" (٥) .

١ - الدر المنثور ، ١٢ / ٧٢٧ - ٧٢٨ .

٢ - سورة المائدة : آية (٣) ؛ الرিশهري ، ١ / ١٤٦ .

٣ - الطبري الامامي ، ص ٦٢٢ .

٤ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٣ / ٤٩٨ ؛ الشافعي ، كفاية الطالب ، ص ٦٢ ؛ ابن العديم ، بغية الطلب ، ٣ / ١٧٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٤٨٥ ؛ ابن كثير ، السيرة ، ٤ / ٤١٤ ؛ الاميني ، موسوعة الغدير ، ١ / ٥١٠ .

٥ - الاصبهاني ، ابي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أسحاق (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) ، تاريخ أصبهان ، تح: سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ١ / ١٤٢ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ٩ / ٩٤ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٦٩ .

كما وينقل ابن اعثم الكوفي حديث بخلافة علي بعد الرسول على لسان ام سلمة زوج النبي و باعتراف عائشة بأنها سمعته من رسول الله (ص) وذلك عندما كانت ام سلمة تحذر عائشة و عبد الله بن الزبير من الخروج لحرب علي (عليه السلام) قائلة لابن الزبير : "أتطمع أن يرضى المهاجرون والانصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة وعلي بن ابي طالب حي وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة ؟ فقال عبد الله بن الزبير : ماسمعنا هذا من رسول الله (ص) ، فقالت أم سلمة : ان لم تكن انت سمعته فقد سمعته خالتك عائشة وها هي فأسألها ، فقد سمعته (ص) يقول : علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصاني . أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا ؟ فقالت عائشة : اللهم نعم " (١) .

اضافة الى ذلك فإن العقاد سبق و أن ذكر في كتابه (عبقرية محمد) بان النبي لم يعقب لانه لو عقب ذكوراً لوجب ان يكونوا انبياء وهو خاتم النبوة، لكنه عقب فاطمة (عليها السلام) ، فما الضير ان يكون زوج فاطمة و ابن عمه و اولاد فاطمة خلفاء ، وانما ان دل الامر على شيء دل على ان المجتمع لا يزال يتمتع بروح العصبية الجاهلية ، اما النبي لم يكن ليترك امر الدين هكذا خوفاً على مزاجيات بعض المتعصبين ، وهو الذي لا يخشى أحد في سبيل نشر امر ربه . اما نقله لقول عمر بن الخطاب فهذا دلالة واضحة ، اذ ان بها العقاد نفسه ، بأن المجتمع بعد النبي عاد ليتمتع بتلك العصبيات الجاهلية .

حكومة الإمام علي (عليه السلام):

كانت حكومة الامام والدولة الاسلامية برمتها على شفا الخطر بسبب الفتنة الداخلية التي كانت بين الامام (عليه السلام) ومعاوية ، لكن هذه الفتنة على الرغم من خطرها ، لكنها وفرت بعض دعائم الامان للدولة الاسلامية من ناحية الاخطار الخارجية ، فيقول العقاد : " ان هذه الفتنة قد أغرت أعداء الاسلام بالانتظار ، و أوقعت في روعهم انهم غنيون عن التحفز والوثوب الذي يشق عليهم جهده " ، ففتحت الروم ببعض الهجمات الضعيفة لكنهم تراجعوا منتظرين الى ان يقضي الخلاف بين المسلمين ، يبين العقاد رأيه بأن حكومة الامام علي (عليه السلام) لم تكن لها سياسة خارجية ، يمكن ان تحسب على سياسة الفتوح او الدفاع (٢) .

١ - الفتوح ، ٢ / ٤٥٤ - ٤٥٥ .

٢ - عبقرية الامام ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

و يمكننا ان نجيب العقاد على ذلك بأن الاحداث الداخلية العصبية التي واجهها علي (عليه السلام) لم تكن تسمح له للتفرغ للعلاقات الخارجية ، ولم يكن أحد من الخلفاء منذ وفاة النبي (ص) حتى تولي علي الخلافة قد واجه ما واجه علي (عليه السلام) من فتنة الجمل ثم صفين وقضية التحكيم ، وبعد ذلك الخوارج الذي لم ينتهوا الا بالقضاء على حياته (عليه السلام) ، فأن اقامة علاقات خارجية مع الدول المجاورة تتطلب استقرار داخلي ، و عدم وجود معارضة قوية كالمعارضة التي مني بها علي (عليه السلام) ، فأن هذه الاحداث لم تكن غائبة على العقاد والآخرين . اما الفتوحات فأن الغالبية العظمى من المسلمين وغير المسلمين يصفون علي (عليه السلام) بعدم المشاركة في الفتوحات في عهد الخلفاء ولم يقيم بحركة فتوحات في عهده ، متناسين دوره في الفتوحات الاسلامية في عهد النبي الاكرم (ص) ألم يفتح علي خيبر ، ألم يشارك يوم الخندق وفتح مكة وغيرها ، وهذه الفتوحات كانت الاساس الذي قامت عليه الدولة الاسلامية ، اضافة الى ان علي (عليه السلام) كان لايجبذ المشاركة في ظل القيادة الحاكمة التي لايرى شرعيتها ، عكس مشاركته ايام الرسول (ص).

اما حكومته الداخلية التي امتازت سياسته فيها بالمساواة ورعاية الضعفاء والناس عنده متساوون بالحقوق ، فبدأ دولته برد القطائع التي كانت قد وزعت قبله على الرؤساء والمقربين ، فأنترعها من قابضيهها و اعادها الى مال المسلمين لكي يوزعها على من يستحقونها وقال : " والله لو جدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فأن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق " (١) .

و امر ولاته بالرفق بالرعية فلا استغلال ولا ارهاق وأن كانت الحكومة هي صاحبة المال والحق ومن وصاياه المتكررة لولاته : " انصفوا الناس من أنفسكم و اصبروا لحوائجهم فأنكم خزان الرعية . ولا تحسموا احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته .. " (٢) .

اما وصاياه في التحصيل على الصدقات والخراج : " امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولا تخدع بالتحية لهم ، ثم تقول : عباد الله . ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم ... فأنطلق معه من غير ان تخيفه وتتوعده او تعسفه او

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٤ ؛ القبانجي ، مسند الامام علي ، ٦ / ١٠٠ ، محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٤٢ / ١ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٤ ؛ عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ٣٩٨ ؛ جرداق ، موسوعة الامام علي ، ٣ / ٢٤٣ .

ترهقه ، فخذ ماعطاك من ذهب وفضة ، فإن كان له ماشية او ابل فلا تدخلها الا بأذنه ... فإذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ... " (١) .

اما دستوره في تحصيل الضرائب المفروضة على الرعية ، فعنده النظر في عمارة الارض اهم من الحصول على الضريبة نفسها ، وكان يكتب الى عامله : " تفقد امر الخراج بما يصلح أهله . فإن في صلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم ... لان الناس كلهم عيال على الخراج و أهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ، ومن جلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد و أهلك العباد ... " (٢) .

وعند الحديث عن دستوره في العمال والولاية لا يمكن أن يغيب ان أحد منها كتابه الى مالك الاشرى النخعي الذي قال له : " انظر في أمور عمالك ، فأستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة و اثره . . . فأنهم جماع من شعب الجور والخيانة . وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام ، فأنهم اكثر أخلاقا و أصح أعراضا و أقل من المطامع اسرافا ... ثم اسبغ عليهم الارزاق .. ثم تفقد اعمالهم و ابعث العيون من أهل الصدق والعيون عليهم .فإن تعاهدك في السر لأموهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية " (٣) .

ويصف جورج جرداق كتاب الامام للاشرى بانه : "من جلائل وصاياه و اجمعها لقوانين المعاملات المدنية والحقوق العامة والتصرفات الخاصة " (٤) .

وكان ينهي عماله عن بطانة السوء ويحثهم على استخدام العيون ، وجاء في وصيته لمحمد بن ابي بكر : " لاتدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الغضل ويعدك الفقر ، ولا جبانا يضعفك عن الامور ، ولا حريصا يزين لك الشره بالجور .. فإن البخل والجبن والحرص غرائز

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٥ ؛ جرداق ، روائع نهج البلاغة ، ص ١٦٢ ؛ عياصرة ، بسام عوض عبد الرحيم ، الرقابة المالية في النظام الاقتصادي الاسلامي ، دار الحامد ، بيروت ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م ، ص ١٣٧ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٥ ؛ عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ٤٠٩ ؛ آل قطيط ، سلوا عليا ، ص ٨٤٧ ؛ الشرقاوي ، علي امام المتقين ٢ / ٢٣٣ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٦ ؛ الامدي ، ناصح الدين ابي الفتح عبد الواحد (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥ م) ، غرر الحكم و درر الكلم ، تدقيق عبد الحسم ذهيني ، دار الهادي ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٤٤١ ؛ الحراني ، تحف العقول عن آل الرسول ، ص ٩٧ ؛ عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٣ ص ٤٠٨ ؛ آل قطيط ، سلوا علياً ، ص ٨٤٧ ؛ جرداق ، روائع نهج البلاغة ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ الشرقاوي ، علي امام المتقين ، ٢ / ٢٣٣ .

٤ - موسوعة الامام علي ، ٣ / ٢٣٩ .

شتى يجمعها سوء الظن بالله .. أن شر وزرائك من كان للأشرار وزيرا ، ومن شركهم في الاثام فلا يكونون لك بطانة " (١) .

وأثناء عملية البحث والدراسة تبين لنا أن القول أعلاه الذي قال عنه العقاد بأنه كتاب الامام الى محمد ابن بكر، وجدنا الكتب التاريخية تؤكد أنه كتاب الامام الى مالك الاشتهر ، وليس الى محمد بن أبي بكر ، وهذا ما اقره كل من الأمدي والحراني و محمد عبده و جرداق والشرقاوي هشام ال قطييط و ابو العلا ، وينفرد العقاد بالقول بأن هذا الكتاب أرسله الأمام الى محمد بن ابي بكر (٢) .

و إنَّ بعض الناقدین يأخذون عليه أنه كان ينكر على من قبل سياسة تولية الاقرباء ، لكنه قام بالعمل نفسه عندما تولى الخلافة ، ومما قيل أن عليا أتخذ عبد الله بن العباس على البصرة (٣) و عبيد الله بن العباس على اليمن (٤) ، ومحمد بن أبي بكر ابن زوجته على مصر (٥) ، وهؤلاء أقرباءه وخاصته من أهله ، فهو الان يعمل ما انكره بالامس على عثمان .

لكن العقاد يرد على هذا الكلام بالقول : " أن هذه المقارنة بالاشكال والحرف دون البواطن و الغايات " فبنو هاشم لم يكونوا يفكرون بعمل ولاية في غير حكومة الامام وأن الامم كان قد اعتمد عليهم بعد أن حاربتهم قريش وانتشرت الفرقة بين أعوانه في الامصار ، وكما وأنهم لم يعملوا على أستغلال الولايات ولم يؤثروا بما خصهم به ليجمعوا الثراء من أرزاقه وغنائمه ، انما كانوا يحاسبون على ما في أيديهم حساب عسير ، والبعض منهم كان يترك الولايات ويستقيل بسبب تضيقه لهم بمراقبتهم ، وهذا ما فعله ابن عباس عندما ترك البصرة وهاجر الى مكة (٦) .

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٧ .

٢ - غرر الحكم ، ص ٤٤١ ؛ تحف العقول ، ص ٩٢ ؛ شرح نهج البلاغة ، ٣ / ٤٠٢ ؛ روائع نهج البلاغة ، ص ١٥٠ ؛ علي أمام المتقين ، ٢ / ٢٢٩ ؛ سلوا عليا ، ص ٨٤٣ ؛ ابو العلا ، أمجد ربيع ، النظرية المتكاملة في الشورى ، دار الكلمة ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠١٢ م ، ص ٨٨ .

٣ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ٣ / ١٤٨ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١٢٥ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٧-١٨٨ ؛ المطهر ، البدء والتاريخ ، ١ / ٣٢٠ ؛ ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) ، السيرة النبوية و أخبار الخلفاء ، تح: عزيز بك ، ط ٣ ، دار الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ١ / ٥٢١ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٤١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١٢٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ٢٦ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٨ ؛ الكندي ، ولاة مصر ، ص ٥٠ ؛ العمري ، عصر الخلافة ، ص ١٤٥ .

٦ - عبقرية محمد ، ص ١٨٨ .

كما و انكر على شريح القاضي أن يبني داره بثمانين ديناراً ، و رزقه خمسمائة درهم (١) .

حتى انه حاسب أحد عماله وهو عثمان بن حنيف الانصاري واليه على البصرة (٢) ، لحضوره وليمة ، حيث قال له : " أما بعد يا بن حنيف ، فقد بلغني أن رجلاً من فتيّة أهل البصرة دعاك الى مأدبة فأسرعت اليها ... وما ظننت أنك تجيب طعام قوم عائلهم مجفوا وغنيهم مدعوا " (٣) .

وبعد ما استقرأناه من كلام العقاد نستطيع ان نقول للناقد أن يجري مقارنة بين أقرباء علي (عليه السلام) ومحاسبه اياهم في ما اوكل اليهم القيام به، وبين ما اختص به عثمان أقرباءه ، فعلي (عليه السلام) لم يمنحهم وكالة مطلقة في ولاياتهم كما فعل عثمان ومن غير رقابة ، بل كان علي (عليه السلام) حريص على متابعتهم ووضع العيون عليهم وتفقد سيرتهم ورضا الناس عليهم .

كما امتازت حكومته (عليه السلام) بغياب العصبية التي كانت تسيطر على الحكومات السابقة له ، فكان أنصاره من الفرس والمصريين والمغاربة أكثر من أنصاره من قریش خاصة وبني هاشم (٤) .

فالروح الانسانية كانت هي الاساس الذي تقوم عليه حكومة الامام (عليه السلام) وينقل العقاد بعض المواقف التي تدل على عظم انسانية الامام علي (عليه السلام) ورفقه بالناس. منها أنه جيء بامرأة زانية يشتبه بحملها الى عمر ، فأستفتى عمر علي ، فافتى علي (عليه السلام) بوجوب ابقائها حتى تضع مولودها ، وقال له : " أن كان لك سلطان عليها ، فلا سلطان لك على ما في بطنها " (٥) .

وحادثة أخرى أذ جيء الى عمر بامرأة قد أجهدها العطش فمرت على راعي فأستسقته .. فرفض أن يسقيها بشرط أن تمكنه من نفسها . فوافقت ، تشاور الناس برجمها فقال الامام

١ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٩ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٢٢/٩ .

٢ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ؛ ابن خياط ، تاريخ ، ص ٤١ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، ١٦٤/١ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٤١ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ١ / ٥٢١ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٤٥٤ / ١ .

٣ - محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ٣٩٠ ؛ جرداق ، موسوعة الامام علي ، ٢٤٢/٣ .

٤ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٩٠ .

٥ - العقاد ، عبقرية الامام ، ص ١٩١ ؛ الخوارزمي ، المناقب ، ص ٨١ .

(عليه السلام) : " هذه مضطرة الى ذلك .. فخل سبيلها " ^(١) . يالروعة الإمام علي (عليه السلام) لله دره من رجل .

وفي ختام استعراضنا لكلام العقاد عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) نجد ان العقاد أجاد الوصف في سيرة امير المؤمنين فلم يدع جانباً من حياة علي (عليه السلام) الا وذكرها بشكل مجمل او وجيز . ولم يكن ذلك الا قطرة في بحر حياة علي (عليه السلام) .

^١ - العقاد، عبقرية الامام ، ص ١٩١ ؛ العياشي ، ابي نصر محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي (٣٢٠هـ- ٩٣٢م)، تفسير العياشي ، تح: هاشم الرسولي المحلاتي ، دار الاعلمي ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ١ / ٩٣ - ٩٤ .



الفصل الثالث

السيدة فاطمة الزهراء و الإمام
الحسن (عليهم السلام)
في تراث عباس محمد العقاد



المبحث الاول

فاطمة الزهراء عليها السلام في تراث العقاد

يتناول هذا المبحث مقتبس وجيز من سيرة السيدة الجليلة فاطمة الزهراء (عليها أفضل الصلاة والسلام) ، والتي أفرد لها العقاد كتاباً في سيرتها تحت مسمى فاطمة الزهراء والفاطيون .

وأبدأ العقاد كتابه عن السيدة الطاهرة في بيان السبب الذي دفعه لترجمة حياتها (عليها السلام) ، فيقول أن سبب ذلك لأنها بنت محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ولأنها أيضاً زوج علي (عليه السلام) ، وكذلك أم السبطين الحسن والحسين وابنائهم الشهداء . لذا تفرد لها ترجمة خاصة بها ، و فاطمة (عليها السلام) هي مصدر من مصادر القوة التاريخية^(١) .

ولادة الزهراء و نشأتها:

يرجح العقاد انها ولدت (عليها السلام) قبل البعثة المحمدية وذلك باتفاق روايات متعددة ، دون ان يحدد العقاد اي من تلك الروايات ، او يحدد تاريخ معين للولادة^(٢) . وبذلك يكون اعتمد على روايات علماء أهل السنة الذين يقولون بولادتها قبل البعثة النبوية وهذا ما اخرجة الدولابي بقوله أن خديجه (عليها السلام) ولدت لرسول الله ولده كلهم قبل ان ينزل الوحي بما فيهم فاطمة^(٣) ، و اكده سبط ابن الجوزي بمقولته: " ولدتها خديجة وقريش تبني البيت الحرام قبل النبوة بخمس سنين"^(٤) ، ويؤكد صاحب كتاب الدر النظيم ذلك بقوله : " العامة تروي ان مولدها قبل البعثة بخمس سنين "^(٥) .

^١ - العقاد ، عباس محمود ، فاطمة الزهراء والفاطيون ، مكتبة أبو سينا ، القاهرة ، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧ م ، ص ٥ .

^٢ العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٧ .

^٣ - محمد ابن احمد الدولابي(٣١٠ هـ / ٩٢٢م) ، الذرية الطاهرة النبوية ، تح: سعد المبارك الحسن ، (د.ط) ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٦٧ .

^٤ - تذكرة الخواص ، ص ٣٠٦ .

^٥ - جمال الدين الشامي ، ص ٤٥٢ .

اما علماء الشيعة فيقول بولادتها بعد البعثة النبوية ، فنجد الطوسي يناقض العقاد ورواياته التي اعتمد عليها ويقول : " ولدت فاطمة في جمادي الاخرة يوم العشرين منه سنة اثنتين من المبعث ، وفي روايات اخرى سنة خمس من المبعث " (١) ، وينقل عباس القمي عن الطوسي ذلك (٢) ، وكذلك صاحب كتاب كشف الغمة يروي عن الامام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليها السلام) بولادتها بعد البعثة النبوية (٣). كما و يروي عباس القمي " ان فاطمة الزهراء عليها السلام ولدت من خديجة في السنة الخامسة بعد البعثة " (٤) ، كما و ان الطوسي يعود ليؤكد ان السنة تروي ان مولد السيدة قبل البعثة بخمس سنين (٥) ، وكلام الطوسي هذا يؤكد لنا اعتماد العقاد على الروايات السنية في مولد السيدة فاطمة (عليها السلام) من دون الشيعة .

اما نشأتها (عليها السلام) ، فقد درجت في دار ابوها و هذا الدار كانت متهياً لأمر جلال اجتمعت بوادره بين هذه الدار وغار حراء ، فكان امر الدعوة يختلج في صدر أبا الزهراء (ص) ، فكان هناك من الصلوات والتسبيح والقنوت بين الابوين ، فلم تستغرب الطفلة الصغيرة شيئاً من هذا (٦) .

لكن كان ملاذها في ذلك كله هو حنان الابوين ، ولقد تعلمت الزهراء في دار الابوين آيات من القرآن وبعض العادات والتعاليم ، وتعلمت ما لم تتعلمه قريناتها في الجزيرة العربية ، ليس مستغرب أن نسمع بأن الزهراء تضمد جراح والدها بعد غزوة أحد (٧) ، حيث كانت كما ينقل ابن القيم انها كانت تغسل الجرح وعلي يسكب الماء بالمجن (٨) .

١ - ابي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) ، مصباح المتهدج ، صححه: حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٥٥١ .

٢ - بيت الاحزان ، مطبعة السرور ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، ص ٢٣ .

٣ - الاربلي ، ١٤٣ / ٢ .

٤ - منتهى الامال في تواريخ النبي و الال ، ط ٣ ، دار المصطفى العالمية ، بيروت ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ، ١ / ١٨٥ .

٥ - مصباح المتهدج ، ص ٥٥١ .

٦ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٣ .

٧ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٤ .

٨ - زاد المعاد ، ٣ / ص ١٨٠ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٣ / ٥٦ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ١٢ / ٢٠١ .

نشأت الزهراء نشأة جدِّ و اعتكاف ، و نشأت اكتفاء ووقار ، و علمت أنها سائلة شرف لا تنازعها في ذلك واحدة من بنات حواء فأنها نشأت في مهد الايمان بين قوة نفسها و نحول جثمانها (١) .

ام الزهراء (السيدة خديجة الكبرى عليها السلام):

يقول العقاد لقد حفظ لنا التاريخ قليلا من أخبار السيدة الكبيرة خديجة (عليه السلام) ، و عن طريق هذه الأخبار القليلة التي حفظت لنا ، علمنا أنَّ الزهراء (عليه السلام) انجبتها أم ذات راحة و فطنة ، كما وكانت غنية اليد و ايضا غنية النفس بأكرم العواطف الانثوية عاطفة الإيمان و عاطفة المحبة الزوجية و الأمومة . كانت في الجاهلية تسمى بسيدة نساء قريش و الطاهرة (٢) ، و ذلك لكونها جمعت الى جانب النسب العريق الثروة الوافرة و الخلائق الموقرة . و نجد أن التاريخ لم يحفظ عن اهلها الا كان علما في الدراية و الحكمة و الشمم و الشجاعة ، من أمثال ورقة بن نوفل و أسرة الزبير بن العوام (٣) .

ولدت السيدة خديجة لابوين من أعرق الاسر بالجزيرة العربية ، و ينتهي نسبهم الى لؤي بن غالب بن فهر (٤) .

فوالدها خويلد هو الذي نازع تبع ملك اليمن عندما أراد أن يحمل معه الركن الاسود الى اليمن فينقل العقاد عن السهلي : " أن تبعا روع في منامه ترويعاً شديداً حتى ترك ذلك و أنصرف عنه " . فيعلل العقاد ذلك بانه لا يبعد أن روعه خويلد و هو يحذر العاهل بالغضب الالهي عندما يقدم على فعلته فشغل قلب تبع فتراءى له بعض المخلوقات في نومه فأرهبه ذلك وثنى من عزمه (٥) .

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٥ ؛ الموصلبي ، شرف الدين أبي محمد عمر بن شجاع الدين (ت ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م) ، مناقب آل محمد النعيم المقيم لعنزة البأ العظيم ، تح: علي عاشور ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ٢٩ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٧ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ١ / ٣ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٥ / ٤٣٤ .

٣ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٧ .

٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٧-٨ ؛ الروض الانف ، ١ / ٣٢١ .

٥ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٧-٨ ؛ السيلوي ، غالب ، الانوار الساطعة من الغراء الطاهرة ، ط ٢ ، ثامن ثامن الحجج ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ٧-٨ .

اما والدة السيدة خديجة تنسب من ناحية امها الى هذا النسب المعروف بالنبل و السيادة أيضا ، وهي فاطمة بنت هالة ^(١) تنتهي الى لؤي ابن غالب ^(٢) .

فضلا عن هذا الحسب المشرف ، كانت من اثرى بيوتات مكة المكرمة ، اذ تعادل قافلته التجارية الى الشام قوافل قريش مجتمعة ^(٣) ، و الأهم من ذلك كله لكونها زوجة نبي و جدة الائمة فكانت على قدر كبير من التدين الذي اكتسبته بالوراثة والتربية ^(٤) ، ومما يؤكد لنا على هذا التدين هو كلامها للنبي (ص) بعد نزول الوحي حيث قالت له لما امننت بالوحي وتيقنت بأنه وحي ولم يكن عارض من اجن : " كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، أنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الامانة " ^(٥) .

ويقول العقاد صدق من قال بان السعادة لا تتم ، فلم تكتب السعادة لسيدة خديجة في حياتها الزوجية فقد تزوجت في شبابها برجل من كبار رجال مكة وهو ابو هالة بن زرارة ^(٦) .

فمات وقد رزقت منه ولد كان اسمه هند ، يعلل العقاد سبب تسميته باسم هند قد يكون دفعا للحسد وكان قد تربى مع السيدة فاطمة ، وشارك الامام علي (عليه السلام) في وقعة الجمل وقتل الى جانبه . ويصفه الشامي بأنه كان فصيحاً وبلغياً ، وصف رسول الله (ص) فأتقن الوصف ^(٧) .

ثم تزوجت بعد ذلك من عتيق بن عائد بن عبد الله المخزومي ^(٨) ، ولكن هذا الزواج لم يكتب يكتب له الاستمرار ، لكن وجدنا بعض المصادر تقول بان السيدة ان خديجة (ع) تزوجت

^١ - فاطمة بنت هاله : وهي فاطمة بنت زائدة بن الاصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . ينظر : ابن هشام ، السيرة ، ١ / ١٨٨ ؛ السهلي ، الروض الانف ، ١ / ٣٢١ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ١١ / ١٥٥ .

^٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٨ ؛ السيلوي ، الانوار الساطعة ، ص ٩ .

^٣ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ١ / ٧٠ .

^٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٨ .

^٥ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٩ ؛ ابن جماعة ، المختصر الكبير ، ص ١٥ ؛ المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص ٥١ ؛ الخضري ، نور اليقين ، ص ٢٣ .

^٦ - ابو هالة بن زرارة : وهو مالك بن النباش بن زرارة التميمي الاسدي حليف بني عبد الدار بن قصي ، فولدت له ولد وبنت . ينظر : ابن اسحاق ، السيرة ، ص ٢٢٨ ؛ ابن كثير ، السيرة ، ٤ / ٥٨٢ .

^٧ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٠ ؛ سبل الهدى ، ١١ / ١٥٩ .

^٨ - عتيق بن عائد بن عبد الله المخزومي : وهو زوج السيدة خديجة بنت خويلد قبل زواجها من النبي (ص) ، و انجبت لعتيق بنت البعض بسميها ام محمد والبعض بسميها هند ، وربما يكون اسمها هند وتكنى بام محمد ، وبعد وفاة عتيق تزوجت السيدة خديجة من ابو هالة . ينظر : ابن اسحاق ، السيرة النبوية ، ص ٨٧ ؛ ابن كثير ، السيرة ، ٤ / ٥٨٢ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ١١ / ١٥٥ .

عتيق بن عائد قبل أبو هالة بن زرارة وهذا ما وجدناه عند ابن اسحاق و السهلي و ابن كثير والشامي^(١)، لكن العقاد يقول العكس بأن أبو هاله قبل عتيق . وهناك بعض المصادر تتفق مع العقاد منها صاحب كتاب المنتخب من كتاب ازواج النبي وكذلك ينقل صاحب كتاب السيرة النبوية عن ابن سعد قوله بأن ابو هالة قبل عتيق^(٢) .

فعرزت بعد ذلك عن الزواج حتى لقائها بالرسول (ص) و قد سمعت عن اخباره و امانته و خلقه الرفيع و تأكدت من ذلك عند مزاولته التجارة معها ، مما دفعها الى حسب بعض الروايات الى طلب الزواج منه فوافق النبي (ص) ، وتم ذلك الزواج الذي جعلها من اعلام النساء في التاريخ ، و توج زواجهم بأنجابهم السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام).

اما عن كيفية وصول النبي (ص) للعمل في تجارتها فالروايات تكاد تتفق على أن ذلك كان بمشورة عمه أبي طالب ، حيث قال له : " يا ابن أخي أنا رجل لامال لي وقد أشد الزمان وهذه غير قومك قد حضر خروجها الى الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في غيرها ، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لاسرعت اليك " ، فذهب ابو طالب اليها لطلب ذلك منها ، فوافقت له فسافر النبي البلاد الشام بتجارتها و ربح أضعاف ماتربح كل عام ، وأن الذي أعجبها به (ص) انه عندما عاد طلب من غلامها ميسرة أن يسبقه ليبرها برجوع القافلة و غزارة كسبها ، فأعجبها أمانته و مروءته ، فأحبهته فودت لو يخطبها ، فعرضت له ذلك بكلام أقرب الى التلميح منه الى التصريح^(٣) .

ومن كلام العقاد نستطيع ان نبين بأن هناك روايتين في كيفية زواج النبي من السيدة خديجة (عليها السلام) :

الرواية الاولى : وكما ينقلها العقاد هي بأن السيدة خديجة أوعزت الى صديقتها وهي نفيسة بنت منبه بأن تعمل على تشجيع النبي لخطبتها ، فسألته نفيسة : " ما يمنعك أن تنزوج " قال : " قلة

١ - السيرة ، ص ٢٢٨ ؛ الروض الانف ، ١ / ٣٢٥ ؛ السيرة ، ٤ / ٥٨٢ ؛ سبل الهدى ، ١١ / ١٥٥ .
٢ - الزبير ، ص ٣٥ ؛ حمد ، مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، الرياض ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٣٤ .
٣ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٠ ؛ الاندلسي ، الاكتفاء ، ١ / ١١٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ١ / ٦١-٦٢-٦٣ ؛ الخازن ، علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي المتصوف (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠م) ، الروض والحدائق في تهذيب سيرة خير الخلائق ، تح: حسن خليل ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ١ / ١٨٨-١٨٩-١٩٠ .

المال " ، قالت : " فأن كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة " ، قال : " ومن تكون " ، قالت : " خديجة " قال : " فاذهبي فاخطبيها " (١) .

الرواية الثانية : رواها العقاد عن الزهري أن " رسول الله (ص) قال لشريكه يتجر معه في مال خديجة : هلم فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما وتحفهما ، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مستنثثة هي الكاهنة ، فقالت له : جئت خاطباً يا محمد ؟ ، قال : كلا ، قالت : ولم ؟ فو الله ما في قريش امرأة وان كانت خديجة الا تراك كفوا لها " (٢) .

فعمل الرسول (ص) على أخبار عمه أبي طالب بالامر ، فقام بخطبتها ، وقال وهو يفتح عمها في الامر : " ان محمدا ممن لا يوازن به فتى من قريش الا رجح به شرفاً ونبلأ و فضلاً و عقلاً ، و أن كان في المال قل فأنما المال ظل زائل ، و عارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة و لها فيه مثل ذلك " فقال عمها عمرو ، وفي رواية اخرها ابن عمها ورقة بن نوفل : " هو الفحل الذي لا يقدح أنفه " (٣) .

فكانت السيد خديجة أول امرأة تزوجها النبي (ص) ولم يتزوج غيرها في حياتها ، وكان النبي (ص) عند زواجه من السيدة خديجة في الخامس والعشرين ، اما هي فبعض كتاب السيرة يقولون انها في الاربعين او الخامسة والاربعين من عمرها (٤) .

لكن شذ عن هؤلاء ابن عباس فيقول : " انها كانت في الثامنة والعشرين من عمرها ولم تتجاوزها " ، فنرى العقاد هنا يميل الى الاخذ برواية ابن عباس ويقول أنها أقرب الى الصحة ، وذلك لكون ابن عباس أولى الناس بعلم حقيقة عمرها ، اضافة الى ان المرأة في الجزيرة العربية لا تتصدى للزواج بعد الاربعين وتلد بعدها سبعة أولاد . ان مثل السيدة خديجة تتزوج في السن الخامسة عشرة أو قبلها وذلك لجمالها ونسبها ومالها ، فلا تتجاوز الى الخامسة والعشرين ، بعد زواجين لم يكتب لهما الدوام ، ونحن لانعرف كم دام زواجها استمر زواجها

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٣٢/١ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ١ / ٦٣ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٠ ؛ الدولابي ، الذرية الطاهرة النبوية ، ص ٤٩ ؛ السهلي ، الروض الانف ، ١ / ٣٢١ .

٣ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١١ ؛ الزبيري ، منتخب من كتاب ازواج النبي ، ص ٢٥ ؛ الفاسي ، ابي مدين بن احمد بن محمد (ت ١١٣٢ هـ / ١٧١٩ م) ، مستعذب الاخبار باطيب الاخبار ، تح: احمد عبدالله باجور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ .

٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١١ ؛ ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ٣١ ؛ ابن القيم ، زاد المعاد ، ١ / ١٠٢ ؛ عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول ، ص ٨٤ ؛ ابن الملقن ، ابو حفص عمر بن علي الانصاري (ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م) ، غاية السؤل في خصائص الرسول ، تح: عبدالله بحر الدين عبدالله ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ٥٤ .

من ابي هالة وعتيق بن عائد ، ومن خلال ذريتها نعلم أن زواجها منهم لم يدم الا بضع سنين . ثم بعد ذلك طرأت على هذه الاصرة القدسية بين الزوجين طارئ لم يكن في الحسبان ، وهو طارئ الوحي والرسالة ، فوجد النبي (ص) في ذلك الظرف الى جنبه امرأة ذات قلبا كريما وروحاً عظيمة تهده وتطمئن فؤاده . وان كل مانعرفه من سيرة السيدة خديجة (عليه السلام) جعلها تستحق ان تكون سيدة نساء قریش ، فيقول العقاد : "إن هذا القليل الذي علمناه لو ذهب كله ولم يبق منه الا ايام حضانتها لبشائر النبوة في طلعتها ، لضمن لها أن تتبوأ مقام السيادة بين نساء العالمين " (١) .

زواج السيدة فاطمة (عليها السلام):

تزوجت عليها السلام على رأي بعض الاخبار وهي في الثامنة عشرة من عمرها . و أن النبي الاكرم (ص) كان يقيها لأبن عمه علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، فتنقدم الخطاب اليها ومنهم ابا بكر و عمر فردهم جميعاً ، وهو يقول : " انتظر بها القضاء " او قال : " انها صغيرة " (٢) .

فهذه كرامة كبرى تضاف لكرامات الزهراء ، فأن قول النبي أنتظر بها القضاء لم يكن بالأمر الهين ، اي بمعنى أن زواج فاطمة لا يتم الا بموافقة وتقرير السماء ، وفعلا تم ذلك بنزول جبرئيل .

ويروي صاحب كتاب الثاقب في المناقب رواية "عن الاعمش عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله (ص) : " كنت يوماً جالساً في المسجد إذ هبط علي ملك . فقال : مه يا أحمد ، فظننته جبرئيل ، قال ما أنا بجبرئيل ، لكني ملك يقال لي محمود ، بين كتفي مكتوب : لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، وفي رواية علي وليه ووصيه ، بعثني ان ازوج النور من النور ، قلت

١- العقاد ، فاطمة الزهراء، ص ١١-١٢ .

٢- العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٠ / ٢٠ ؛ النسائي ، خصائص مير المؤمنين ، ص ١٣٦ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٢ / ٥٥٨ ؛ ابن المغازلي ، ابو الحسن علي بن محمد الجلابي الواسطي المالكي ، مناقب أهل البيت ، تح: محمد كاظم المحمودي ، المجمع العالمي لتقريب بين المذاهب ، طهران ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ص ٤٢٠ ؛ الزرندي ، نظم درر السمطين ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ ؛ الهندي ، كنز العمال ، ١٢ / ١١٢ ؛ الوداعي ، مقبل بن هادي ، الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين ، مكتبة أبن تيمية ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ٤ / ٤٣ - ٤٤ .

من النور؟ قال: فاطمة من علي، ثم التفت النبي ص الى محمود وقال: منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟ قال: من قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام" (١).

كما و ينقل العقاد انه عندما تقدم ابا بكر وعمر لخطبتها (عليه السلام) والرسول يرفض، قال عمر: " انت لها يا علي، فقال علي: مالي من شيء الا درعي أرهنها". فزوجة (ص) بعد ذلك من فاطمة (عليه السلام). قيل لما بلغ الخبر فاطمة بكت، فدخل عليها رسول الله (ص) وقال لها: " مالك تبكين فو الله لقد انكحتك اكثرهم علماً و أفضلهم حلماً و اولهم اسلاماً" (٢).

فيمكننا القول لو لم يكن لعلي من فضل الا الزواج بفاطمة لكان هذا يكفي ليسود العرب والعجم، فأين الناكرين لفضل علي وهم يسمعون قول النبي هذا فيه، وكيف يصفه بأنه افضل من تقدم لخطبة فاطمة علماً وحلماً و اسلاماً، فرفضهم جميعاً و أذخر فاطمة له.

ينقل العقاد رواية أخرى وهي: بأن النبي (ص) سأل علياً: " هل عندك من شيء"، قال: " كلا"، فقال له: " و اين درعك الحطيمة" التي كانت تحطم السيوف، وقد أهداها له النبي (ص)، فباعها الامام علي كما باع أشياء أخرى، فأصبح لديه أربعمئة درهم (٣)، كما وذكر ابن الاثير بأن درع علي هذه كانت تسمى أيضاً ب"العريضة الثقيلة"، وقيل هي منسوبة الى بطن من عبد القيس يقال لهم: حطمة بن محارب، كانوا يعملون الدروع" (٤).

كما يروي البلاذري: " فباع بغيراً له و متاعاً فبلغ من ذلك أربعمئة وثمانين درهماً، ويقال أربعمئة درهم، فأمره أن يجعل ثلثها في الطيب، وثلثها في المتاع ففعل". ثم ينقل البلاذري رواية أخرى، سندها عن علي (عليه السلام) نفسه يقول: " اردت ان اخطب الى رسول الله (ص) ابنته فقلت: والله مالي شيء، ثم ذكرت صلته وعائدته فخطبها اليه فقال

١- ابن حمزة الطوسي، عماد الدين ابي جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بابن حمزة، تح: نبيل رضا علوان، شبكة رافد للتنمية الثقافية، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

٢- العقاد، فاطمة الزهراء، ص ١٨؛ الدولابي، الذرية الطاهرة، ص ٩٣؛ ابن الاثير، اسد الغاية، ٦ / ٢٢١؛ اباطة، نزار، في بيت رسول الله، ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٦ م، ص ١٣٥؛ كريم، سامح، موسوعة اعلام المجددين في الاسلام، مكتبة الدار العربية، القاهرة، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م، ص ٦٤ - ٦٥.

٣- العقاد، فاطمة الزهراء، ص ١٨؛ ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)، جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، تح: عبد المعطي امين فلنجي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م، ١٩ / ٥٢.

٤- مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)، النهاية في غريب الحديث و الاثر، تح: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الاثري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، ص ٢١٥.

وهل عندك من شيء" قلت : لا ، قال : فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا ؟ فقلت : هي عندي قال : فأعطاها إياها " (١) .

أما جهاز فاطمة (عليها السلام) فكان " سرير مشروط و وسادة من أدم حشوها ليف و نورة من أدم إناء يغسل فيه وسقاء ومنخل ومنشفة وقدح و رحاءان و جرتان " (٢) .

هكذا جهزت بنت خاتم النبيين وخير خلق الله أجمعين ، وهي سيدة نساء العالمين الى وصي رسول رب العالمين ، فلم نسمع في التاريخ بجهاز عروس أبسط من هذا ، كان بإمكان والدها أن يجلب لها من حرير الجنة و خيرها لو أراد ، لكنه و إياهم ، اعتادوا حياة الكفاف ومشاطرة الناس فقرهم و فاقتهم ، وضربوا لنا أروع الامثلة في ان السعادة الزوجية ، لا يجلبها المال و لا يحددها فخامة جهاز العروس .

" وعن أنس بن مالك ان النبي (ص) قال له : أنطلق وأدع لي ابا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعدهم من الانصار ، قال فانطلقت فدعوتهم ، فلما أخذوا مجالسهم قال (ص) " الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع لسultanه ، المهروب اليه من عذابه ، النافذ أمره في أرضه وسمائه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، ونيرهم بأحكامه ، و أعزهم بدينه ، و أكرمهم بنبيه محمد (ص) ، أن الله عز وجل جعل المصاهرة نسباً لاحقاً و أمراً مفترضاً و حكماً عادلاً و خيراً جامعاً ، أو شج بها الارحام والزمها الانام ، ثم أن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي ، و أشهدكم أني زوجت فاطمة من علي ، على أربعمئة مثقال فضة أن رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة ، فجمع الله شملهما و بارك لهما و أطاب نسلهما ، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة و أمن الامة ، أقول قولي هذا و أستغفر الله لي ولكم ، وكان علي غائباً في حاجة لرسول الله ص قد بعثه فيها ، ثم أمر لنا بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا ، فقال : أنتهبوا ، فبينما نحن كذلك أذ أقبل علي فتبسم اليه رسول الله ص وقال : يا علي : إن الله امرني أن أزوجك فاطمة ، و أني زوجتكما على أربعمئة مثقال فضة ، فقال علي : رضيت يا رسول الله : ثم أن علياً خر ساجداً لله ، فلما رفع رأسه قال الرسول ص : بارك الله لكما وعليكما و

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٨ ؛ احمد بن يحيى بن جابر (ت ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م) ، انساب الاشراف ، تح: سهيل زكار و رياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ٢ / ٣٠ - ٣١ ؛ الموصلي ، النعيم المقيم ، ص ٧٢ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٨ ؛ ابن سعد ، طبقات الكبرى ، ١٠ / ٢٤ ؛ ابن المغازلي ، مناقب أهل البيت ، ص ٤١٣ ؛ ابن كثير ، جامع المسانيد ، ١٩ / ٥٤ ؛ رضا ، محمد ، محمد رسول الله ، دار القلم ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ١٩٨ .

أسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب" ، فيقول انس : " والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب" (١) .

وما اجمل هذه الدعوة التي اطلقها النبي لعلي وفاطمة (عليها السلام) وقد أخرج الله منهم طيباً كثيراً وهم ذريتهم المباركة التي لاتزال تملأ الارض وتنتسب الى جدهم الاعلى النبي الاكرم ، ولم ينقطع هذا النسل المبارك كرامة لرسول الله ، و انتقاماً من الله لرسوله ممن وصفوه بـ (الابتر) ، لقد بتر الله اصلايهم ، وقطع نسلهم وذكرهم ، ولايزال ذكر محمد ونسله يملأ الارض شرقاً وغرباً .

فيقول العقاد ان كتاب السيرة لم يحددوا الوقت الذي تم فيه الزواج ، وقالوا انه جرى بعد الهجرة ، وبعد غزوة بدر ، وكانت في الثامنة عشرة من عمرها و علي (عليه السلام) يكبرها ببضع سنين (٢) . اما المحب الطبري والبلاذري وايضا صاحب كتاب اعلام النساء ذكروا بان زواج علي من فاطمة كان في السنة الثانية للهجرة (٣) .

اما عمر فاطمة (عليها السلام) عند زواجها تذكره بعض المصادر بأنها كانت في الخامسة عشر وليس الثامنة عشر وهذا ما ذكره صاحب كتاب ذخائر العقبى "تزوجها علي رضي الله عنه وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة ونصف" وكذلك الذهبي يذكر ان زواج علي من فاطمة (عليه السلام) كان بعد وقعة بدر ولها خمس عشرة سنة ، بينما يروي المازندراني عن علي بن الحسين (عليه السلام) انه قال ان فاطمة (عليها السلام) تزوجت من علي (عليه السلام) ولها تسع سنين . (٤) .

من خلال ماتقدم نميل الى رواية المازندراني وذلك لانها عن علي بن الحسين بن ابي طالب ، فمن اعلم بعمر جدته حين زواجها غيره .

ويقول العقاد قد يخرج بين الحين والآخر من يحاول ان يشوه صورة الزهراء و تاريخها ، فيكتب أحد فينقل عن بعض المستشرقين قوله أن السيدة فاطمة (عليها السلام) : " لم

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٨-١٩ ؛ الخوارزمي ، المناقب ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ؛ الكنجي ، كفاية الطالب ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ١٩ .

٣ - ذخائر العقبى ، ص ٢٧ ؛ انساب الاشراف ، ٢ / ٢٩ ؛ كحاله ، عمر رضا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (دب) ، ٤ / ١٠٩ .

٤ - المحب الطبري ، ص ٢٦ ؛ تاريخ الاسلام ، ١ / ٣٧٢ ؛ محمد صالح (ت ١٠٨١ هـ / ١٦٧ م) ، شرح أصول الكافي ، تح: علي عاشور ، ط ٢ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ١٢ / ٥٢٢ .

تتزوج قبل الثامنة عشرة لأنها كانت محرومة من الجمال ، ولم تصدق أن أحداً يخطبها بعد تلك السن ، ثم يقول انها لما عرض عليها النبي ص الزواج من علي سكتت هنيهة ، ولكنها لم تسكن حجلاً، بل دهشة من أن يخطبها خاطب ، ثم تكلمت فشكت ، لأنها تزوج من رجل فقير " (١).

فيرد العقاد على هذا القول ، بذلك الرد المناسب الذي يفحم حجج هكذا أقوال ، فيبدأ العقاد ببيان سند الرواية ، فيقول لو كان السند الذي قد أستند عليه هذا الكاتب صحيحاً وواضحاً لأجبرنا ذلك بأن نقول أنها أمانة العلم ، ولا حيلة للكاتب أمام الامانة العلمية ، لكن السند قائم فقط على الروايات التي تقول " أن فاطمة تزوجت في الثامنة عشرة من عمرها " ، ولكن هناك بعض الروايات التي تنافيها فلا يمكن الاعتماد على هذه الروايات ، كما و أن الزهراء (عليها السلام) ولدت لأبوين جميلين و لأخوان وصفوا بالجمال ، فلا يوجد بعد ذلك دليل على عدم جمال فاطمة (عليه السلام) إضافة الى ذلك يقول العقاد ان فاطمة عندما بلغت سن الزواج كانت الدعوة الاسلامية في أوجها والمسلمين بين مقيم غير آمن وبين مهاجر ، حتى بعد استقرار الاوضاع اقتصر خطبة المسلمات على المسلمين فقط ، وهؤلاء بعضهم متزوج وبعضهم لا طاقة له بالزواج (٢).

وبعد البحث والمطالعة اكتشفنا أن ذلك المستشرق الذي لم يذكر العقاد اسمه ، هو المستشرق البلجيكي هنري لامنس ويمكننا الرد على ذلك المستشرق بما يخص جمال فاطمة (عليها السلام) بما رواه الحاكم النيسابوري عن انس بن مالك وكذلك الزرندي (٣).

كما ويقول هذا الكاتب ان فاطمة عندما أخبرها النبي بخطبتها سكتت من دهشتها لأنها لم تكن تتصور ان يخطبها احد وهي قاربت العشرين ، ثم تبكي بعد ذلك وتشتكي بسبب فقر علي ، فينسب هذا الكاتب قوله هذا الى رواية البلاذري ، فيرد عليه العقاد بالقول أنه كيف تندش فاطمة عند خطبتها ثم تبكي لفقر علي وهي لم تكن بالغنية ولا من الاغنياء . وان البلاذري في كتابه لم يرو شيئا من هذا القبيل ، كل ما رواه هو : " حدثنا عبد الله بن صالح عن شريك عن ابي إسحاق عن حبشي بن جنادة قال : لما زوج رسول الله ص فاطمة أرعدت فقال أسكتي فقد زوجتك سيداً في الدنيا و انه في الاخرة لمن الصالحين " . ربما يكون من الاسباب

١ - العقاد، فاطمة الزهراء ، ص ٢١ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت النبي ، ١ / ٤٧٩ ؛ بيومي ، محمد بيومي مهران ، السيدة فاطمة الزهراء ، ط ٢ ، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ١٢٠ .

١ - العقاد، فاطمة الزهراء، ص ٢٢ .

٢ - اكراماً للسيدة فاطمة اعرضنا عن ذكر تلك الرواية لما بها من وصف عظيم للسيدة . ينظر: الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ١٧٦ ؛ الزرندي ، درر السمطين ، ص ٢٣٨ .

التي ابقت فاطمة في بيت أبيها هو أنه (ص) كان لا يصبر على فراقها ، ويحن عليها لحزنها لفراق امها (١).

فينقل العقاد : " ان النبي (ص) كان يأتي باب علي وفاطمة وحسن وحسين كل يوم عند صلاة الصبح حتى يأخذ بعضادتي الباب ويقول : السلام عليكم أهل البيت ، ويقول : الصلاة ثلاث مرات ، انما يريد الله ليذهب الرجس عنكم اهل البيت ويطهركم تطهيراً " (٢) وكان النبي (ص) إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم يثني بفاطمة ، ثم يأتي بيوت نسائه " (٣).

انتظمت الحياة في البيت الجديد الذي كانت عيشه عيش الكفاف والتعاون بين رب البيت وزوجته ، ومالبت أن سعد البيت الصغير بالذرية الطاهرة فرزقوا من البنين والبنات نصيباً صالحاً كل من الحسن والحسين ومحسن وزينب و أم كلثوم (٤).

وعندما ولد الحسن سماه ابوه حرباً فقدم رسول الله (ص) قال : " اروني ابني ما سميتموه ؟ قالوا : حرب ، قال : بل هو حسن " ، وتكرر ذلك عند مولد الحسين ، ومولد المحسن الذي مات صغيراً (٥).

العقاد ليس الوحيد الذي ينقل هذه الرواية و إنما تناقلتها أغلب كتب التاريخ ، لكننا نضع بعض الاستفهامات لهذه الرواية ، ما كان رجل بخلق علي أولاً ، وقربه من النبي وطاعته له ثانياً ، أن يسبق النبي بتسمية أبنه البكر ؟ الامر الاخر أن أسم حرب لم يكن محبب لدى آل النبي فلما الاصرار من علي على ذلك ؟ أما بخصوص المحسن وأن علياً قد سماه حرباً والنبي سماه محسناً ، فإن المحسن قد أسقط بعد وفاة النبي (ص) ، ولم يكن قد ولد في حياة النبي .

وقد دلت النبي (ص) ابناء فاطمة وشوهد اقدمهم يعلو صدر النبي باقدامه الصغيرة والنبي (ص) يرقصه ويستأنس به ويداعبه بكلمات :

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٢ - ٢٣ .

٢ - سورة الاحزاب : اية (٣٣) .

٣ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٥ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ١٧٢ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ١٤٩ - ١٦٠ ؛ المقرئزي ، فضل آل البيت ، ص ٢٢ ؛ المقرئزي ، فضل آل البيت ، ص ٢٢ .

٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٦ ؛ ابن البطريق ، شمس الدين يحيى بن الحسن بن الحسين الاسدي الحلبي (ت ١٢٠٣ هـ / ١٢٠٣ م) ، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب امام الابرار ، تح: سعيد عرفانيان ، مكتبة العلامة المجلسي ، قم ، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٤ م ، ١ / ١٣٣ ؛ رضا ، محمد رسول الله ، ص ٢٠٠ .

٥ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٦ ؛ الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ص ٩٢ - ٩٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٤ / ١١٨ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣٢٢ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ٢ / ٣٢ .

حزقة حزقة تـرق عـين بـقـه^(١).

كما شوهد النبي (ص) ساجداً و أحدهم راكبا على كتفيه ، فيطيل صلاته ويتأني بها
ويطيل السجدة حتى لا يزحزحه من مركبه ، فيقول له عمر بن الخطاب لذلك الطفل السعيد :
" نعم المطية مطيتك " ^(٢) .

و اذا سمع احدهم يبكي صاح فاطمة قائلاً لها : " ما بكاء هذا الطفل ألا تعلمين أن بكاءه
يؤذيني " ^(٣) .

كما وكانوا يرقصون أبناء فاطمة بقول :

و ابـابـي شـبـه النـبـي لـسـت شـبـيـهـاً بـعـلي^(٤)

فكانت حياتهم سعيدة رغم الشظف والفاقة ، حتى أن علي (عليه السلام) كان معاهداً
لنفسه بأن لا يغضب فاطمة ، فلم يغضبها طيلة حياتها ، حتى في أمر الخلافة ، التي هي من
أجل الامور^(٥) .

شخصية السيدة فاطمة الزهراء:

يبدأ العقاد حديثه عن شخصية فاطمة بالقول أن فاطمة : " اخذت مكانها الرفيع بين
أعلام النساء في التاريخ لأنها بنت نبي ، وزوجة إمام ، و ام شهداء " ^(١) . ونحن نقول أن

- ١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٦ ؛ ابن المغازلي ، مناقب أهل البيت ، ص ٤٣٤ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ١١٦ / ٧ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٢ / ٢٨٦ ؛ الصنعاني ، محمد بن أسماعيل الامير (ت ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م) ، التنوير شرح الجامع الصغير ، تح: محمد اسحاق محمد ابراهيم ، مكتبة دار السلام ، الرياض ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ، ٣٤٧ / ٥ .
- ٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٦ .
- ٣ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٧ ؛ المحب الطبري ، ذخائر العقبى ، ص ١٤٣ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ٧٣ / ١١ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٨٧ / ٢ .
- ٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٧ ؛ البزار ، ابي بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق العنكي (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) ، البحر الزخار بمسند البزار ، تح: محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٢٢ ؛ سبط ابن العجمي ، ابي ذر موفق الدين أحمد بن ابراهيم (ت ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م) ، الناظر الصحيح على الجامع الصحيح ، تح: حامد عبد الله المحلاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م ، ٣١٨ / ٢ ؛ السيوطي ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) ، عقود الزبرجد ، تح: سلمان القضاة ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ٢٧٤ / ٢ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٣ / ٢٨٦ .
- ٥ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٧ - ٢٨ .

فاطمة (عليها السلام) لم تكن تعتمد على نسبها و زواجها من علي (عليه السلام) فقط لتكوين شخصيتها ، فكان لها عليها السلام من المقومات الذاتية لتكوين شخصيتها المثالية التي انفردت بها عن نساء عصرها ، و ورثت أبنائها ذلك الاثر الجميل .

ومع ذلك كانت (عليه السلام) شديدة الاعتزاز بالأنتمان الى أبيها ، وكانت أيضا على قدر كبير من التدين ، وكانت ذات ارادة قوية لاتهمل شأن من شؤونها ، وكانت تسر بشبه أبنائها من أبيها، فتفرح عندما يقال لهم أن اسباط النبي أشبه بنبي الله . وأنها ورثت التدين من خاتم النبيين أبيها و أمها خديجة (عليه السلام) ، اذ عرف عنها أنها شديدة التحرج في ما تعتقده من أوامر الدين . حتى ظنت بأن تناول الطعام المطبوع يتطلب الوضوء ، وهذه الرواية نقلاً عن الحسن بن الحسن عن فاطمة ، حيث قالت : " دخل علي رسول الله ص فأكل عرقاً ، فجاء بلال بالاذان ، فقام ليصلي ، فأخذت بثوبه فقلت يا أبة ألا تتوضأ ؟ فقال : مما أتوضأ يابنية ؟ فقلت : مما مست النار ، فقال لي : او ليس أطيب طعامكم مامست النار ؟ " (٢).

وهنا لنا وقفة عند هذه الرواية ، لنطرح التساؤل الاتي : هل من المعقول ان سيدة فاطمة (عليها السلام) بهذا الكم العلمي ، تلميذة رسول الله ، لاتعلم ابسط هذه الامور ، فبسطاء الناس لهم معرفة بهذه الامور ، فكيف يعقل سلالة النبوة و ام ابیها ليس لها معرفة بذلك ، لذا يمكن ان نقول ان في هذه الرواية مبالغة واضحة ، ان ما تبينه هذه الرواية من شدة تحرج السيدة الدينية لكنها على حساب علميتها .

ويقول العقاد واصفاً الزهراء (عليها السلام) بأنها : " كانت لا تتكلم حتى تسأل ، و انها لا تعجل الى الحديث فيما تعلم فضلاً عما لاتعلم ، ولهذا انحصرت أحاديثها عن بيها فيما كانت تسمعه منه بين البيت والمسجد ، ولم تزد عليه " (٣).

نقول أنّ العقاد لم يبالغ حين قال كانت قليلة الكلام ، كان عليها السلام أن نطقت فتنطق عن حكمة ، و ان سكتت سكتت عن حكمة . اما نقلها لأحاديث أبيها فجميع ما روته عن والدها تقول قال أبي ، أو سمعت أبي رسول الله يقول ، فلم نجدها تذكر قال فلان عن فلان عن ابي

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٧ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٩ ؛ الدولابي ، الذرية الطاهرة النبوية ، ص ١٣٩ ؛ ابن حجر ، ابي الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ، اتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة ، تح: حامد عبد الله المحلاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ، ص ١٥ / ١٢٢ ؛ الفلقشندي الشافعي ، محمد بن عبدالله الاكراوي (ت ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م) ، اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل ، تح: محمد كاظم الموسوي ، المجمع العالمي لتقريب بين المذاهب ، طهران ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ص ١٢٢ .

٣ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٥٠ .

رسول الله ، ولما تنقل عن أشخاص نقلوا عن رسول الله ، وكان مأوى رسول الله و ارتياحه في بيتها

ويقول سبط ابن الجوزي بانها (عليه السلام) روت عن رسول الله (ص) ثمانية عشر حديثاً ، ويقال ثمانين حديثاً ، وهذا قليل بالنسبة اليها (١) .

ثم ينتقل العقاد الى جانب مهم التي جسدت فيه الزهراء شخصيتها الصامدة وهي مطالبتها بحقها بالامامة أو الخلافة ولم تتنازل عن حقها ، وسار ابنائها من بعدها على هذا النهج للمطالبة بحقهم بها كمطالبة أهم الزهراء ، فلا يوجد في التاريخ أثبت من أبناء علي وفاطمة للمطالبة بحقهم ، حيث حاربوا زمنا طويلاً ، وتولاها من هو دونهم بالفضل كيزيد بن معاوية فحاربوه وصدوا مئة ومائتين سنة ثم ثلثمائة ، حتى خضعت لهم الخلافة ، باسم الدولة الفاطمية ، وكان لهم من الخصال التي تساعدهم على هذا الطلب فصبروا على تعسف وعتت بني أمية وبني العباس من بعدهم ، والذين جدوا كل الجد للتكثير بأبناء علي و فاطمة في كافة بقاع الارض ، وصنعوا كل ما من شأنه أن يعمل على استأصالهم او دفعهم للاستسلام (٢) .

يتبين لنا من كلام العقاد عدة مور يمكن أن نلخصها منها :

أولاً : ان العقاد هنا يناقض نفسه في كتابه السابق عبقرية الامام علي ينكر خلافة علي و وصية الرسول له بالخلافة وكذلك امامته عندما قال ان كل من ابي بكر وعمر وعثمان امام ايضاً، رغم انه سمي كتابه بـ (عبقرية الامام علي) ولم يسميه (عبقرية علي) كما سمي عبقرية الصديق او عبقرية عمر ولم يسميهم بـ (عبقرية الامام ابا بكر او عبقرية الامام عمر)، فأن كانوا ائمة فلماذا لم يطلق عليهم لقب امام، وهنا يقول بأن علي و فاطمة و أبنائهم هم أحق الناس بالخلافة والامامة ، و أنهم صبروا على المطالبة بحقهم حتى حصلوا عليه في عهد الفاطميين ، فمن اين اتى هذا الحق الذي انكره العقاد في كتابه عبقرية الامام علي .

ثانياً : وهنا اعتراف من العقاد بالظلم والتكثير الكبير الذي عاشه اولاد علي وفاطمة في جميع أصقاع الارض من قبل الامويين والعباسيين من بعدهم لا ذنب لهم الا لكونهم اولاد علي وفاطمة ، وشعور السلطات الحاكمة بخطرهم على مناصبهم ، فلم يسلم منهم الثائر أو القاعد ، وتعددت وسائل التعذيب والمطاردة فقتل من قتل وسبي من سبي و امتلئت بهم السجون و لم

١ - تذكرة الخواص ، ص ٣١٠ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٧ - ٤٨ .

يسلم الصغير منهم ولا الكبير ، وحتى أتباعهم و محبيهم كانوا متهمين بنظر السلطة لا لجرم فقط لولائهم لأبناء علي وفاطمة ، فالقريب منهم متهم .

ومن قوة إرادة الزهراء (عليها السلام) وانها لا تهمل حق من حقوقها هي مطالبتها بالخلافة ، حتى بات الناس يعتقدون بأن هذه القضية هي قضية أزهراء ، حتى أن علي كما تنقل الاخبار لم يبايع ابا بكر الا بعد وفاتها ، فكان من أخلاق الزهراء (عليها السلام) وشخصيتها مدد صالح للثبات للمطالبة بالحق الذي يعتقد به صاحبه (١) .

موقف السيدة الزهراء (عليها السلام) من خلافة ابي بكر:

كانت حياة السيدة فاطمة (عليها السلام) حياة عادية مشابهة لطبيعة حياة النساء في ذلك الزمان حيث انها عاكفة على رعاية شؤون بيتها ، وتربية أبنائها ، وخدمة البيت التي لا يساعدها فيها غير زوجها، لكن بعد وفاة النبي (ص) قامت حوادث فجأة من غير توقع فغيرت حياتها العامة أو السياسية ، حيث ظهر الخلاف على ميراث ابيها ، ذلك الميراث القليل الذي اعقبه ، و ايضا ظهرت مسألة الخلافة من المسائل التي كثر فيها الجدل ، وظهر هذا الخلاف في يوم وفاة النبي (ص) ، وكان الخطر الاكبر في هذا اليوم قد ظهر في فتنة السقيفة ، سقيفة بني ساعدة حين اجتمعت قبائل الخزرج التي كانت بزعامه (٢) ، سعد بن عباد (٣) شيخها يطالبون بالإمارة ، وفيما بعد نصحهم عويم بن ساعدة (٤) باختيار أبي بكر لتولي الخلافة ، فأعرضوا عنه .

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١٣ / ٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١ / ٣٦١ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ١ / ١٠٧ ؛ الكوراني ، علي الكوراني العملي ، جواهر التاريخ ، قم ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ١ / ١٠٣ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٥ .

٣ - سعد بن عباد : بن دليم بن أبي حليلة ويقال ابن أبي حزيمة بن ثعلبة ابن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي يكنى أبا ثابت وقد قيل أبو قيس والأول أصح وكان نقيباً شهد العقبة ، كان سيداً في الأنصار مقدماً وجيهاً له رئاسة وسيادة يعترف بها قومه له وزارهم النبي في بيتهم ودعى لهم قائلاً اللهم أجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عباد . ينظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ١٧٨ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٣ / ٢٧٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٤٤ / ٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ١ / ٤٣٠ .

٤ - عويم بن ساعدة : بن عائش بن قيسم بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف يكنى أبا عبد الرحمن وهو أحد زعماء الانصار وكان قد شهد العقبتين وقيل أن الرسول (ص) أبا بينه وبين عمر وقيل بينه وبين حاطب بن ابي بلتعنه، توفي في خلافة عمر ويبلغ من العمر خمس أو ست وستين سنة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣ / ٤٦٠ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ٣٨٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١ / ٥٠٣ .

ثم قرروا أن يقسموا الخلافة شطرين أمير من المهاجرين و أمير من الانصار (١) ، و ان سعد بن عبادة مع جلالة شأنه رفض مبايعة أبي بكر (٢) ، وذكر القمي قائلاً " ان أبا بكر قال لسعد بن عبادة : لم قعدت عن بيعتي ؟ قال سعد: قد قعد عن بيعتك من هو خير مني ومنك ، ابن عم رسول الله ص وزوج ابنته فاطمة ، وابو ولديه الحسن والحسين .ومادعوت لنفسي الا بعدما رأيتكم قد دفعتموها من اهل بيت نبيكم " (٣) ، وبعد السقيفة جاءته الرسل يدعونه للبيعة، فقال لهم : " اما والله حتى ارميكم بما في كنانتي من نبل و اخضب سنان رمحي " وطلبو منه الا يشق عصا الناس فقال : " اني ضاربكم بسيفي ماملكته يدي ، مقاتلكم بولدي و أهل بيتي ومن أطاعني من قومي . و ايم الله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس مابايعتكم حتى اعرض على ربي " (٤) .

ثم ظهر خطر اخر و هو خطر الفتنة التي ذهب يدبرها ابو سفيان بين علي و العباس وبين بني هاشم وبقية بطون قريش ، " يعد قوماً بنصرة بني أمية و نصرة قريش من ورائها ويوسوس لقوم آخرين بمثل هذا الوعد " ، وماكان يرغب بعمله هذا انصاف بني هاشم ، ولا تأييداً منه للانصار ، بل اراد الوقية بينهم ، ويخرج هو بالسيادة الاولى التي طالما كانت له على قريش أيام الجاهلية (٥) .

لكن انحسم الامر بالبيعة لابي بكر، اما علي (عليه السلام) كان في ذلك الوقت العصيب الى جانب الجثمان الشريف المسجى داخل حجرته ، فدخل ابو سفيان عليه قائلاً : " يا أبا الحسن هذا محمد قد مضى الى ربه ، وهذا تراثه لم يخرج عنكم ، فابسط يدك ابايعك " (٦) . اما عمه العباس فيقول : " يا ابن اخي ، هذا شيخ قريش قد اقبل فأمدد يدك ابايعك وبيبايعك معي ، فأنا ان ابايعناك لم يختلف عليك احد من بني عبد مناف ، و إذا بايعك عبد مناف لم يختلف عليك قريشي

١ - العقاد، فاطمة الزهراء ، ص ٣٦ ؛ الترمذي ، ابي عيسى محمد بن سورة (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) ، الشمائل المحمدية ، تح: عزت عبيد الدعاس ، دار الحديث ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ص ١٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ٤٤٣/ ٢ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٤ / ٤٨٩ ؛ الشاذلي ، عبد المجيد ، الحكومة الاسلامية رؤية تطبيقية معاصرة ، دار الكلمة ، القاهرة ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م ، ص ٢٠ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٦ ؛ المحب الطبري ، الرياض النضرة ، ١ / ١٠٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٣ / ١١ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ١ / ٣٧٥ .

٣ - القمي ، محمد بن الحسن ، العقد النضيد والدر الفريد في فضائل أمير المؤمنين و اهل بيت النبي ، تح: علي اوسط الناطقي ، دار الحديث ، قم ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ، ص ١٢٨ .

٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١ / ٣٦١ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٣ / ٣٥٧ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ١ / ٣٧٥ .

٥ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٦ .

٦ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٦ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ٢ / ٢٣٧ ؛ العقاب ، عبد الوهاب ، دور اليمن في العهد الاسلامي الاول ، مؤسسة رسلان ، دمشق ، ٢٠٠٩ م ، ص ٦٥ .

، و إذا بايعتك قريش لم يختلف عليك بعدها احد من العرب " (١) فأجابه علي (عليه السلام) : " لا والله ياعم . اني لأكره ان اباع من وراء رتاج " (٢) .

فكان جواب الامام علي (عليه السلام) احكم من شيخ الدهاة من بني هاشم ومن بني أمية . فيقول الطبري ان علي زجره وقال له : " إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت الإسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك " (٣) .

و آمن علي (عليه السلام) بحقه في الخلافة لكنه اراد ان يطلب الناس له ذلك الحق ، ولا يسبقهم هو لطلبه ، وكانت السيدة فاطمة (عليه السلام) ترى لعلي حق في الخلافة ، او انها ترى بحق قرابة النبي (ص) في الخلافة من سائر المسلمين ، كما ان البلاء الذي ابداه علي في الجهاد وكذلك علمه المشهود له به تؤهلانه للخلافة ، وكان هناك مجموعة من الصحابة ادهشهم ان يتم امر الخلافة لغير علي (عليه السلام) فأجتمعوا في بيت فاطمة (عليه السلام) (٤) وأحياناً في بيت غيرها يتشاورون في الامر أيباعون م لا ، "وممن اجتمع في دار فاطمة كما تذكر المصادر هم علي والعباس والزبير حتى بعث ابو بكر اليهم عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة ، وقال له : إن ابوا فقاتلهم ، فأقبل بقبس من نار ليضرم الدار عليهم ، فلقيته فاطمة فقالت : جئت لتحرق الدار ؟ يا ابن الخطاب ، قال : نعم ، او لتدخلو فيما دخلت الامة " (٥) ، لكن لكن لم نجد رواية تاريخية ذات سند تقول بأن احدهم شق عصا الطاعة والجماعة ، وبعد ان تم الامر لأبي بكر ، عاد ابو سفيان الى فتنته التي بيتها، فعرض البيعة على الامام علي (عليه السلام) فقال له علي (عليه السلام) : " انك تريد أمراً لسنا من أصحابه " فلما يئس ابو سفيان من علي (عليه السلام) ، ذهب الى العباس بن عبد المطلب وقال له : " امدد يدك يا ابا الفضل أبايعك فلا يختلف عليك القوم أنك أحق بميراث ابن اخيك " ، لكن العباس فعل كما فعل علي (عليه السلام) وردده ، ثم عرضت مسألة أخرى يصفها العقاد بانها : " اوشك أبو بكر أن يستقبل المسلمين من بيعتهم ، مخافة السخط من بنت رسول الله " (٦) .

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٦ - ٣٧ ؛ البيهقي ، ابراهيم بن محمد (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) ، المحاسن والمسائير ، تح: محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، مطبعة السعادة، مصر ، ١٢٢٥ هـ / ١٩٠٦ م ، ١ / ٥٣ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٧ ؛ العقاب ، دور اليمن ، ص ٦٦ .

٣ - الطبري ، تاريخ الأمم ، ١٢ ص ٢٣٧ .

٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٧ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم ، ١١٨ / ٢ ؛ هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٣٤٣ .

٥ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١٣ / ٥ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ١٠٧ / ١ .

٦ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٨ ؛ العقاب ، دور اليمن ، ص ٦٦ .

موقف السيدة فاطمة من قضية فدك:

فدك كانت قرية للنبي (ص) يقسم فيها بين اهل بيته والفقراء من المسلمين ، فلما توفي (ص) ارسلت الزهراء الى أبي بكر تطلب ميراثها فيها وكذلك ما بقى من خمس خبير ، فقال لها أبو بكر : " ان رسول الله ص كان يقول : اننا معاشر الانبياء لا نورث شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كان عليها " (١) ، فاحتجت عليه فاطمة (عليه السلام) بقولة تعالى عن نبيه زكريا : " يرثني ويرث من آل يعقوب " (٢) ، وقوله تعالى : " وورث سليمان داود " (٣) . فقال لها ابو بكر : " يا بنت رسول الله أنت عين الحجة ومنطق الرسالة لا يدلى بجوابك و لا اوقعك عن صوابك ، ولكن هذا ابو الحسن بينك هو الذي اخبرني بما تفقدت ، و انبأني بما اخذت و تركت " (٤) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ينقل ما نصه عن هذه الحادثة : " ان ابا بكر قال : يا ابنة رسول الله والله ما ورث ابوك ديناراً ولا درهماً فإنه قال : أن الانبياء لا يورثون ، فقالت : ان فدك وهبها لي رسول الله ص ، قال : فمن يشهد بذلك ؟ فجاء علي بن ابي طالب فشهد و جاءت ام ايمن فشهدت ايضا ، فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا ان رسول الله ص يقسمها ، فقال ابو بكر : صدقت يا ابنة رسول الله وصدق علي ، وصدقتم ام ايمن ، وصدق عمر ، وصدق عبد الرحمن بن عوف ، وذلك ان مالك لأبيك ، كان رسول الله ص يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله فما تصنعين بها ؟ قالت : أصنع كما يصنع أبي : قال : فلك على الله أن أصنع كما يصنع أبوك ، قالت : الله لتفعلن ؟ قال : الله لافعلن ، قالت : اللهم أشهد ، وكان أبو بكر يأخذ غلتها فيدفع اليهم منها مايكفيهم ويقسم الباقي ، وكان عمر كذلك ، ثم كان عثمان كذلك ، ثم كان علي كذلك " (٥) .

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١ / ١٥٥ ؛ الطبري ، تاريخ الامم ، ٢ / ١١٩ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ١٦٤ ؛ ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ص ٧٣ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ١٩١ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ٣ / ٣٦٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ٣ / ٢١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١ / ١٤٦٥ ؛ القحطاني ، فقه الدعوة ، ٢ / ٣٠٦ .

٢ - سورة مريم : اية (٦) .

٣ - سورة النمل : اية (١٦) .

٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٨ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ١٩٧ - ١٩٨ ؛ العقاب ، دور اليمن ، ص ٦٧ .

٥ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٨ - ٣٩ ؛ العسكري ، الاوائل ، ص ٧٩ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٦ / ٢١٦ ؛ كحالة ، اعلام النساء ، ٤ / ١١٩ ؛ شاهين ، عبد الصبور و إصلاح عبد السلام ، صحايات حول الرسول ، ط٣ ، دار النهضة ، مصر ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م ، ص ٩٧ .

وفي ذلك الخلاف قال عمر بن الخطاب لأبي بكر : " انطلق بنا الى فاطمة فانا قد اغضبناها " ، فذهبا لها فلم تأذن لهم ، ثم اتيا علي (عليه السلام) فأذنت لهم لكنها لم ترد عليهم السلام ، فتحدث أبو بكر قائلاً : " يا حبيبة رسول الله والله ان قرابة رسول الله احب الي من قرابتي ، وانك لأحب الي من عائشة ابنتي ، ومن رسول الله ؟ إلا اني سمعت رسول الله ص يقول : لا نورث ما تركناه فهو صدقة " ، قالت : " ارأيكما أن حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به ؟ " ، قالوا : " نعم " ، قالت : " نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضائي وسخطها من سخطي ؟ " قالوا : " نعم سمعناه من رسول الله " فقالت : " فأني اشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني و ما ارضيتماني ، ولئن لقيت النبي لاشكونكما اليه ، قال ابو بكر " انا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة " ، فانتحب بالبكاء حتى كادت تزهرق نفسه ، فخرج و اجتمعت الناس اليه قال لهم : يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله و تركتموني و ما انا فيه ؟ لا حاجة لي في بيعتكم فاقبلوني بيعتي " (١) .

ثم يعلق العقاد على هذه الحادثة بالقول : " ان الزهراء اجل من ان تطلب ما ليس لها بحق ، و ان الصديق أجل من ان يسلبها حقها الذي تقوم البينة عليه ، ومن اسخف ما قيل انه أنما منعها فدك مخافة ان ينفق علي من غلتها على الدعوة اليه " ، ثم يعرج العقاد بذكر ما قاله عمر بن عبد العزيز بشأن فدك ، ويقول أنها عدل ما قيل حول قضية فدك ، لان من قالها جاء بعد ثمانين سنة لانه كان بعيداً عن الشبهة والخصومة ، وقالها وفدك بيده وتنازل عنها باختياره دافعه بذلك وحي ضميره (٢) .

حيث قال : " ان فدك كانت مما افاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فسألته فاطمة أياها فقال : ماكان لك أن تسأليني و ما كان لي ان اعطيك ، فكان يضع ماياتيه منها في ابناء السبيل ، ثم ولي ابو بكر وعمر وعثمان وعلي فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ، ثم ولي معاوية فاقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٩ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، ١ / ٣٤ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٣ / ١٠٦ ؛ عباس القمي ، بيت الاحزان ، ص ٩٣ ؛ القزويني ، محمد كاظم ، فاطمة الزهراء من المهدي الى اللحد ، مكتبة بصيرتي ، قم ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ١ / ١٠٣ - ١٠٤ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٩ - ٤٠ .

فصارت لي وللوليد وسليمان حصة منها فوهبها لي ، فاستجمعتها ، وما كان لي من مال احب الي منها ، فأشهدوا انني رددتها الي ماكانت عليه " (١) .

موقف العقاد هذا في مسألة فدك يشهد على موقفه (رحمه الله) الذي ذكر في كتابه قائلاً: " بين يديه كتاب فاطمة والفاطميون للاستاذ عباس محمود العقاد وقد جنته بشوق بالغ لأرى مايكتب في موضوع الخصومة بين الخليفة والزهراء ، وانا على يقين من ان الزمان الذي يتحاشى فيه التعمق في مسائل الفكر الانساني دينياً كانت او مذهباً او تاريخياً قد مضى ، وكان لي أن اتوقع بحثاً لذيذا يتحفنا به الاستاذ ، لكن الواقع كان عكس ذلك ، فاذا كلمة الكتاب حول الموضوع قصيرة وقصيرة جداً ، هو ان الزهراء اجل من ان تطلب ماليس لها بحق ، والصديق أجل من أن يسلبها حقها ، اي أن الاستاذ شاء ان يعتبر البحث في مسألة فدك لونا من ألوان النزاع التي ليس لها قرار ولايصل الحديث فيه الى نتيجة فاصلة ليقدّم بذلك عذره عن التوفر بدراستها " و فيرد عليه الشهيد الصدر قائلاً " اريد ان اكون حراً و اذن فأني استسمح الاستاذ ان الاحظ ان تزكية الخليفة والصديقة معا امر غير ممكن " (٢) .

ونحن في دورنا نؤيد رأي الشهيد الصدر اذ ان ما طرحه العقاد لم يكن منصفاً في تحليله لهذه القضية، فهو يضع فاطمة لها الحق بالمطالبة بفدك ، ثم يعود و يجعل أبو بكر محقاً أيضاً في منع فاطمة ، ولم يخرج بنتيجة بمن هو المحق ومن هو المبطل رغم توفر الأدلة الواضحة لديه ، ولم يأخذ بنظر الاعتبار الأدلة القرآنية التي أحتجت بها فاطمة أولاً .

وكذلك أن فدك لا تدخل في ميراث النبي لأن النبي (ص) قد منحها لفاطمة في حياته ، وينقل الاربلي ما يؤكد ذلك بكلام بثلاث أسانيد منها : عن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال " أقطع رسول الله صل الله عليه واله وسلم فاطمة ليها السلام فدك " ، والآخر عن عطية العوفي و ابن بابويه مرفوعاً الى ابي سعيد الخدري قوله : " لما نزلت وات ذي

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٠ ؛ البلاذري ، ابي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ، فتوح البلدان ، تح: عبد القادر محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م ، ص ٢٧ ؛ كحاله ، أعلام ، ٤ / ١٢٠ ؛ شاهين ، صحايبات حول الرسول ، ص ٩٨ ؛ الفايز ، مقلح النمر ، آثار عمر بن عبد العزيز الادبية ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠١٠ م ، ص ١٣٥ .

٢ - الصدر ، محمد باقر الصدر ، فدك في التاريخ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٤٠ - ٤٢ .

القريبى حقه " (١) ، دعا رسول الله فاطمة عليها السلام فأعطاهما فدك " (٢) ، واخرجه الطبرسي ايضا (٣) ، وكذلك السيوطي في تفسير هذه الاية (٤) ، ونقله المتقي الهندي ايضا (٥) .

وكانت فدك تحت يد فاطمة ، ووضع اليد حجة ، ولايحق لأبي بكر طلب البيعة من فاطمة ، فالبيعة على من ادعى .

الامر الاخر لو فرضنا أن أبي بكر محق في منعه فاطمة حقها ، لماذا ينطلق مع عمر لأرضائها لانهما قد أغضباها ، ولماذا يبك حتى كادت تزهد نفسه عند رفض فاطمة مسامحته ، ويخرج ويقول للناس ماقال ، هذه الامور الواضحة لاتمر مر السحاب على اديب متطلع كالعقاد .

ولكي لانظلم العقاد نقول ربما قصد العقاد امر اخر هو أنه ذكر الحادثة بالتفصيل وترك للقارئ أن يستنتج ، دون أن يبيت هو بالامر ، قد يكون ذلك لدواعي دينية او سياسية او اجتماعية هو يخشاها ، وكان مخرجه من هذه المعضلة ان وكل الامر الى مقاله عمر بن عبد العزيز واعتبره هو القول المنصف لأنه جاء بعد ثمانين سنة وليس له مصلحة في قول ما قال ، وعمر بن عبد العزيز هو الذي اعاد فدك الى اهل البيت (عليهم السلام).

بلاغة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام):

يبدأ العقاد حديثه عن بلاغة السيدة نقلاً عن صاحب كتاب بلاغات النساء ، الامام أبي الفضل أحمد بن طاهر قوله : " لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله ص فدك ، وبلغ ذلك فاطمة لانت خمارها على رأسها و أقبلت في لمة من حفدتها تطأ ذبولها ماتحرم من مشية رسول الله ص شيئاً حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار فليطت دونها ملاءة ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء و أرتج المجلس فأمهلت حتى سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم فافتتحت الكلام بحمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، فعاد القوم في بكائهم فلما أمسكوا عادت في كلامها " فقالت : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم

١ - سورة الاسراء : اية (٢٦) .

٢ - كشف الغمة ، ٢ / ١٩٤ - ١٩٥ .

٣ - الاحتجاج ، ١ / ١١٨ .

٤ - الدر المنثور ، ٥ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .

٥ - كنز العمال ، ٣ / ٧٦٧ .

عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم " (١) ، فإن تعزوه تجدوه أبي دون نساكنم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم فبلغ النذارة صادعاً بالرسالة ، مائلاً على مدرجة المشركين ، ضارباً لثجنهم أخذ بكظمهم ، يهشم الاصنام و ينكث الهام ، حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه و أسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين وخرست شفاشق الشياطين وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع و قبسة العجلان وموطئ الاقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أدلة خاشعين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله برسوله صل الله عليه واله وسلم بعد التيا والتي ، وبعدما مني بيهم الرجال و ذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب كلما حشوا ناراً للحرب أطفأها ونجم قرن للضلال و فغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهيبها بسيفه مكوداً في ذات الله قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، و أنتم في بلهنية وادعون آمنون ، حتى إذا أختار الله لنبيه في دار أنبيائه ظهرت خلة النفاق وسمل جلاباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ حامل الآفلين وهدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم و أطلع الشيطان رأسه من مغرزة ، صارخاً بكم ، فوجدكم لدعائه مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين فاستنهضكم فوجدكم خفافاً و أحمشكم فألغكم غضاباً، فوسمتم غير أبلكم ، و أوردتموها غير ركبكم ، وهذا و العهد قريب والكلم رحيب والجرح لم يندمل ... " الى أن قالت " و أنتم الان تزعمون أن لا أرث لنا ، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله لقوم يوقنون ، ايها المسلمة المهاجرة أأبتر ارث ابي ؟ أفي الكتاب ان ترث اباك و لا ارث ابي ؟ لقد جئت شيئاً فرياً ، فدونكما مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون " (٢) .

ثم ذهبت (عليها السلام) الى قبر ابيها رسول الله (ص) وهي تقول :

قد كان بعدك انباء وهنبئة لو كنت شاهدهم لم تكثر الخطب

١ - سورة التوبة : اية (١٢٨) .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٢٩ - ٣٠ ؛ ابن ابي طاهر ، ابي الفضل احمد بن ابي طاهر (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) ، بلاغات النساء ، تح: احمد الالفي ، مطبعة مدرسة والده عباس الاول ، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ، ص ١٦ - ١٧ - ١٨ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ١ / ١٢٦ - ١٣٢ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ٢٠١ - ٢١٦ ؛ جمال الدين الشامي ، الدر النظيم ، ص ٤٦٥ - ٤٧٥ ؛ كحاله ، أعلام النساء ، ٤ / ١١٦ - ١١٨ ؛ عباس القمي ، بيت الاحزان ، ص ١٥٢ - ١٥٧ .

إنا فقدناك فقد الارض وابلها و اختل قومك فأشهدهم ولا تغب (١) .

كما ونسبت الى الزهراء (عليه السلام) أبياتاً من الشعر قالتها بعد وفاة ابيها (ص) ، و انها بعد دفن النبي (ص) اقبلت على انس بن مالك قالت له : " يا انس ، كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله التراب ؟ " (٢) ، كما و انها وقفت على قبر ابيها (ص) فأخذت قبضة من تراب قبره وضعتها على عينها باكية و انشأت تقول له :

ماذا على من شم تربة أحمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت علي مصائب لو انها صبت على الايام صرن لياليا (٣) .

كما قالت (عليها السلام) على قبره أيضا :

انا فقدناك فقد الارض وابلها و غاب مذ غبت عنا الوحي والكتب

فليت قبلك كان الموت صادقا لما نعتت وحالت دونك الكتب (٤) .

ثم يأتي هنا تعقيب العقاد على هذه الخطب والشعر فيقول : كثر الخلاف في موضوع هذه الخطب والشعر ، فيقول لماذا يكثر الخلاف عندما يقال أن السيدة فاطمة (عليها السلام) تحسن هذه البلاغة ؟ فيجيب قائلاً : لماذا لا تحسن البلاغة " ولقد نشأت تسمع كلام ابيها ابلغ البلغاء ، و انتقلت الى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيه و شائئيه ، وسمعت القرآن يرتل في الصلوات و في سائر الاوقات ، وتحدث الناس في زمانها بمشابهتها لأبيها في مشيتها و حديثها و كلامها و منهم لا يحابيها ، ولا ينطق في امرها عن الهوى (٥) ، اذن فلماذا يكثر الخلاف اذا نسبت هذه الخطب لفاطمة (عليه السلام) .

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٠؛ ابن ابي طاهر ، بلاغات النساء ، ص ١٨ ؛ ابن المطهر ، البداء والتاريخ ، ١ / ٢٧٩ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ١٢ / ٢١٦ ؛ يذكرها سبط ابن الجوزي على اختلاف بعض الكلمات ، مرآة الزمان ، ٣ / ٣٦٥ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ١ / ١٢٠ ؛ جمال الدين الشامي ، الدر النظيم ، ص ٤٧٥ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٣ / ١٠٤ ؛ عباس لقمي ، بيت الاحزان ، ص ١٤٦ ؛ محمد باقر ، فدك ، ص ٣٣ ؛ كحاله ، اعلام النساء ، ٤ / ١٢٢ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣١ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣ / ١٩٤ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ٢ / ٣٦٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٣٧٢ .

٣ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣١ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ٢ / ٣٦٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ٢ / ٤٣٤ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢ / ١٣٤ ؛ الزرندي ، نظم درر السمطين ، ص ٢٣٨ ؛ ابن الضياء ، تاريخ مكة ، ص ١٦٣ ؛ الشامي ، سبل الهدى ، ١٢ / ٣٣٧ ؛ عباس القمي ، بيت الاحزان ، ص ١٨١ .

٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٢ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣ / ١٩٤ ؛ الشامي ، سبل الهدى و ١٢ / ٢٨٩ ؛ عباس القمي ، بيت الاحزان ، ص ١٦٠ .

٥ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٢ .

ومن كلام العقاد اعلاه يتبين لنا انه مؤمن تمام الايمان بصحة نسب هذه الخطب للزهراء (عليه السلام) . لانه لايجد سبب لرفض نسبتها اليها ، فالبيئة المحيطة بفاطمة (عليه السلام) والبيت الذي نشأت به والاخر الذي انتقلت اليه بزواجها لم يكن بعيداً عن هذه البلاغة والفصاحة

اما ما يخص انتساب الشعر الى فاطمة (عليه السلام) فيقول العقاد : " ونحن الى جانب الشك الكبير فيه أقرب منه الى جانب القبول ، وليس بعيداً على غير الشاعر أو الشاعرة أن يدير في فمه أبياتاً يحكي بها حزنه و بثه ، فأن النظم هنا أقرب الى لغة العاطفة و عادة النحيب ، ولكن السيدة فاطمة كان لها من الاعتبار بآيات من القرآن في مقام الموت غنى عن نظم الابيات أو المثل بما في مقام العبرة والرتاء " (١)

ويتضح لنا من هذا الكلام يتبين لنا ان العقاد ينفي انتساب ما ذكر من الشعر لفاطمة (عليها السلام) ، لكنه لم يترك لنا الدليل الذي استند عليه لكي ينفي انتساب هذه الابيات للزهراء (عليها السلام) ، و انما اكتفى بالقول بأنه هناك اناس من غير الشعراء يحفظون بعض الابيات ويقولونها ، وبهذا تكون فاطمة (عليها السلام) قد سمعت تلك الابيات فحفظتها فقالتها في تلك المناسبات ، وايضاً أكتفى بالقول ان فاطمة تعتبر بالقرآن و آياته اكثر من اعتبارها بالشعر . لكن هذا ليس دليل قاطع لرفض انتساب الشعر للزهراء (عليها السلام) ، اذا كان العقاد اثبت بنفسه نسبة الخطب لفاطمة و أنها من أبلغ النساء بعصرها فما الضير في أن تقول الشعر أذا كانت تحسن الخطابة .

وفاة السيدة الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) :

توفيت فاطمة (عليها السلام) في زهرة الشباب ، كما يقول العقاد : " في الثلاثين او ما دون الثلاثين " (٢) ، فاختلفت الروايات في سنة وفاتها (عليها السلام) فينقل ابن الاثير انها توفيت وعمرها تسع وعشرين سنة ، اما الذهبي يذكر انها توفيت وهي بنت سبع وعشرين سنة ، و الهيثمي ينقل روايتين أحدهما عن محمد بن اسحاق قال : " توفيت فاطمة وهي بنت ثمان

١ العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٣٢ .

٢ -العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص٤٣ .

وعشرين " ، والثانية عن ابي بكر بن أبي شيبه قال : " توفيت فاطمة بنت رسول الله ص وهي بنت سبع وعشرين سنة " ، ما السيوطي فيذكر وفاتها وهي بنت اربع وعشرون سنة (١) .

اما في روايات الشيعة الامامية فان عمرها عند وفاتها يكاد يكون متفق عليه فـ الاربلي ينقل عن الامام ابي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) ان السيدة فاطمة (عليه السلام) توفيت ولها " ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً " ، و الزرندي يذكر انها توفيت ولها ثمانى عشرة سنة و خمسة و اربعون يوماً ، اما المجلسي فيذكر ان عمرها كان ثمانى عشرة سنة وشهر وعشرة أيام (٢) ، ويقول عنها انها (عليه السلام) كانت سمراء نحيلة ، مصحوب لونها بالشحوب احياناً ، توفيت بعد والدها بستة اشهر كما وعداها ، لحقت به بذلك السن الذي فيه تستقبل الحياة (٣) .

وكانت تشكو احياناً فيعودها والدها (ص) مواسياً لها بمرضها ، وقد زارها يوماً وكانت مريضة فقال لها : " كيف تجدنيك يابنية ؟ فقالت : اني لوجعة ، ثم قالت : و انه ليزيدني أني مالي طعام آكله فاستعبر عليها السلام وقال : يا بنية ، اما ترضين انك سيدة نساء العالمين " (٤) .

وزارها ذات مرة وكانت تطحن بالرحى وفوقها كساء من وبر الابل ، لما رآها بهذا الحال بكى وقال : " تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة " (٥) .

فيقول العقاد معلقاً على هذه الرواية : " ان محمد يبكي لأنه يرى احب الناس اليه و اقربهم منه جائعة مرهقة ثم لا يملك لها ما يشبعها . وهو يملك كل شيء في الجزيرة العربية .. ويسأل السائلون من زعانفة المعطلين والمتعصبين أعداء كل دين : ما برهان النبوة عند محمد ؟ الله أكبر . أن لم يكن هذا برهان النبوة فبرهان أي شيء يكون ؟ " (٦) .

١ - الكامل ، ١ / ٣٦٥ ؛ تاريخ الاسلام ، ١ / ٣٧٣ ؛ مجمع الفوائد ، ٩ / ٢٤٨ ؛ تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩ .
٢ - كشف الغمة ، ١٢ / ١٤٣ ؛ الزرندي ، نظم درر السمطين ، ص ٢٣٩ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٣ / ٨ .
٣ العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٣ ؛ الاصفهاني ، حلية الاولياء ، ٢ / ٤٣ ؛ الذهبي ، تاريخ ، ١ / ٣٧٣ ؛ ابن كثير ، السيرة ، ٣ / ٣٨٤ ؛ الهيثمي ، مجمع الفوائد ، ٩ / ٢٤٨ - ٢٤٩ ؛ رضا ، محمد رسول الله ، ص ٢٠٠ .
٤ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٣ ؛ الاصفهاني ، حلية الاولياء ، ٢ / ٤٢ ؛ الزرندي ، نظم درر السمطين ، ٢٣٧ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٣ / ٢٥ ؛ شاهين ، صحايبات حول الرسول ، ص ٩٦ .
٥ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٣ ؛ الموصلي ، مناقب ال محمد ، ص ٧٣ ؛ كحاله ، اعلام النساء ، ٤ / ١٢٥ ؛ شاهين ، صحايبات حول الرسول ، ص ٩٦ ؛ شمس الدين ، ابراهيم شمس الدين ، قصص العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ١ / ٣٩٣ .
٦ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٤ .

لا احد ينكر الفاقة التي كان يعيشها النبي (ص) و اهل بيته ، و كان بإمكانه (ص) ان يشبع بطنه بدل من ان يشد حجر المجاعة عليها ، حيث يصفه ابن حزم بأنه (ص) كان " يعصب الحجر على بطنه من الجوع" (١) ، ولكن كان اسوة لقومة في فقرهم ، فلم يرغب بأن يتميز على المتعففين منهم ، بل كان (ص) دون مستوى افقرهم ، فيصبر فاطمة ويعدها بالخير القادم في الآخرة ، وفي الوقت نفسه لم تكن فاطمة (عليه السلام) جاهلة لهذا الامر لكي تلج على أبيها وتذكره بحاجة .

اما سبب الوفاة فيقول العقاد: " لم يكن بالزهراء سقم كامن يعرف من وصفه يشبه أعراض الامراض التي تذهب بالناس في مقتبل الشباب ، وكل ما يتبين من كلام من كان حولها من آل بيتها بسبب الجهد والضعف والحزن ، وربما أجمع اليها إعياء الولادة في غير موعدها أن صح انها سقطت محسناً بعد وفاة النبي كما جاء في بعض الاخبار " (٢) .

اما كتب الشيعة الامامية تنقل سبب الوفاة الذي ادى بحياة فاطمة وهي في مقتبل العمر وهو أن قنفذ مولى عمر بن الخطاب لكزها بنعل سيفه بأمر عمر فأسقطت جنينها المحسن ومرضت من تلك الضربة مرضاً شديداً (٣) ، بينما يروي الصفدي بأن عمر هو من ضرب فاطمة ببطنها وأسقط المحسن (٤) ، وذلك بعد حادثة حرق الدار (٥) ، فحضرها الموت ، وتولت وتولت غسلها بنفسها ، وقالت لأسماء بنت عميس صاحبته ، بعد أن أغتسلت : " اثنييني بثيابي الجدد" فلبستها ، وقالت لها بعد ذلك " قد اغتسلت فلا يكشفن لي أحدا كفنا" (٦) ، اما ابن كثير فيقول : "ان من غسل فاطمة هو علي بن ابي طالب و اسماء بنت عميس و سلمى ام رافع وقيل العباس بن عبد المطلب ، و أما بخصوص ماروي بأنها أغتسلت و أوصت الا تغسل بعد وفاتها ، فضعيف لايعول عليه " (٧) .

وكانت الزهراء قيل وفاتها اوصت أسماء بأن تستر جسدها فلا يظهر منه شي ، فقالت أسماء : " أني رأيت الحيشة يعملون السرير للمرأة ويشدون النعش بقوائم السرير فعملوا لها

١ - جوامع السيرة ، ١ / ٤٢ .

٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٤ .

٣ - الطبري الامامي ، ابي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري ، دلائل الامامة ، ط ٢ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٤٦ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٣ / ٩٢ .

٤ - الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢ / ٢٢٧ .

٥ - ينظر : المسعودي ، اثبات الوصية ، ص ١٤٦ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥ / ١٣ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ١ / ١٠٧ .

٦ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٥ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣١٨ ؛ القلشندي الشافعي ، اتحاف السائل ، ص ١١١ ؛ عباس القمي ، بيت الاحزان ، ص ١٩٣ .

٧ - البداية والنهاية ، ٦ / ٣٣٣ ؛ الفصول في السيرة / ٢٤١ .

نعشها قبل وفاتها^(١)، ولما نظرت اليه ، تبسمت (عليه السلام) ولم ترى مبتسمة منذ وفاة رسول الله (ص) ^(٢) ، فكانت وفاتها كما هو مشهور ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان لسنة إحدى عشرة للهجرة^(٣) .

اما الروايات الشيعية فتروي أن تاريخ وفاتها (عليه السلام) مغاير عن الروايات بعض المؤرخين من المذاهب الاخرى ،ينقل صاحب كتاب دلائل الامامة ان فاطمة (عليه السلام) قبضت يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر جمادى الآخرة لسنة إحدى عشرة من الهجرة^(٤) .

اما جمال الدين الشامي ينقل عن الشيخ المفيد قوله أن فاطمة (عليها السلام) توفيت في اليوم الثالث من ذي الحجة لسنة إحدى عشر من الهجرة^(٥) .

ودفنت حسب وصيتها ليلاً^(٦) ، ويروي الذهبي ان فاطمة (عليها السلام) توفيت بعد الرسول بستة اشهر^(٧) .

١ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١ / ص ٤٤٦ ؛ القزويني ، فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد ، ص ٤٩٠ .
 ٢ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦ / ٣٣٤ ؛ القلقشندي الشافعي ، اتحاف السائل ، ص ١١٦ ؛ عباس القمي ، بيت الاحزان ، ص ١٨٢ .
 ٣ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١ / ٣٦٥ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣٢٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦ / ٣٣٣ .
 ٤ - الطبري الاملي ، ص ٤٦ .
 ٥ - الدر النظيم ، ص ٤٨٥ .
 ٦ - العقاد ، فاطمة الزهراء ، ص ٤٥ ؛ القلقشندي ، اتحاف السائل ، ص ١١٢ .
 ٧ - تاريخ ، ١ / ٣٧٣ ؛ ينظر : الزرندي ، نظم درر السمطين ، ص ٢٣ ؛ القلقشندي الشافعي ، اتحاف السائل ، ص ١١٥ .

المبحث الثاني

الإمام الحسن (عليه السلام) في فكر عباس محمود العقاد

يؤسفنا في البدء ان نقول بأن العقاد لم يؤلف كتاباً في سيرة الامام الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وفي الحقيقة لم نعلم السبب الحقيقي الذي دفع العقاد لذلك .

رغم كون الظروف السياسية و الاجتماعية التي مر بها الامام الحسن (عليه السلام) لا تقل شأن عن الاحداث و الظروف التي عاشها والده علي و أمه الزهراء ، و أخيه الحسين (عليه السلام) ، ربما لكون الحسن لم يقود حرباً واقعية كأبيه علي (عليه السلام) ، ولم يقوم بثورة كأخيه الحسين (عليه السلام) .

وربما يكون للعقاد سبب اخر، قد يكون رافضاً لصالح الحسن مع معاوية و تنازله عن الخلافة لصالح الاخير دفعه رفضه هذا الى عدم أفراد كتاباً مستقلاً للحسن (عليه السلام) ، لكن والده علي (عليه السلام) لجأ الى التحكيم مع معاوية و استقل بعدها معاوية بحكم الشام ، ولجأ الحسن الى التنازل لا يوجد فرق كبير بين الموقفين ، فلماذا ألف عن علي (عليه السلام) ولم يؤلف للحسن (عليه السلام) .

او قد يكون ان العقاد لم ير أن الاحداث السياسية و الاجتماعية التي عاشها الحسن (عليه السلام) كافيها لتأليف كتاب لفلتها .

و أنّ هذه مظلومية أخرى تضاف الى مظلوميات الامام الحسن (عليه السلام) ، لذلك فقد ارتأينا الرجوع الى الكتب الاربعة للعقاد التي اعتمد عليها موضوع الدراسة و هي كل من (عبقرية محمد ، و عبقرية علي ، و فاطمة الزهراء ، و أبو الشهداء الحسين بن علي) ، و استخراج منها ما ذكره العقاد من روايات تخص الامام الحسن (عليه السلام) رغم ندرتها .

كما و تطرقنا هنا الى كتاب خامس للعقاد و هو كتاب معاوية في الميزان وذلك لكون الحسن (عليه السلام) قد عاش في ذات الفترة الزمنية التي عاشها معاوية ، إضافة الى ارتباطهم ببعض الاحداث المهمة ، والخلاف الذي حصل بينهم ، لعلنا نحضا ببعض ما ذكره العقاد عن الامام الحسن (عليه السلام) .

وقبل كل شيء لابد لنا من التعريف بسيرة الامام الحسن (عليه السلام) .

اسمه :

هو الحسن بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي (١) ، وله كثير من الالقاب مها : الزكي ، كريم آل محمد ، المجتبي و هو سيد شباب الجنة (٢) ، ما كنيته فهي ابا محمد (٣) .

ولد الحسن (ﷺ) في منتصف شهر رمضان المبارك في سنة اثنتين او ثلاث للهجرة (٤) ، ولما ولد الحسن (عليه السلام) ، قال النبي (ص) لأسماء بنت عميس : " يا اسماء هاتي ابني فدفعته اليه في خرقة صفراء فرمى بها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وقال : يا اسماء الم اعهد اليكم أن لا تفلوا المولود في خرقة صفراء ، فلفته في خرقة بيضاء فدفعته اليه " فأذن النبي (ص) في اذنه اليمنى و اقام في أذنه اليسرى ، ثم بعد ذلك سأل النبي علي (عليه السلام) فقال له : ما سميت ابني ؟ قال : ماكنت لأسبقك يا رسول الله ، و اني لأرغب ان اسميه حرب ، فقال النبي (ﷺ) و اني ماكنت لأسبق باسمه ربي . فهبط جبرئيل (عليه السلام) فقال : " يا محمد العلي الاعلى يقرئك السلام و يقول : علي منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبي بعدك ، سم ابنك هذا باسم ابن هارون ، قال النبي وما اسم ابن هارون ؟ قال : شبر ، قال النبي (ﷺ) : لساني عربي فقال جبرئيل (عليه السلام) سمه الحسن (عليه السلام) فسماه " (٥) ، و في اليوم السابع عق عنه النبيكشيين امlichen ، وحلق رأسه وتصدق بوزنه ورقاً (٦) .

فيقول العقاد ان علي : " هم بتسمية ابنه حرباً لانه يرشحه للجهاد و هو أشرف صناعاته ، لولا ان رسول الله سماه الحسن ، وهو أحسن " (٧) .

١ - خليفة بن خياط ، ابي عمر خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) ، الطبقات ، تح: أكرم ضياء العمري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ص ٢٣٠ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ٢ / ٢٨٦ ؛ الصلابي ، علي محمد ، الحسن بن علي شخصيته وعصره ، مؤسسة أقرأ ، القاهرة ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، ص ١٦ .

٢ - القاضي النعمان ، شرح الاخبار ، ٣ / ٨٥ ؛ الموصللي ، مناقب آل محمد ، ص ٨٩ .

٣ - الاصبهاني ، تاريخ أصبهان ، ١ / ٦٩ ؛ الموصللي ، مناقب آل محمد ، ص ٨٩ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٢ / ٣٩٦ ؛ ابن عنبه ، عمدة الطالب ، ص ٤٨ .

٤ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ١ / ٤٦٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١ / ٣١٨ ؛ جمال الدين الشامي ، الدر النظيم ، ص ٤٨٩ ؛ عباس القمي ، الانوار البهية ، ص ٨٥ ؛ جعفر السبحاني ، الائمة الاثنى عشر ، ص ٤١ .

٥ - ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٢ / ٣٩٥ ؛ عباس القمي ، الانوار البهية ، ص ٨٥ - ٨٦ .

٦ - الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ١٠٢ .

٧ - عبقريه علي ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ الموصللي ، مناقب آل محمد ، ص ٨٩ - ٩٠ .

وكان الحسن (عليه السلام) اشبه الناس بجده رسول الله (ﷺ) (عليه وآله وسلم) ^(١) ، و قال انس ابن مالك : " ما رأيت احد اشبه برسول الله (ﷺ) من الحسن بن علي " ^(٢) .

اما ما يتعلق بزوجات الامام فهذا بحث اخر و ذلك لان من اهم الشائعات التي لاحقت الامام هو كثرة الزواج و الطلاق ، وهي من الظلمات التي اتهم بها (عليه السلام)، ولايكاد يذكر الحسن الا ذكرت معه ظلاماته ، ومن ابرز هذه الشائعات التي لحقت به هي كثرة الزواج و الطلاق حيث قيل ان الحسن كان مطلقاً للنساء و لا يفارق إلا وهي تحبه وأحصن تسعين امرأة ^(٣) .

كما وينقل الذهبي : قال " قال علي: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلق، فقال رجل: والله لنزوجنه، فما رضي أمسك، وما كرهه طلق" ^(٤) ، وقد اورد ممن ظلم الامام رواية عن طريق محمد بن عمر الواقدي ، قال حدثني حاتم بن اسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال علي : يا أهل الكوفة ، لاتزوجوا الحسن بن علي فإنه رجل مطلق ، فقال رجل من همدان ، والله لنزوجنه ، فما رضي أمسك وماكره طلق " ^(٥) وتكلم علي (عليه السلام) بهذا الكلام على منبر الكوفة .

ولنا رأي اخر من هذه الرواية ، حيث عرف علي (عليه السلام) بتقديره لولده الحسن (عليه السلام) وهذا ما نقلته كتب اهل السنة قبل كتب الشيعة الامامية ، حيث ينقل صاحب كتاب البداية والنهاية وهو من كبار اهل السنة والجماعة مانصه " كان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً ويعظمه ويبجله " ، فإن كان يجله ويكرمه كيف يقول عنه (لاتزوجوه) . كما وينقل عن ابن عباس انه قال : " كان الحسن اذا صلى الغداة في مسجد رسول الله يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس " ^(٦) ، فان كان هذا نسكه وعبادته ، كيف لا يتفقهه في ابسط امور الحياة وهي كثرة الزواج ، وتطبيق النساء ظلماً .

إضافة الى ذلك هل يعقل أن يتكلم الإمام علي (عليه السلام) بهذا الكلام على المنبر فلماذا لم يتحدث لولده وينصحه سراً دون اللجوء الى تشويه سمعته بين الناس .

ونلاحظ أنّ الطائي يلجأ الى تحليل سند الرواية من أجل التأكد صحتها من عدمه ، يمكن أن نثبت بطلانها من حيث سند الرواية نفسها ، فراويها هو محمد بن عمر الواقدي كان قاضياً

^١ - الاصبهاني ، تاريخ اصبهان ، ١ / ٦٩ .

^٢ - الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ص ١٠٣ ؛ ابن بطريق ، عمدة عيون صحاح الاخبار ، ٢ / ٣٩٠ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٢ / ٣٩٦ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ١ / ٢٢٤ .

^٣ - السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٧٧ .

^٤ - تاريخ الاسلام ، ١ / ٤٩٨ .

^٥ - الطائي ، الشائعات المشهورة ضد الامام الحسن ، ص ٣٥ - ٣٦ .

^٦ - ابن كثير ، ٨ / ٣٧ .

لأبي جعفر المنصور، وهو الذي وضع روايات للنيل من الامام الحسن (عليه السلام) فرواياته ساقطه من الاعتبار ، لانه وضعها لأجل السياسة ، كما جاء في تضعيف الواقدي : قال معاوية بن صالح : ابو عبد الله الواقدي ضعيف ، كما قال الشافعي " كتب الواقدي كذب " (١) ، كما قيل ان الواقدي من المجروحين عند اهل الجرح و التعديل ٢ .

حيث يقال انه احصن ثلاث مائة امرأة وقيل الف (٣) ، وقيل تسعين امرأة (٤) .

و لنا هنا وقفة ما إذا كان عدد نسائه الثلاثمائة امرأة او مئتين لماذا لم تذكر اسمائهن ، واكتفت بذكر ارقام كبيرة لايقبلها العقل البشري ، فهل يتسع عمر الامام لهكذا زيجات ؟ فلماذا تقبل به النساء اذا كان مطلقاً ألا يخشن الطلاق عند قبولهن الزواج منه ، وكيف كانت الاهالي توافق على هكذا زوج لبناتهم مالمهدهم منه ؟ لانستطيع ان نقول لكونه سبط رسول الله ، لو كان رسول الله موجودا هل يوافق على تصرف ابن بنته هذا ؟ فهذه الرواية لا تصمد امام التحليل المنطقي و الواقع فالمفارقات التي تحملها كبيرة و الادلة على بطلانها اكبر .

كما وان هناك دليل اخر لبطلان هذه الرواية ، هو ان عدد الزوجات الامام لا يتناسب مع عدد اولاده (عليه السلام) .

حيث يذكر صاحب كتاب تحفة الازهار : ان عدد اولاد الامام مابين خمسة عشر الى احدى و عشرين مابين ذكر و انثى ، وهذا لايتناسب مع عدد زوجاته لو صحت تلك الرواية فلو كان تزوج مائتين وخمسين امرأة او ثلثمائة فأن لابد ان يولد له اكثر من مائتي ولد مابين ذكر و انثى على الاقل بعد فرض العقم في جمع منهن (٥) .

اما اولاده ، فله ستة عشر ولداً ، منهم خمس بنات ، وقيل سبعة عشر ولداً منهم ست بنات، وقيل تسعة عشر ولداً منهم أيضا ست بنات (٦) ، ويذكر الطبرسي : " أنهم ستة عشر و

١ - الشائعات المشهورة ضد الامام الحسن ، ص ٣٢ .

٢ - مشالي ، علي عيد ، بطلان وصف الامام الحسن بالزوج والمطلق في روايات ابن عساكر ، مجلة جامعة القادسية كلية التربية، العدد ١ ، ٢٠١٤م ، المجلد السابع عشر، ص ٣٧٢ .

٣ - اليافعي ، مرآة الجنان ، ص ٥٧ .

٤ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ٣ / ٢٧٧ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٢١١ .

٥ - الحسيني المدني ، ص ١٤٤ .

٦ - ابن عنبه ، عمدة الطالب ، ص ٤٩ .

لداً ذكراً و انثى " من ست بنات ^(١) ، اما ابن الجوزي يقول " خمسة عشر ذكراً و ثمن بنات " ^(٢) .

وكانت للحسن (عليه السلام) مكانة كبيرة عند رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حيث شهد له جميع من عاصر النبي (صلى الله عليه واله) حيث نقل ابي هريرة : " رأيت رسول الله صلى الله عليه واله يمص لعاب الحسن و الحسين كما يمص الرجل التمرة " ^(٣) .

فيذكر ان النبي بينما كان ساجداً يصلي فاذا بالحسن بن فاطمة قد أقبل فركب على ظهره فأطال النبي في صلاته لكي لا ينشغل الحسن عن لعبه ، و سأله بعض أصحابه : لقد أطلت السجدة يارسول الله ؟ فيقول : لقد أرتحلني ابني فكرهت أن أعجله ^(٤) .

اما العقاد فينقل بأن النبي (ص) كانت من عاداته أن يبني في بيت فاطمة بين مدة و أخرى ، فيتولى خدمة اطفالهم بنفسه و ابواهما قاعدان ، و في الحد الليالي سمع الحسن (عليه السلام) يستسقى فقام (ص) الى قرية فعصرها في قدح ، ثم اخذ يععبه ، فأراد الحسين أن يشرب فمنعه النبي و بدأ بالحسن ، فقالت الزهراء : " كأن الحسن احب اليك ؟ قال : انما الحسن أستسقى أولاً " ^(٥) .

عن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم حامل الحسن بن علي وهو يقول: " اللهم إني احبه فاحبه " ^(٦) .

^١ - الطبرسي ، ابو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣) ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، تح محمد مهدي السيد حسن الخراسان ، ط ٢ ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٢١٣ .

^٢ المنتظم ، ١٥٢ / ٢ .

^٣ - ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ١٣ / ١٢٣ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٢ / ٣٩٩ .

^٤ - العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٦٣ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ٣٠٣ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٣ / ٣٠٠ .

^٥ - فاطمة الزهراء ، ص ٢٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٤ / ١٦٣ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣ / ٢٥٨ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ٢٠٧ ؛ الفقيه ، فرج علي ، تأملات في السيرة النبوية ، المجموعة العربية للنشر ، القاهرة ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م ، ص ١٠٠ .

^٦ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١ / ٦٣ ؛ الموصلي ، مناقب آل محمد ، ص ٩٠ .

خلافته:

تولى الامام الحسن الخلافة بعد والده علي (عليه السلام) وكانت مدة خلافته كما ذكرها المسعودي بانها "ثمانية أشهر و عشرة أيام" (١)، ويقول المطهر المقدسي: "انها ستة أشهر" (٢)، اما البيهقي يذكر انها "خمسة أشهر" (٣)، اما السيوطي يقول: "انها ستة أشهر" (٤) و روى الحارث الهمداني بقوله: "لما مات علي، جاء الناس الى الحسن بن علي، فقالوا فقالوا له: انت خليفة ابيك، ووصيه، و نحن السامعون المطيعون لك، فمرنا بأمرك، قال: كذبتم، والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني فكيف تفون لي؟ و كيف اطمئن اليكم و لا اثق بكم" (٥).

فقد كذبوا ولم يوفوا له كما قال لهم، فكان (عليه السلام) اماما قبل أن ينصبوه، فقد نصبه جده رسول الله (ص)، حين قال "الحسن و الحسين امامان إن قاما و إن قعدا" (٦)، وبعد استشهاده الامام علي (عليه السلام) أجمع المسلمون على مبايعته خليفة للمسلمين و بعد أن تمت البيعة أعتلى (عليه السلام) المنبر فحمد الله و أثنى عليه، و بدأ بذكر والده علي فقال: "لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون بعمل، ولم يدركه الاخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجهه برأيه فيكفنه جبرائيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، وما خلف صفراء و لا بيضاء الا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، اراد ان يبتاع بها خادماً لأهله" (٧)، ثم يكمل خطابه قائلاً: "ايها الناس من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، و انا ابن النبي، و انا ابن الوصي، و انا ابن الداعي الى الله، و انا من اهل البيت الذي كان

١- مروج الذهب، ١ / ٣٤٧ .

٢- البدء و التاريخ، ١ / ٣٢٨ .

٣- لياح الانساب، ص ٢٠ .

٤- تاريخ الخلفاء، ص ٧٨ .

٥- الراوندي، الخرائج و الجرائح، ٢ / ٥٧٤؛ المجلسي، بحار الانوار، ٤٤ / ٤٣ .

٦- الحسيني الميلاني، علي، الائمة الاثنى عشر في كتاب منهاج الكرامة للعلامة الحلي و نقد كلام ابن تيمية، مركز الحقائق الاسلامية، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص ٣٧ .

٧- الاصبهاني، تاريخ أصبهان، ١ / ٧١؛ الاربلي، كشف الغمة، ٢ / ٣٢٥؛ الايشيبي، شهاب الدين

محمد (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)، المستطرف في كل فن مستظرف، تج: عبد الله أنيس الطباع، شركة دار الارقم بن أبي الارقم، بيروت، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٦ م، ص ٢٢٦؛ المطاوي، حسن كامل، الحسن بن علي خامس الخلفاء الراشدين، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م، ص ١٠٢ - ١ - ٣ .

جبرئيل ينزل الينا ، ويصعد من عندنا ، و انا من اهل البيت الذين افترض مودتهم على كل مسلم " (١) .

ثم بعد ذلك بايعه اكثر من اربعين الفاً فتمت له البيعة في الكوفة وأيضاً البصرة واليمن و الحجاز و فارس وبقية المناطق التي تدين بالولاء لأبيه علي (عليه السلام) (٢) .

موقف معاوية من بيعة الحسن (عليه السلام):

لقد رفض معاوية في ان يدخل في بيعة الحسن (عليه السلام) و غضب غضباً شديداً عندما بلغه خبير البيعة للحسن (عليه السلام) ، و أخذ يعمل على افساد الأمر على الإمام ، فقام بأرسال بعض الرجال الى العراق لأثارة الاضطراب و المشاكل ، مما دفع ذلك الإمام الى إرسال كتاب الى معاوية جاء فيه : " اما بعد فإنك دسست الي الرجال كأنك تحب اللقاء ، لا شك في ذلك فتوقعه إن شاء الله ، و قد بلغني أنك شمت بما لم يشمت به ذو حجي ... " (٣) .

و من كتاب الإمام هذا ، نقرأ انه تهديد لمعاوية بالحرب ، و طبق الامام فعلا ما قد وعد ، لو لا الخيانات و الانقسامات التي حصلت داخل معسكره . اما قوله لقد بلغني انك شمت ، يقصد الامام بذلك تشمت معاوية بموت الامام علي (عليه السلام) ، و من الامور التي لا ينفع بها تشمت هو الموت ، فهو حق على الجميع علي (عليه السلام) وعلى الخلق اجمع ، وقد مات قبله خير الخلق محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فليس من معيب بذلك .

و رغم تمرد معاوية حاول الامام (عليه السلام) دعوته للدخول في البيعة ، رغبة منه لاصلاح حال الامة الاسلامية ، و التخلص من الانقسامات و المؤامرات ، لكن الامام كان يعلم ان معاوية لم يستجيب لدعوته فأرسل له كتاب اخر مما جاء فيه : " فاليوم فليتعجب المتعجب من توثيك يامعاوية على امر لست من أهله ، لا بفضل في الدين معروف ، و لا اثر في الاسلام محمود ، و انت ابن حزب من الاحزاب ، و ابن اعدى قریش لرسول الله صلى الله عليه و آله ، ولكتابه ، و الله حسبيك ، و انما حملني على الكتاب اليك ، الاعذار فيما بيني و بين الله عزوجل في

١ - الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ٣٢٥ - ٣٢٦ ؛ المطاوي ، الحسن بن علي ، ص ١٠٣ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٣ / ٨ .

٢ - ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ١١٤ ؛ الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ص ٢٣ .

٣ - الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ٣٣٧ ؛ الحسيني المدني ، ضامن بن شذقم ، تحفة الازهار و زلال الانهار ، تج: كامل سلمان الجبوري ، مرآة التراث ، طهران ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ١ / ١١٩ .

امرك ، ولك في ذلك أن فعلته الحظ الجسيم ، و الصلاح للمسلمين ، فدع التمادي في الباطل ، و أدخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي ، و احقن دماء المسلمين ، و ان انت أبيت الا التمادي في غيك ، سرت إليك بالمسلمين ، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين " (١).

و من هذا الكتاب نرى أن الإمام حاول دعوة معاوية مره أخرى في الدخول في بيعته لكن بعد ان ذكره بأن تمرده غير لائق لانه يطالب بأمر ليس من أهله ، كما ذكره بعداوة أبيه أبو سفيان للنبي (ص) ، و في الوقت ذاته بدأ الامام بتهديده مره أخرى ، و أن الامام كان على يقين بأنه لن يستجيب أيضاً .

فما كان من معاوية الا ان اجاب الحسن (عليه السلام) قائلاً : " الحال فيما بيني و بينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها انتم و ابوا بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه و اله ، فلو علمت انك أضبط مني للرعية و احوط على هذه الامة و احسن سياسة و أقوى على جمع الاموال و اكيد للعدو لأجبتك الى مادعوتني اليه ، و لكني قد علمت اني اطول منك و لاية و اقدم منك بهذا الامة تجربة ، و اكبر منك سناً فأنت احق ان تجيبي الى هذه المنزلة التي سألتني فأدخل في طاعتي و لك الامر من بعدي ، ولك مافي بيت مال العراق من مال بالغاً ما يبلغ ، ولك خراج اي كور العراق " (٢).

ونجد ان هذا ماهو الاتعدي متعمد على الامام ومحاولة الانتقاص منه ، بأنه ليس لديه خبرة و كفاءة في إدارة أمور المسلمين فضلاً عن صغر سنه ، و ما هذا الا تكرر للمشهد الذي حصل مع علي (عليه السلام) و منعه حقه بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم بحجة صغر سنة ، فأن كان تسلم الخلافة بالسن ، فقد تسلمها أبو بكر و لازال أبيه على قيد الحياة ، فأن كانت حسب السن لكان والده أحق به منه . كما جاء في كتابه محاولة أغراء الامام بالمال وهي السياسة الوحيدة التي يصلح بها معاوية ، لكنه على يقين لم يكن المال ليثني الحسن (عليه السلام) عن عزمه و مبتغاه .

و عند ذلك لم يترك معاوية للامام الحسن (عليه السلام) خياراً غير الحرب ، فبدأ الامام بجمع الجيش و تهيأ لملاقاة معاوية .

و دعى الامام الناس بعد أن اجتمعوا في مسجد الكوفة الى الجهاد ضد معاوية فقال لهم : " بلغني أن معاوية بلغه أننا كنا أزمعنا على المسير اليه فتحرك نحونا بجنده فأخرجوا ر حكم

١ - المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٤ / ٣٩ - ٤٠ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٣ / ١١ .
٢ - ابن المطهر ، البدء و التاريخ ، ١ / ٣٢٨ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٤ / ٤١ .

الله الى معسكركم بالنخيلة " (١) ، فبدأ الامام بالاستعداد لتجهيز الجيش و توجه للنخيله (٢) ، وبقي هناك مده من أجل أن يلتحق به الناس من المناطق التي تخضع لسلطته ، لكن لم يلتحق به سوى أربعة الالاف .

ثم بعد ذلك جهز الامام جيشاً مكوناً من اثني عشر الفاً لكي يستطلع تحركات معاوية و منح القيادة فيه لأبن عمه عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وجعل له اثنان من المستشاريين وهم من خيرة الموالين للامام الحسن (عليه السلام) و أبيه علي من قبل وهم كل من قيس بن سعد بن عبادة و سعيد بن قيس الهمداني ، ثم منح الامام لعبيد الله وصية فقال له : " يا ابن العم ، اني باعثُ معك اثني عشر الفاً من فرسان العرب و قراء المصر ، فسر بهم ، و الن لهم جانبك ، ، و ادنهم من مجلسك ، فأنهم بقية امير المؤمنين ، و سر بهم على شط الفرات ، ثم امضي حتى تستقبل معاوية ، فأن انت لقيته فأحبسه حتى آتيك ، فإني على اترك و شيكاً ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، و شاور هذين ، قيس بن سعد ، و سعيد بن قيس ، و اذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك فأن فعل فقاتله ، و ان اصبت فقيس بن سعد على الناس ، فأن اصيب فسعيد بن قيس على الناس " (٣) .

فمن الاطلاع على هذه الوصية ، نجد ما لم تكن وصية فحسب ، بل كانت خطة عسكرية محكمة يضعها الامام لقائد جيشه ، و نجد من هذه الوصية أن الامام لم يخرج عن خط جده رسول الله (ص) و أبيه علي (عليه السلام) في وصاياهم لجيوشهم عند السير لملاقاة العدو منها هو الامتناع عن البدء بقتال الاعداء ، حتى و أن كان شخصاً كمعاوية و العتاة المردة الذين معه ، ثم أن الامام ينظر الى أمر بعيد وهو جعل ثلاث قادة للجيش خوفاً من انهيار الجيش عند مقتل قائده الاول و هذا الفعل شبيه فعل جده رسول الله (ص) في معركة مؤته .

لكن ما لبث عبيد الله بن العباس ان خان الامانة ، و نكث ببيعته ، و الميل الى جانب معاوية بعد ان كان له تاريخ جهادي طويل ، و سيرةً محمودة الى جانب الامام علي (عليه السلام) و اولاده .

و كان الامام الحسن (عليه السلام) شاكاً بنية جيشه فأراد ان يختبرهم فصعد المنبر وخطب قائلاً : " فو الله اني لأرجوا أن أكون قد أصبحت بحمد الله و منه ، و انا انصح خلق الله

١ - قانصو ، وجيه ، الشيعة الامامية بين النص و التاريخ ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م ، ص ٢٠٤ .

٢ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ١٦٩ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٣ / ١٣ .

٣ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ٣ / ٢٨١١ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٣ / ١٤ .

لخلقه ، و ما اصبحت محتملاً على مسلماً ضغينة و لا مريداً له بسوء ولا غائلة ، الا وما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة " (١) .

وعندما نزل الامام من المنبر : " اخذ الناس يقولون لبعضهم البعض : ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا : نظنه والله - يريد أن يصلح معاوية و يسلم الامر له " فقالوا: لقد كفر الرجل والله ، ثم هجموا على فسطاطه و نهبو ما فيه ، و بلغ بهم الحال ان اخذوا مصلاه (عليه السلام) من تحت اقدامه (٢) ، اما عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال شد على الامام و نزع مطرفه عن عاتقه ، و بقي الامام روعي له الفداء جالساً متقلداً سيفه دون رداء ، فركب فرسه وحاط به شيعته و اتباعه و منعوا عنه من اراد ايذائه ، فقال الامام (عليه السلام) : " ادعو الي ربيعة و همدان " فجاءوا اليه و طافوا به و منعوا عنه الناس فسار معهم حتى بلغوا الى مكان يعرف بمظلم ساباط فقال الى الامام رجلاً يدعى الجراح بن سنان اخذاً بلجام بغلته و كان بيده مغول و صاح قائلاً : " الله اكبر ، اشركت يا حسن كما اشرك ابوك من قبل " فطعن اللعين الامام في فخذة فشقه فبلغت الطعنة العظم (٣) ، فحمل الامام (عليه السلام) بعدها الى المدائن (٤) .

فقام بعض ز عماء القبائل الذين كانوا مع الحسن (عليه السلام) بمراسلة معاوية سرراً و قالوا له بأنهم سوف يسلمونه الحسن (عليه السلام) عند لقاء الجيشين ، فبلغ هذا الخبر الامام (عليه السلام) (٥) .

وفي الوقت ذاته بلغ الامام كتاب من قيس بن سعد يخبره بأن عبيد الله بن العباس قد مال هو الاخر الى معاوية بعد أن ضمن له معاوية ألف ألف درهم ، يعجل له نصفاً منه ، ويعطيه النصف الثاني بعد الدخول الى الكوفة ، فذهب بذلك عبيدالله ليلاً الى معسكر معاوية (٦) .

و نلاحظ بعد الاطلاع على هذه الاحداث ان اصبح الامام الحسن (عليه السلام) على يقين بنية اصحابه الا المخلصين منهم ، فأن اي قائداً لأي جيش في العالم لو مر بما مر به

١ - الاربلي ، كشف الغمة ، ٣٣٨ / ٢ ؛ الحسيني المدني ، تحفة الانهار ، ١٢٠ / ١ ؛ قانصو ، الشيعة الامامية بين النص و التاريخ ، ص ٢١٧ .

٢ - ابن المطهر ، البدء و التاريخ ، ٣٢٨ / ١ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٤٩٤ / ١ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ١ ، ٢٢٥ / ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٣٥ / ٢ .

٣ - اليعقوبي ، تاريخ ، ١٩٤ / ١ ؛ البيهقي ، لباب الانساب ، ص ٢٠ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٣٣٩ / ٢ ؛ الحسيني المدني ، تحفة الازهار ، ١٢٠ / ١ ؛ قانصو ، الشيعة الامامية ، ص ٢١٧ .

٤ - اليعقوبي ، تاريخ ، ١ / ص ١٩٤ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ١٤١٨ .
٥ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص ٢٠٥ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٣٣٩ / ٢ ؛ الحسيني المدني ، تحفة الازهار ، ١٢٠ / ١ .

٦ - قانصو ، الشيعة الامامية بين النص و التاريخ ، ص ٢١٥ .

الحسن و انكشفت له نوايا جيشه فإنه سوف يمتنع عن قتال الجيش الاخر و لو كان بذلك موته ، لأن علم القائد بخيانة جيشه تفت عزمه و تدفعه للتراجع دون الدخول بمعركة خاسرة قبل قيامها ، هذا اذا كان شخصاً من عامة الناس ، فما بالك بالامام المعصوم نافذ البصيرة و القائد الحكيم كالحسن بن علي (عليه السلام) ، لم يكن ما دفع الحسن للتراجع عن قتال معاوية هو خوفه من الموت لو التقى الجيشان ، لكن كان خوف الامام من أن جنوده سوف يسلمونه الى معاوية حياً و من المؤكد ان معاوية لم يعمد الى قتل الامام و أنما يعمل على اطلاق سراحه و يقول له أذهب فأنت طليق ، فيكون بذلك الحسن طليق معاوية .

ليشفي معاوية بذلك العار الذي يلاحقه طيلة حياته بأنه طليق رسول الله (ص) بعد ان تم فتح مكة و رفض معاوية الدخول في الاسلام.

فيكون بذلك ذلاً حقيقياً للنبي (ص) و بني هاشم و الاسلام ، فأين من قال ان الحسن (عليه السلام) قد ذل المسلمين بصلح معاوية ؟ فما عساهم يقولون لو أصبح الحسن (عليه السلام) طليق معاوية ؟

فإن الحسن (عليه السلام) اماماً سواء كان خليفة او لم يكن ، فعلى من اتبعه طاعته في الحرب و السلم ، ويجب احترام رأي الامام في الصلح و القتال ، لان الوضع العام في زمان الحسن (عليه السلام) كان يقتضي الصلح ، كما كانت احداث صفين في عصر علي (عليه السلام) تقتضي التحكيم ، و كما اصبحت الظروف في عصر الحسين (عليه السلام) تقتضي القيام بثورة يعلم نتيجتها استشهاده ، فرأي الامام واحداً في الحرب و السلم بناءً على مجرى الاحداث التي يعيشها ، هنا لم يجد الامام (عليه السلام) حلاً وسطاً بعد الخيانات المتواليه من عسكره الا الصلح مع معاوية ، لكنه كان صلحاً مشروطاً

اما العقاد فيرى ان سبب جنوح الحسن (عليه السلام) للصلح : " لانه رجلاً سكيناً يكره المنازعة و يجنح الى العزلة ، فصالح معاوية على شروط وفي له معاوية بالمعجل منها و التوى عليه بموجبها " (1).

يمكن قول ذلك لو كان الحسن (عليه السلام) نشأ في بيت غير بيت علي (عليه السلام) حتى نقول انه يكره الحرب و المنازعة ، كيف وهو عاش في بيت يابى الظلم و الانهزام ، وقد

١ - ابو الشهداء الحسين بن علي ، ط ٨ ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ص ٩٧ .

شارك الحسن في حروب ابيه فلم يكن أمر الحرب غريباً عليه ، بل شيئاً قد ألفه ، لكنه رفض الدخول في حرب لا جدوى فيها.

وهنا نجد العقاد يناقض نفسه ففي كتابه معاوية في الميزان يقول : بعد استشهاد علي (عليه السلام) : " آلت خلافته الى ابنه الحسن في معسكر مضطرب بين الخوارج و الشيعة و الموالي و الاتباع الذين لا يعملون عمل الاتباع الطائعين ، و لا يعملون عمل الرؤساء مقتدرين مضطلعين ، و ورث الحسن معسكراً لم يطل عليه عهد الولاء لأحد قط ، ليناضل به معسكراً لم يقع فيه خلاف قط منذ الفتح الاول ، الا الخلاف الذي كان يريده معاوية و يعمل له حذراً من مغبة الاتفاق عليه " (١).

فاذا كان هذا معسكر الحسن كما وصفه العقاد فكيف يريد من الامام الحسن (عليه السلام) القتال بهكذا جيش لم يكن له ولاء مطلق سواء المرؤوسين او الاتباع ، اذا كان هذا تقيمه لجيش الامام لماذا يتهم الامام بأنه يميل لحب العزلة و كره المنازعة.

اما السيد الحسيني الشيرازي يرى ان الامام الحسن (عليه السلام) يستطيع القيام بحرب ضد معاوية حتى الاستشهاد ، لكن ذلك لا يحدث تغيراً جذرياً في الواقع ، و انما عقد الصلح يكون له التأثير الاكبر لأنه من خلاله يستطيع فضح معاوية ، وفعلاً نقض معاوية الصلح عندما دخل الكوفة ، ويربط السيد فعل الامام الحسن (عليه السلام) بما فعله النبي ابراهيم (عليه السلام) حيث قام بتحطيم الاصنام و هو يعلم بأن هذا الفعل لا يحدث تغيراً جذرياً لدى عامة الناس ، لكنه مع ذلك قام بتحطيمها و ذلك لانه " اراد ايجاد حركة في مجتمعه ، و تقريب الناس الى الحقيقة و فهم الواقع " ، وهكذا أراد الامام الحسن بالصلح فضح معاوية و دسائسه الخبيثة (٢).

كما ان الشيخ الاربلي يجد ضمن الظروف التي عصفت بالامام لابد له من الصلح وذلك بعد " ضعف بصائر أصحابه في حقّه و الفساد عليه ، و مخالفته و استحلال الكثير منهم دمه و تسليمه الى خصمه ، و خذلان ابن عمه له و تسليم مصيره الى عدوه ، و ميلهم جميعاً الى الدنيا و عاجلها " (٣).

^١ - معاوية بن ابي سفيان ، ط ٦ ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م ، ص ١٠٥ .

^٢ - الحسيني الشيرازي ، محمد ، ثورة الامام الحسن ، دار المؤمل ، بيروت ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م ، ص ٢٠ .

^٣ - كشف الغمة ، ٢ / ٣٤٠ .

شروط الصلح:

كما علمنا أن صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية كان مشروطاً^(١)، لم يكن الامام ليدع الامر لمعاوية بلا قيد أو شرط، فكانت هناك بعض النقاط التي وضعها الامام نصب عين معاوية ويمكن أن نلخصها هذه الشروط بمجموعة نقاط:

- ١ - يسلم الامام ولاية أمر المسلمين لمعاوية على شرط ان يعمل بكتاب الله و سنة رسوله و سيرة الخلفاء الصالحين .
- ٢ - الناس امنون و مطمئنون حيث كانوا من البلاد في عراقهم ، و شامهم ، و يمنهم ، و حجازهم .
- ٣- اصحاب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب آمنون على انفسهم و نسائهم و اموالهم و اولادهم ، و يجب على معاوية ان يوفي بعهد الله و ميثاقه .
- ٤ - تكون الخلافة بعد معاوية للإمام الحسن (عليه السلام) من بعده ، و ان حدث بالحسن شيء فتكون لأخيه الحسين (عليه السلام) و لا يحق لمعاوية العهد بها الى احد اخر .
- (عليه السلام) - ان لا يلقب معاوية بأمرير المؤمنين .
- ٦ - على معاوية ضمان نفقة أبناء الشهداء من اصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .
- ٧ - ان يترك سب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) و عدم القنوت عليه في صلاتهم .
- ٨ - عدم التعرض لشيععة الامام بسوء و عليه ان يصل اليهم حقوقهم^(٢) .

١- الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ٣٤٠ .

٢- ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٨١٢ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ٣٤٠ - ٣٤١ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٢ / ٣٥١ ؛ إسماعيل ، أحمد محمد ، صلح الحسن ، دار الولاة ، بيروت ، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

موقف الامام الحسين (عليه السلام) من الصلح:

اما موقف الامام الحسين (عليه السلام) من صلح اخيه الحسن كما يروي العقاد : " عندما هم الحسن بالتسليم لمعاوية كان ذلك على غير رضى الامام من الحسين ، فلم يوافقه و اشار عليه بالقتال ، فغضب أخيه الحسن ، و قال له : والله لقد هممت ان اسجنك في بيت و اطين عليك بابيه ، حتى اقضي بشأني هذا و افرغ منه ، ثم أخرجك " . ثم يكمل قائلاً بأن الحسين (عليه السلام) لم يراجع اخيه و فضل الطاعة و السكوت (١) .

لكن العقاد لا يلام على ذلك فإن جل المصادر التاريخية تنقل ذلك الموقف السلبي للحسين اتجاه صلح الحسن و من هؤلاء البلاذري و ابن الاثير (٢) .

ونرى ان المطلع على سيرة الحسينيين لا يمكنه أن يعقل هكذا تصرف من الحسن اتجاه أخيه الحسين الذي لم يقول شيء سوى اقتراح القتال ، و اقتراحه هذا لا يستوجب من الحسن هكذا رد . لكن العقاد اورد هذا الكلام في كتابه في معرض حديثه عن خلق الامام الحسين (عليه السلام) ، اراد منه ابراز خلق الحسين العالي اتجاه أخيه الحسن ، لكن خلق الحسين معروفة للقريب و البعيد فلا يستوجب هكذا حديث لأبرازه . و ماذا يتوقع العقاد بأن الحسين سوف يرد على اخيه الحسن (عليه السلام) ؟ و هو المعروف عنه كما يروي حفيده محمد بن علي الباقر (عليه السلام) : " ماتكلم الحسين بين يدي الحسن اعظماً له " (٣) .

و الدليل الاخر الذي يثبت لنا احترام الحسين لصلح أخيه الحسن (عليه السلام) هو عدم خروج الحسين لقتال معاوية بعد استشهاد اخيه الحسن مدة عشر سنوات احتراماً لصلح اخيه الذي اقره الحسن (عليه السلام) بأن الصلح ينتهي بموت معاوية ، و فعلاً لم يخرج الحسين على حكم بني أمية الا بموت معاوية و نقضه إحدى الشروط التي اتفق عليها مع الحسن وهي ان تكون الخلافة بعد معاوية للحسن و ان حدث به حادث فاللحسين و لا يحق لمعاوية و توريث الحكم ، بعد نقض ذلك معاوية خرج الحسين (عليه السلام) .

فلو كان الحسين غير موافق لصلح اخيه لخرج بعد استشهاده مباشرة و قد كاتبه اهل العراق بالقدوم و المناصرة . و خير دليل على ذلك هو ما نقله ابو حنيفة الدينوري في جواب

١ - ابو الشهداء علي بن الحسين ، ص ٣٣ .

٢ - أنساب الاشراف ، ٣ / ٣٦٣ ؛ الكامل ، ٢ / ١٠٨ .

٣ - الكاظمي ، حبيب الكاظمي ، جواهر البحار ، نور المعارف ، بيروت ، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م ، مج ٢ / ٤٣ ؛ ٣٣١ ؛ اسماعيل ، صلح الحسن ، ص ١٦٦ .

الحسين لأهل العراق عندما طلبوا منه الخروج لقتال معاوية بعد استشهاد الحسن (عليه السلام) قائلاً :

" اما اخي فأرجو ان يكون الله قد وفقه و سدده فيما يأتي ، و اما انا فليس رأيي اليوم ذلك فألصقوا رحمكم الله بالارض ، و اكنوا في البيوت و احترسوا من الظنة مادام معاوية حياً " (١)

و ان الاربلي يرى لو صح عدم قبول الحسين (عليه السلام) للصلح ، فإن كل منهم " مصيبان فيما اعتمدا ، وهما إمامان سيدان قاما او قعدا ، فلا يتطرق عليهما مقال ، وهما اعرف بالاحوال في كل حال " (٢).

وينقل الشيخ باقر القرشي عن السيد ابن طاووس وصفه لصلح الامام الحسن يقول ابن طاووس امتاز صلح الامام الحسن (عليه السلام) : " بالعصمة من الخطأ ، وقاس صلحه (عليه السلام) بصلح جده الرسول صلى الله عليه واله وسلم مع المشركين في قصة الحديبية ، فكما ان صلح الرسول لا يتطرقه الشك ، و لا يأتيه النقد نظراً لوجود المصلحة فيه ، فكذلك صلح الامام مع خصمه ، فإنه محفوف بالمصلحة العامة لعموم المسلمين " (٣).

استشهاد الامام الحسن (عليه السلام) :

اختلفت الروايات في سنة استشهاد الامام الحسن (عليه السلام) ، ذكر البعض بانها سنة ٤٩ هـ (٤) ، والاخر قال في سنة ٥٠ هـ (٥).

اما سبب الوفاة و كما هو معروف تاريخاً ان من شرع بقتل الحسن (عليه السلام) هو معاوية ولكن ليس بصورة مباشرة ، و انما عن طريق واسطة ، و هذه الواسطة هي زوجة الامام جعدة بنت الاشعث بن قيس لعنها الله ، حيث ارسل معاوية اليها قائلاً : " اني مزوجك

١ - ابي حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٢٨ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٢ / ٣٦٨ ؛ إسماعيل ، صلح الحسن ، ص ١٦٥ .

٢ - كشف الغمة ، ٢ / ٤٨٦ .

٣ باقر القرشي ، موسوعة أهل البيت ، ١١ / ١٤٣ .

٤ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١٥٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٢٦ .

٥ - اليافعي ، مرآة الجنان ، ص ٥٧ .

بيزيد ابني على ان تسمي الحسن بن علي " مع مبلغاً من المال قدره مائة الف درهم ، وفى لها
بالمال لكن لم يزوجها يزيد وقال لها : " نحب حياة يزيد ولو ذلك لوفينا لك بتزويجه " (١).

و ارسل اليها مائة الف درهم فوافقت بذلك، و دفع اليها السم لتقوم بتنفيذ هذه المهمة
الخبیثة (٢)

و يمكننا القول أن هذا التصرف ليس غريباً على معاوية لانه قتل العديد من أهل التقى
و ان كان الحسن (عليه السلام) هو اتقى أهل زمانه لورعه و تقواه ونسبه الشريف المبارك ،
لكن خوف معاوية على السلطة و حب الملك هو من دفعه لذلك ، خوفاً من يقوم الحسن بحربه و
تجريده من السلطة ، لو كان الحسن يحب العزلة و يخشى المنازعة كما ذكر العقاد لماذا بادر
معاوية لقتله اذا كان الحسن ساكتاً ؟ فقتله ما هو الا دليل قاطع بأن الامام (عليه السلام) كان
يشكل مصدر قلق و معول هدم للدولة التي انشأها معاوية ، فقرر قتله للتخلص من ذلك القلق و
الانفراد بالسلطة و توريثها لاسرته من بعده .

١ - العقاد ، معاوية في الميزان ، ص ٤٠ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٤٦ / ١ ؛ القاضي النعمان ، شرح
الاجبار ، ١٢٨ / ١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة ، احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩
م) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تح: نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د.ت) ، ١ / ١٠٠ ؛
الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ٢٨٩ ؛ الحسيني المدني ، تحفة الازهار ، ١ / ١٣٨ .
٢ - القاضي النعمان ، شرح الاجبار ، ١٢ / ١٢٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٢٦ ؛ ابن خلكان ، وفيات
الاعيان ، ٢ / ٦٦ .



الفصل الرابع

الإمام الحسين (عليه السلام)
في تراث عباس محمد العقاد



المبحث الاول

الإمام الحسين (عليه السلام) دراسة في حياته الاجتماعية و اسباب التنافس مع يزيد

الحسين بن علي ابن ابي طالب (عليه السلام) :

افرد العقاد كتاباً مستقلاً للإمام الحسين (عليه السلام) شأنه شأن جده و أبيه و أمه ،
ويكاد يكون سبب افراد العقاد كتابا للحسين دون الحسن (عليه السلام) معروفاً هو لعظم الفاجعة
وهول المصيبة التي عاشها الحسين (عليه السلام) .

واطلق على كتابه هذا اسم (ابو الشهداء) فيقول العقاد ، لان الحسين هو شهيد الانسانية
الاكبر الذي تتحني له الرؤوس اجلالاً^(١) .

و إنَّ العقاد لم يبدأ كتابه هذا بالتعريف بالحسين (عليه السلام) اسمه وكنيته مولده ولقبه
، السنة التي جرت عليها عادة المؤلفين عند الترجمة لشخصية من الشخصيات ، بل اهمل
العقاد هذا الجانب ، ربما لكون الحسين (عليه السلام) شخصية معروفة لا يخفى اسمه ونسبه
على أحد و ان المعرف لا يعرف ، بل دخل مباشرة في الحديث عن الظروف التي مهدت لقيام
ثورة الحسين (عليه السلام) لكن من جانبنا حاولنا ذكر بعض ما اهمله العقاد تعمداً

نسبه و أسرته :

أبو عبدالله الحسين بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم سبط رسول الله
صلى الله عليه واله و سيد شباب اهل الجنة^(٢) . و امه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه
واله)^(٣) .

^١ - ابو الشهداء ، ص ٤ .

^٢ - ابو جعفر الاسكافي ، المعيار والموازنة ، ص ٢٠٦ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٤ / ٢٦١ ؛ ابن
الجزري ، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م) ، غاية
النهاية في طبقات القراء ، تح: ج. برجسراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ١ /
٢٢١ ؛ الحسيني ، هاشم معروف ، سيرة الائمة الاثنى عشر ، ط ٢ ، روح الامين ، قم ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٨ م ،
٩ / ٢ .

^٣ - الكنجي الشافعي ، كفاية الطالب ، ص ١١٦ .

و من القابه (عليه السلام) : ابا عبد الله ، و السبط ، و شهيد كربلاء ، و المبارك وغيرها الكثير^(١) .

و ولد الحسين (عليه السلام) في مدينة جدة رسول الله المدينة المنوره في الثالث من شهر شعبان لسنة ثلاث هجرية وقيل اربع للهجرة^(٢) ، و هناك اختلاف في اليوم الذي ولد به (عليه السلام) حيث ينقل ابن عبد البر: ان الحسين ولد لخمس خلون من شعبان^(٣) ، و يتفق معه جمال الدين الشامي^(٤) ، وكذلك العصامي^(٥) ، اما السبحاني يؤكد بأن ولادته (عليه السلام) كانت يوم الخامس من شعبان^(٦) .

اما أسرته (عليه السلام) فهم أشرف و أظهر ما خلق الله من العالمين فجده خيرة البرية وسيد ولد ادم رسول الله وحببيه محمد (ص) ، و ابوه وصي رسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)، و امه سيدة نساء العالمين بنت خاتم النبيين فاطمة الزهراء (عليه السلام)^(٧) ، و اخوه سيد شباب أهل الجنة الإمام البر التقي الحسن المجتبي (عليه السلام)، و اختاه السيدة زينب الحوراء والسيدة ام كلثوم (عليه السلام) .

وللحسين اخوة آخرين من والده . اما اولاده فهم علي الاكبر من زوجته ليلى بنت ابي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، و زين العابدين (علي الاصغر) امه شاه زنان بنت يزيد بن الثالث بن شهريار ملك الفرس و عبد الله الرضيع والسيدة سكينه وامهم الرباب بنت أمري القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبية^(٨) ، و فاطمة وكنيتها أم الحسن امها أم أسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمية ، و جعفر و أمه أم جعفر القضاعية و جعفر هذا توفي في حياة ابيه وليس له عقب ، كما له علي الاوسط و زينب^(٩) .

١ - سبط ابن جوزي ، تذكرة الخواص ، ٢٣٢ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٨٦١٢ .
 ٢ - القمي ، عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ / ١٨٤٣ م) ، الانوار البهية في تواريخ الحجج الالهية ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ٩٧ .
 ٣ - الاستيعاب ، ١١٦/١ .
 ٤ - الدر النظيم ، ص ٥٢٥ .
 ٥ - سمط النجوم ، ٨٦ / ٢ .
 ٦ - جعفر ، الائمة الاثني عشر ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٤٩ .
 ٧ - ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١١٦ / ١ ؛ الحسيني المدني ، تحفة الازهار و زلال الانهار ، ٢٧١٢ .
 ٨ - العقاد ، ابن حجر العسقلاني ، تبصير المنتبه ، ١ / ١٢٤ .
 ٩ - الاربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ٤٩٠ - ٤٩١ ؛ الموصلي ، مناقب آل البيت ، ص ١٠٧ .

صفات الحسين (عليه السلام) :

تعلم الحسين (عليه السلام) في طفولته خير ما يتعلمه ابناء جيله من فنون العلم والفروسية والادب ، و اليه يرفع الكثير من الحكماء و المتصوفة نصوصهم التي يرجعون اليها و يردونها الى علي (عليه السلام) . وقد اوتي (عليه السلام) ملكة الخطابة وطلاقة اللسان و غنة صوت و حسن بيان ، فينقل العقاد بعض كلام الحسين (عليه السلام) المرتجل الذي قاله في توديع أبي ذر الذي اخرجته عثمان من المدينة الى الشام ^(١) : " ياعمه إن الله قادر على ان يغير ما قد ترى ترى ، والله كل يوم في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم و منعهم دينك ، و ما اغناك عما منعوك و احوجهم الى ما منعهم ، فأسأل الله الصبر والنصر، و استعذ به من الجشع والجزع ... " ، وهو ابن الثلاثين عاماً ^(٢) .

كما عرف (عليه السلام) بقول الشعر فيذكر العقاد بيتين للحسين (عليه السلام) قالهم في زوجته و ابنته :

لعمرك أني لأحب داراً تكون بها سكنة والرباب
أحبهما و أبذل كل مالي وليس لعاتب عندي عتاب ^(٣) .

فسواء صحت نسبتها للحسين او لم تصح ، فما هذا الا دليل على حسن خلقه في بيته و مع اهله ، فكان (عليه السلام) من أشد الاباء حباً على الابناء و أشد الازواج عطفاً على النساء " و حسن خلقه مع أهله دل عليه ذلك بعد استشهاده (عليه السلام) فكانت زوجته الرباب (عليه السلام) التي ذكرها في أبيات الشعر خطبها اشراف قريش بعد استشهاد الحسين (عليه السلام) ، فقالت : " ما كنت لأتخذ حمماً بعد رسول الله " . و بقيت سنة لا يظلمها سقف حتى ماتت ، وهي لا تكف عن البكاء والحزن عليه ^(٤) . وقالت في رثائها له :

ان الذي كان نوراً يستضاء به بكر بلا قتيل غير دفون ^(٥) .

^١ - ابو الشهداء ، ص ٣٢ ؛ ابن المطهر الحلي ، الحسن بن يوسف (٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م) ، نهج الحق و كشف الصدق ، تح: فرج الله الحسيني ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٢٩٨ .
^٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٢ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٢٢ / ٤١٢ ؛ كريم ، موسوعة أعلام المجددين المجددين ، ١ / ٥٥ .
^٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ٢٠٤ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ١٧٠ / ٢ ؛ القندوزي ، ينابيع المودة ، ٢ / ٣٧١ .
^٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ٢٠٤ .
^٥ - ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين الاصفهاني (٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) ، الاغاني ، تح: احسان عباس و آخرون ، دار الصادر ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، مج ٢ ، ١٦ / ٩٤ ؛ المستنيط ، القطرة ، ١ / ٣٠٤ .

كما و ينقل الشيخ عباس القمي بعض الابيات للحسين (عليه السلام) :

لئن كانت الافعال يوماً لأهلها
كماًلاً فحسن الخلق أبهى و اكمل
و ان كانت الارزاق رزقاً مقدراً
فقلة جهد المرء في الكسب أجمل
و ان كانت الدنيا تعد نفيسة
فدار ثواب الله أعلى و أنبل
و ان كانت الابدان للموت أنشئت
فقتل أمرئ بالسيف في الله افضل (١) .

سن الحسين (عليه السلام) سنة لمن بعده في آداب الاسرة تناسب البيت الذي نشأ به ، وفوضت اليه مهمة ان يرعى حق ذلك البيت و يفرض على الناس توقيره ومهابته . ومن رعايته (عليه السلام) للآداب الاسرية ووصايا الابوة ، انه كان عليه دين فساومة معاوية على مائتي الف دينار او مبلغ كبير من النقود على عين ابي تيزر ، فرفض بيعها مع حاجته الى تلك الاموال وذلك لان اباة علي (عليه السلام) كان قد تصدق بماء هذه العين لفقراء المدينة ، وكان يعلم الحسين (عليه السلام) لو باعها لوقفها معاوية على الفقراء (٢) .

كما عرف (عليه السلام) بالوقار في رعاية اهل بيته ورعاية الناس عامة ، فقد هابه الجميع ، وكان معاوية يعرف عنه هذه المهابة ، حتى وصفه لرجل قريشي ذاهباً الى المدينة قائلاً له : " إذا دخلت مسجد رسول الله . فرأيت حلقة فيها قوم كان على رؤوسهم الطير . فتلك حلقة أبي عبد الله مؤتزرأ الى أنصاف ساقيه " (٣) .

ومر ذات يوم بمساكين يأكلون ، طلبوا منه الاكل معهم على عادة العرب ، فوافق واكل معهم ، ثم قال لهم : " قد اجبتكم فأجيبوني " ودعاهم للغداء في منزله (٤) .

١ - الانوار البهية ، ص ١٠١ - ١٠٢ .
٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٤ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت النبي ، ٢ / ٢٨٩ .
٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٤ .
٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٤ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٤ / ٢٧٧ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت للنبي ، ٢٨٩/٢ .
٥ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٧ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ١٨ / ٢ - ١٩ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٣ / ٣٨٦ .

وقد حار أعدائه في خلقه حتى ان بعض جلساء معاوية طلبوا من معاوية ان يكتب الى حسين ما يصغره في نفسه ، قال لهم " أنه كان يجد مايقوله في علي ، ولكنه لايجد مايقوله في الحسين " (١) .

لابد لنا من الوقوف هنا ، فقول معاوية انه يجد مايقوله بعلي (عليه السلام) ، فهذا صحيح لكون علي قد حمل الاسلام على عاتقه وقاتل في سبيل نشره الى جانب النبي الاكرم (ص) فقتل فرسان العرب و ادخل الخوف في قلوب رجالهم ، وقتل ساداتهم و كان لمعاوية منه النصيب الاوفر فقتل جده و خاله وما كان قتلهم الا بالحق ، فنال علياً بذلك حقد الاقرب والابعد ، وبعد تسلمه الخلافة وحربه لعائشة ام المؤمنين ، فأنكرت طائفة من المسلمين عليه ذلك ، ثم صفين وقضية تحكيم و خروج الخوارج عليه وغيرها ، كل هذا جعل معاوية لو قال عنه شيء لصدقه الناس وذلك للحقد الذي يملئ قلوبهم بغضاً لعلي (عليه السلام) ، و ماكان عمل علي ذلك الا نصرة للحق ، اما الحسين (عليه السلام) لو قال عنه معاوية شيء فلا يصدقه احد وذلك لكون جده حبيب الله وصفيه و هو احد الاسباط الذي شاهد المسلمين كيف كان الرسول يشبعه لثماً وتقبيلاً ، و امه خير نساء العالمين ، فنال بذلك قدسية خاصة ، لكن تلك القدسية لم يحترمها يزيد وتجاوزها بقتله .

ولفصاحته وخبرته بالكلام كان يرتادوه الشعراء ويطمعون في اصغائه أكبر من طمعهم في عطائه ، وكان يجري عليهم الجوائز (٢) .

لا غرابة بان تكون خلق الحسين هذه الصفات ، وكان قد نشأ وترعرع في حجر اطهر الخلق محمد (ص) و امه سيدة النساء ووالده سيد الاوصياء (عليه السلام) ، لو كانت اخلاق الحسين وصفاته عكس م اذكر لكان بذلك غرابة .

و اشتهر الحسين (عليه السلام) مع الجود بصفات أخرى تعد من أكرم الصفات الانسانية الا وهما : الوفاء و الشجاعة . وعند الحديث عن وفائه فلا بد لنا من ذكر رفضه (عليه السلام) الخروج على معاوية بعد استشهاد اخيه الحسن (عليه السلام) وذلك لان الحسن كان قد عاهد معاوية على المسالمة ، و عندما حرضوه انصاره على خلع معاوية قال لهم : " ان بينه و بين الرجل عهداً و عقداً لايجوز له نقضه حتى يقضي المدة " (٣) ، وهذا ما جاء في كتابه (عليه

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٤٦ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢ / ١٨ - ١٩ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٣ / ٣٨٦ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٥ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٦ .

السلام) لأهل الكوفة عندما كتبوا اليه يعزونه بالحسن (عليه السلام) ويحثونه على الخروج : " أن الله قد جعل فيك أعظم الخلق ممن مضى ، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك ، المحزونة بحزنك ، والمسرورة بسرورك ، المنتظرة لأمرك " فرد الحسين عليهم : " أني لأرجو أن يكون رأي أخي رحمه الله في الموادة ، و رأيه في جهاد الظلمة رشداً و سداداً ، فالصقوا بالارض و اخفوا الشخص ، و اكنتموا الهوى ، و احترسوا في الاضناء مادام ابن هند حياً ، فأن يحدث به حدث و أنا حي يأتكم رأيي أن شاء الله " (١) .

ومن كتاب الحسين هذا يبين لنا عدة امور منها :

الامر الاول : هو سبب عدم تعرض معاوية للحسين (عليه السلام) طيلة حياة معاوية ، ربما لمعرفة بأن الحسين من أهل بيت أذا وعدوا وفوا ، أو ربما معرفته بتفاصيل هذا الكتاب وكيف نهى الحسين أهل الكوفة من الخروج بوجه معاوية مادام حياً فعيون معاوية وجواسيسه كانت تملئ الكوفة و ضواحيها .

الامر الثاني : الذي نستكشفه من هذا الكتاب هو قول الحسين لشيعته " اكنتموا الهوى " أي لا تظهروا أنكم أتباع لعلي بن أبي طالب ، خوفاً من أن تمتد اليهم جلاوزة معاوية ، فهذا دليل واضح على الجور الذي كان يعانيه أتباع علي و أبنائه من قبل معاوية .

فلم يخرج الحسين (عليه السلام) على معاوية طيلة عشر سنوات منذ استشهاد الحسن (عليه السلام) ما بين سنتي (٤٩ - ٥٠ هـ) (٢) حتى وفاة معاوية سنة (٦٠ هـ) (٣) ، وذلك احتراماً لعهد أخيه الحسن مع معاوية ، على الرغم ماكان يصنع معاوية خلال هذه المدة من سب علي (عليه السلام) و الاساءة للهاشميين و تشريد اتباعهم وقتلهم هو و عماله ، و فعل الحسين هذا ما هو الا تطبيقاً لقوله تعالى " و أوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً " (٤) .

ومعاوية كان يعلم بوفاء الحسين وجوده : فقال لأصحابه يوماً عندما ارسل الى بعض وجهاء المدينة بعض الصلات والكسى والطيب : " أما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفين ، فأن بقي شيء نحر به الجزر و سقى به اللبن " (٥) .

١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ٣ / ٣٦٦ ؛ الصلابي ، أمير المؤمنين الحسن بن علي ، ص ٤٣٢ .

٢ - الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١ / ٤٩٥ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٧٨ .

٣ - ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص ٢١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١٩٥ .

٤ - سورة الاسراء : آية رقم (٣٤) .

٥ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٦ .

اما عن شجاعة الحسين (عليه السلام) يقول العقاد : " وشجاعة الحسين صفة لا تستغرب منه ، وهي فضيلة ورثها عن الاباء ، و أو رثها الابناء بعده ، وليس في بني الانسان من هو أشجع قلباً مما أقدم عليه الحسين في كربلاء " (١) .

و خاض الحسين الحروب في افريقية الشمالية والقسطنطينية وطبرستان (٢) ، و كان حاضراً في معارك ابيه جميعاً الجمل وصفين (٣) .

تربى للشجاعة كما اكتسبها في الدم بالوراثة ، فكان قد تعلم ركوب الخيل والعدو والمصارعة من نعومة أظفاره (٤) ، وكان (عليه السلام) يحب البخور والطيب ، ويأنق للريحان والزهر (٥) .

اسباب الخصومة بين الحسين (عليه السلام) ويزيد بن معاوية:

ان النزاع بين الحسين (عليه السلام) و يزيد لم يكن وليد الساعة ، بل يرجعه العقاد الى ايام عاشها اجداد الحسين (عليه السلام) ويزيد ولم يكونوا قد ولدوا بعد ، فيقول العقاد : " قيل ان يقف الحسين ويزيد متناجزين كانت الحوادث قد جمعت لهما اسباب التنافس والخصومة منذ اجيال ، وكان هذا التنافس بينهما يرجع الى كل سبب يوجب النفرة بين رجلين : من العصبية ، الى التراث الموروثة ، الى السياسة ، الى العاطفة الشخصية ، الى ائتلاف الخليفة والنشأة والتفكير " (٦) .

ويعود التنافس الى ايام هاشم و امية الذين تنافسوا على الزعامة قبل ولادة معاوية ، فخرج امية الى الشام ناقماً ، و انفرد هاشم في زعامة بني عبد المناف في مكة ، فكان هذا الانقسام الاول بين الهاشميين والامويين ، فأعتصم هؤلاء بالحجاز ، وهؤلاء اعتصموا بالشام و اصبحت فيما بعد لأبي سفيان زعامة مرموقة بالحجاز ، وعند ظهور الدعوة المحمدية ، اخذ يخشى على زعامته ، فكان في مقدمة المحاربين للدين الجديد ، حتى يصفه العقاد قائلاً : "

١ - ابو الشهداء ، ص ٣٦ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٦؛ النويري ، نهاية الارب ، ١٩ / ٢٦٤ ؛ الصلابي ، الحسن بن علي بن ابي طالب ، ص ١٤٢ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٦ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٦ ؛ الصلابي ، ابو الشهداء ، ص ٢٥٢ .

٥ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٧ .

٦ - الحسين ابو الشهداء ، ص ١٣ .

ندرت غزوة من الغزوات لم تكن فيها لأبي سفيان اصبع ظاهرة في تأليب القبائل وجمع الاموال
" (١) .

وهذا اعتراف من العقاد للتاريخ عن الدور الكبير الذي كان يقوم به ابو سفيان في
حرب الاسلام من تحشيد الحشود و إثارة القبائل وبذل الاموال في تجنيد الاعداء ضد الدعوة
المحمدية وما كان هذا الا حقداً على شخص محمد (ص) قبل حقه على الدين نفسه .

وبلغ العداة داخل الاسرة الاموية للرسول (ص) ان عمه ابا لهب ، كان الوحيد من
اعمامه يكن له الكيد ويعمل على التأليب عليه ، وقد جاء هذا الحقد من زواجه من ام جميل بنت
حرب وهي اخت أبي سفيان (٢) ، والتي جاء وصفها في القرآن بقوله تعالى : (حمالة الحطب)
(٣) ، كناية لسعي في الشر و اثاره نار العداوة و البغضاء .

وعند فتح مكة وقف ابو سفيان ناظراً الى جيش النبي(ص) وخاطب عندها العباس بن
عبد المطلب قائلاً "والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن اخيك اليوم عظيماً" قال له العباس : "
انها النبوة " قال : " نعم إذن " (٤) .

من قول ابو سفيان هذا يتبين لنا انه لم يكن مؤمناً بالنبوة رغم مرور ما يقارب احدى
وعشرون سنة على نبوة النبي (ص) فيصفها بالملك ، وهذا ان دل على شيء فهو يدل على توق
نفسه للملك وحرصه للوصول اليه.

ثم اسلم ابو سفيان بعد فتح مكة ، فكان اسلام بيته يعد أعسر إسلام عرف بعد الفتح (٥) ،
، وكانت زوجة أبي سفيان هند بنت عتبة تصيح في الناس بعد اسلام ابو سفيان : " اقتلوا
الخبيث الدنس الذي لاخير فيه . قبح من طليعة قوم . هلا قاتلتم و دفعتم عن انفسكم وبلادكم "
(٦) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٣ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٤٥ / ٢ .
٢ - لعقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٣ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤٥٠ / ٢ ؛ ابن خلكان ، ابو العباس شمس
الدين أحمد بن محمد بن أبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ، وفيات الاعيان ، تج:
احسان عباس ، دار الصادر ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ١٥٧ / ٦ .
٣ -- سورة المسد : آية (٤) .
٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٣ .
٥ - العقاد ، الحسين ابو الشهداء ، ص ١٤ ؛ الواقدي ، المغازي ، ١ / ٣٤٦ ؛ محب الطبري ، ذخائر العقبى ،
ص ٢٤١ .
٦ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ١٨٩ / ٢ .

ثم تألفه النبي (ص) قبل الفتح فتزوج من ابنته ام حبيبة^(١) ، وبعد الفتح جعل معاوية كاتباً له^(٢) .

و عندما قبض النبي (ص) بدأ الخلاف حول منصب الخلافة بين المهاجرين والانصار وبعض الصحابة ففرح أبو سفيان بهذه الفتنة لعله يصيب ثغرة بين فتوقها ليصل منها للسيادة على قريش ، فدخل على علي (عليه السلام) والعباس بن عبدالمطلب يحرضهم ويعرض عليهم المساعدة بما يمتلكه من الخيل والرجل ، فصاح بهما : " يا علي و انت يا عباس .. ابال هذا الامر في اذل قبيلة من قريش ، والله لو شئت لأملأنها عليه - اي على ابي بكر- خيلا ورجلا و اخذتها عليه من اقطارها " (٣) .

فيعقب العقاد على هذا قائلاً: " هو لم يغضب لان الخلافة فاتت بني هاشم، ولا كان يسره ان تصير الخلافة اليهم ، ولكنه أراد خلافا يفتح الباب لزعامة اموية يملك بها زمام قريش والدولة العربية جمعاء " (٤) .

اما الدكتور علي الوردي فيعقب على كلام ابو سفيان قائلاً : " من المحتمل جداً أن يكون ابو سفيان في دخيلة نفسه حاقداً على الاسلام كارهاً له ، فليس من السهل أن ينسى كفاحه الطويل ضد محمد ، وليس من المستبعد أن تكون قد نشأت في عقله الباطن عقدة ضد الاسلام و اهله ، و العقدة اذا تكونت في النفس صعب زوالها في مدة قصيرة " (٥) .

لكن مقصده هذا لم يخف على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بل قال له : " يا ابا سفيان، ان المؤمنين قوم نصحه بعضهم لبعض ، و ان المنافقين قوم غششة بعضهم لبعض ، متخاونون و ان قربت ديارهم و أبدانهم " (٦) .

و انتهت خلافة أبي بكر وخلافة عمر وكانت الامور تجري في مجراها الطبيعي ويخشى أصحاب الفتن ان يبرزوا فتنهم من جورها ، حتى أتت خلافة عثمان فأنصر بها الامويون ، لان عثمان أحد رؤوسهم و ابن عم لهم و أحد زعماء بيوتهم ، فأصبحت بذلك الدولة

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٤ ؛ ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ٣٥ ؛ ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٢٣ / ٤٥٣ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٢ / ٤٩٤ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٣ / ٢٧٣ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٤ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٢ / ٤٩٤ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٢٣ / ٣ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٥ ؛ علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

٤ - ابو الشهداء ، ١٥ .

٥ - علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، ص ١٢٣ .

٦ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٥ .

الإسلامية دولة أموية بحتة ، ولما قتل عثمان كان المتنفذون في مناصب الدولة هم من الامويين أو من حاشيتهم المقربين ، وحدث الخلاف بينهم حتى انتهى بأستشهاد علي بن ابي طالب (عليه السلام) وتولي الخلافة بعده الامام الحسن (عليه السلام) ما يقارب ستة اشهر ذاق خلالها مختلف انواع البلاء من قبل معاوية واتباعه ، وكان الحسن قد بايعه اهل العراق وفارس لكنه تنازل ن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان مقابل ثمة شروط (١)

كان المقريري قد لخص المنافسة التي بين الهاشميين والامويين في بيتين من الشعر
قال: عبد شمس قد أضمرت لبنيها شم حرباً يشيب منها الوليد
فأبن حرب للمصطفى ، وأبن هند لعلني ، وللحسين يزيد (٢)

فيقول العقاد : " مامن رجل فاز حيث ينبغي أن يخيب كما قد فاز يزيد بن معاوية في حربه للحسين ، وما أختصم رجلان كان أحدهما أوضح حقاً و أظهر فضلاً من الحسين في خصومته ليزيد بن معاوية " ، و ان الموازنة بين هذين الخصمين اي الهاشميين والامويين هي موازنة أمتازت بحفظ كفتها على وضعها زهاء سبعة قرون ، فلم يظهر خلال هذه الفترة اموي قح الا وظهرت فيه الصفات الاموية المعروفة في القبيلة بأسرها ، وكذلك لم يظهر هاشمي قح الا و رأيت الخصال التي بلغت مثلها الاعلى في رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . لكن الاسرتين اختلفوا في الاخلاق والامزجة ، فبنوا هاشم مثاليون اريحيون في الغالب لاسيما أبناء السيدة فاطمة (عليها السلام) ، وبنو امية فهم في الاغلب الاعم نفعيون عمليون ، لاسيما الاصلاء منهم في عبد شمس من الاباء والامهات ، وهناك فرق واضح بين بني هاشم وبني امية في المناقب والخلائق في الجاهلية قبل الاسلام ، فبنو هاشم عرفوا بأنهم سراعاً للنجدة ونصرة الحق والتعاون من اجله ، اما بنو امية لم يكونوا كذلك ، فقد تخلفوا عن حلف الفضول الذي كان بنو هاشم قد نهضوا به هم وحلفائهم (٣) .

١ - العقاد، الحسين ابو الشهداء ، ص ١٥ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٣ ؛ تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥هـ - ٤٤٢م) ، النزاع و التخاصم فيما بين أمية و هاشم ، تح :حسين مؤنس، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ٥٩ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ .

وقد عرف عن أخلاقهم كثيراً ، فينقل العقاد روايته مفادها انه حدث تنافر بين عبد المطلب و حرب بن أمية فذهبوا الى نفيل بن عدي (١) ، الذي قضى لعبد المطلب وقال لحرب :

ابوك معاهر و أبوك عف و زاد الفيل عن بلد الحرام (٢).

قاصدا بذلك فيل ابرهة الحبشي الذي أغار على مكة ، ووصف أمية بأنه " معاهر " ، لانه كان يتعرض للنساء ، وكان قد ضرب بالسيف ذات مرة ، لانه كان قد تعرض لامرأة من بني زهرة (٣) ، كما كانت له تصرفات عجيبة في علاقات الزواج والبنوة ، فيكمل العقاد قائلاً بأنه أمية أستلحق عبده ذكوان (٤) ، ولم يكتف بذلك ، بل زوجه من امرأته في حياته ، ولكم يكن احد من سادات الجاهلية قط صنع هذا الصنيع (٥).

و ايضاً هناك اسباب اخرى لهذا التنافس يمكن ان نلخصها بما يلي :

اولاً : اختلاف النشأة:

يترك العقاد هنا الاختلاف في الطبائع ومغامز النسب ، لينتقل الى امر اخر ألا وهو اختلاف النشأة و العادة ، و أيضاً اختلاف الخلقة الجسدية ، فيرى انهما الاصلح لتفسير الفوارق بين ابناء هاشم ، و ابناء عبد شمس بعد لأكثر من جيلين او ثلاثة . فبنو هاشم كانوا يعملون في الرئاسة الدينية ، اما بنو عبد شمس فيعملون في التجارة (٦) او الرئاسة السياسية التي كانت تعرف بالربا و الغبن و المماسكة و التزيف و التطفيف ، فلا عجب هنا ان يكون الاختلاف واضح في اخلاق الصراحة و المساومة و كذلك بين وسائل الايمان و وسائل الحيلة لغرض النجاح .

و ان اغلب الكهانات الوثنية يعرف رؤسؤهم بالرياء و العبث بأحلام الجهلاء و الاغرار فضلاً عن الدهاء ، اما بنو هاشم لم يكونوا على غرار هؤلاء الكهان المشعوذين ، ولم يكونوا

١ - العقاد ، الحسين أبو الشهداء ، ص ٢٥ ؛ بن حبيب البغدادي ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) ، المحبر ، تح: أيلزه ليختن شتيتير ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٦١ الهنـد ، هـ / ١٩٤٢ م ، ص ١٧٣ ؛ و نفيل هذا هو نفيل بن عدي بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب هو جد عمر بن الخطاب لأبيه ، وكان من حكماء العرب في الجاهلية . ينظر : بن عمرو البغدادي ، المحبر ، ص ١٧٣ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ١٢٦ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٥ ؛ البيهقي ، لباب الانساب و الالقاب و الاعقاب ، ١ / ٣٢٣ ؛ المقرئ ، النزاع و التخاصم ، ص ٥٠ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٥ ؛ البيهقي ، لباب الانساب ، ١ / ٣٢٣ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٥ ؛ السهلي ، الروض الانف ، ٢ / ١٠٢ - ١٠٣ .

٥ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٥ .

٦ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٥ .

محتالين بالكهانة ، بل كانوا مؤمنين بالبيت ورب ذلك البيت ، وكان قد بلغ من ايمانهم بدينهم ان زعيمهم عبد المطلب جد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اوشك أن يذبح أحد ابنائه فدية لرب البيت لأنه " نذر لئن عاش له عشرة بنين لينحرن أحدهم عند الكعبة " (١) . والاخلاق المثالية ترتبط بالرئاسة الدينية التي يؤمن بها اصحابها ويدعون اليها ، وهذه الاخلاق ازدادت في بني هاشم بعد ظهور النبوة فيهم ، ويتلقونها بالوراثة والقوة فيهم هم أسباط النبي و هم أقرب الناس اليه، ثم يكمل العقاد واصفاً ابناء علي و فاطمة (عليهما السلام) وصفاً جميلاً قائلاً : " و أنك لتتحدّر مع أعقاب الذرية في الطالبين ابناء علي والزهراء (عليهما السلام) مائة سنة و اربع مائة سنة ، ثم يبرز لك رجل من رجالها ، فيخيل اليك أن هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع و أصله في الخصال والعادات كأنما هو بعد أيام معدودات لا بعد المئات و وراء المئات من السنين ، فتتهف عجباً ان هذه لصفات علوية لاشك فيها " ولقد تقابل كل من الحسين بن علي (عليهما السلام) و يزيد بن معاوية في تمثيل كلاً من الاسرتين . لكن تفاوتوا في تمثيل الاسرتين ، فكان الحسين (عليهما السلام) أنموذجاً لأفضل مزايا الاسرة الهاشمية ، كان يزيد الأنموذج الاسوأ لمزايا الاسرة الاموية ، بل كان يحمل الكثير من عيوب تلك الاسرة (٢) .

ثانياً : مكانة الحسين (عليه السلام) :

يقول العقاد : " أن أحق مزايا الحسين بالتوكيد في الصراع بينه وبين يزيد هي مزية نسبه الشريف و مكانة من محبة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) " . كان أتباع يزيد يؤمنون بحق هذا النسب الشريف في المحبة والرعاية ، لكنهم مع هذا قد غلبتهم منافعهم على شعورهم ، فكانوا بذلك من حزب وتركوا حزب الحسين (عليهما السلام) ، وكان الحسين (عليهما السلام) بهذه المزية من احب الناس الى قلوب المسلمين ، واحق انسان ان تعطف عليه القلوب ، كان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هو الذي سمى الحسين ، وسمى اخيه من قبله ، قال علياً (عليهما السلام) : " لما ولد الحسين سميته حرباً ، ف جاء رسول الله فقال : أروني أبنني ما سميتموه ؟ قلت : حرباً فقال : بل هو حسين " (٣) ، بينما يذكر الدولابي ان علي (عليهما السلام) سماه (جعفر) (٤) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٦ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٢٦ - ٢٩ .

٣ - ابو الشهداء ، ص ٣٠ ؛ القاضي النعمان ، شرح الاخبار ، ١٢ / ٨٨ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٤٣٢ / ٢ .

٤ - الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ص ١٢١ .

ذهب كل ما في فؤاد النبي (ص) من محبة البنين للحسين (عليه السلام) وأخوته ، فكان لا يطيق سماع بكاء أحدهم ، فخرج أحد الايام من بيت عائشة ، فمر ببیت فاطمة فسمع بكاء الحسين (عليه السلام) فقال : " ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني " (١) .

وروى ابو هريرة : " ان كان (ص) كان يدلع لسانه للحسين ، فيرى الصبي حمرة لسانه ، فيهش اليه " ، وكان عبيدة بن بدر شهده في بعض المجالس ، فقال متعجباً : " يصنع هذا بهذا ؟ فو الله إن لي الولد ، وما قبلته قط " . قال (ص) : " من لا يرحم لا يُرحم " (٢) .

فحب الرسول (ص) لابناء فاطمة عامة والحسين بصورة خاصة ، و يكفينا من مكانة الحسين (صلى الله عليه وسلم) ما نقله صاحب كتاب مقتل الحسين في رواية عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله (ص) انه قال : " الحسين أعطي من الفضل ما لم يعطه أحد من ولد آدم ما خلا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن " (٣) .

ثم يكمل العقاد قائلاً : " بهذا الحنان النبوي قد أصبح الحسين في عداد تلك الشخصيات الرمزية التي تتخذ منها الامم والملل عنواناً للحب ، أو عنواناً للفخر ، أو عنواناً للألم والفداء ، فأذا بها محبوب كل فرد و مفخرته و موضع عطفه و أشفاقه ، كأنما تمت اليه وحده بصلة القرابة أو بصلة المودة " ، و ما بلغة الحسين (عليه السلام) من ذلك الحنان النبوي جعل بعض واصفيه يضعون بعض المعجزات لحمله وولادته و رضاعته ، فقال البعض منهم : " لم يولد مولود لسنة أشهر و عاش ، إلا الحسين وعيسى بن مريم " (٤) .

نقول ان كان هذا الكلام صحيحاً فلم تكون هذه معجزه للحسين (عليه السلام) فهناك عديداً من المواليد ممن ولدوا في شهرهم السادس وعاشوا ، فمعجز الحسين (عليه السلام) اكبر من هذه و اسمى وقد حدث منها الشيء الكثير في حياته ، ولا تزال تحدث بعد استشهاد معجز تفوق عقول العقالين .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٠ ؛ المحب الطبري ، ذخائر العقبى ، ص ١٤٣ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٢ / ٤٣٥ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣ / ٢٨٤ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٢ / ٨٧ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٠ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٢ / ٨٧ ؛ الكاظمي ، جواهر البحار ، مج ٢ ، ٤٣ / ٣٢٥ .

٣ - الخوارزمي ، ابي المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) ، مقتل الحسين عليه السلام ، تخ: محمد السماوي ، أنوار الهدى ، قم ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ١ / ٢١٦ .

٤ - ابو الشهداء ، ص ٣١ ؛ الطبري الاملي ، دلائل الامامة ، ص ٧١ ؛ المدني ، تحفة الازهار ، ٢ / ٢٨ .

وقال اخرون : " انه (عليه السلام) لم ترضعه أمه ولم ترضعه انثى ، و اعتلت فاطمة لما ولدت الحسين وجف لبنها ، فطلب رسول الله مرضعة فلم يجد ، فكان يأتيه فيلقمه ابهامه فيمصه و يجعل الله في ابهام رسوله رزقاً يغذيه ، ففعل ذلك اربعين يوماً وليله ، فأثبت الله سبحانه و تعالى لحمه من لحم رسول الله " (١) .

فيقول العقاد واصفاً الحسين وصفاً أقرب الى الجمال : " فكان ملء العين والقلب في خلق و خلق ، وفي أدب وسيرة ، و كانت فيه مشابه من جده و أبيه ، ألا أنه كان في شدته أقرب الى أبيه " (٢) .

ثالثاً : زواج الحسين (عليه السلام):

و كانما المنافسة المتأصلة الجذور بين الفريقين لا تكفي ، فأضاف ثقافة الناس اليها قصة منافسة أخرى ، وهذه لوحدها كافية في إثارة التنافر بين الجانبين ، وهي زواج الحسين (عليه السلام) من زينب بنت أسحاق و هي التي يهواها قلب يزيد هوى اعياءه و ادنفه (٣) ، ولكن بعض المصادر تذكر ان اسمها هو (أرينب بنت أسحاق) (٤) .

وقيل ان زينب كانت من اشهر نساء زمانها بالجمال ، لكنها متزوجة من عبد الله بن سلام القرشي الذي ولاه معاوية العراق، مرض يزيد بحبها و لم يعرف اهله سره ، حتى افشاه بعض الخصيان في القصر الذين يساعدونه على شهواته ، فمنذ عرف معاوية بذلك ارسل الى عبد الله بن سلام ، كما طلب كل من أبي الدرداء وأبي هريرة ، وقال لهم : " إن له ابنة يريد زواجها ، ولم يرض لها خليلاً غير ابن سلام ، لدينه وفضله و شرفه و رغبة معاوية في تكريمه وتقريبه " ، فانخدع بذلك ابن سلام ، وتحدث الى معاوية بخطبة ابنته ، و كل معاوية الامر الى ابي هريرة ليستمع الى جوابها ، فكان جوابها المتفق عليه مع ابيها ، هو انها ترفض الضر ، فطلق بذلك ابن سلام زوجته ، فاخلف بعد ذلك معاوية وعده و يقول بلسان ابنته انها تخشى رجل طلق زوجته وهي أجمل نساء عصرها و ابنة عمه . فسمع الحسين (عليه السلام) بهذه

١ - ابو الشهداء، ص ٣١ ؛ المدني ، تحفة الازهار ، ٢ / ٢٩ - ٣٠ ؛ الكاظمي ، جواهر البحار ، مج ٢ ، ٤٣ ، ٣٢٢/ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٣٢ ؛ المستنيط ، القطرة من مناقب النبي و العترة ، ١ / ٢٩٩ .
٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢١ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة و السياسة ، ١ / ٢٥٧ ؛ ابن حجة الحموي ، تقي الدين ابي بكر بن علي بن محمد (ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م) ، ثمرات الاوراق ، تج: محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ٢٠٥ ، ١٥٣ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٣ ، ٣٧٥/ .

٤ - ابن قتيبة ، الامامة و السياسة ، ١ / ٢٥٧ ؛ ابن حجة الحموي ، ثمرات الاوراق ، ص ١٥٣ - ١٥٧ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٣ / ٣٧٤-٣٧٧ .

المكيدة فطلب من ابي هريرة ان يخطب له زينب ، فقال أبو هريره لزينب : " انك لاتعدين طلاباً خيراً من عبدالله بن سلام " ، قالت : " من " ، قال : " يزيد بن معاوية و الحسين بن علي [ع] ، وهما معروفان لديك بأحسن ماتبتغيه في الرجال " .

قالت : " لا أختار على الحسين بن علي أحداً وهو ربحانة النبي و سيد شباب أهل الجنة " ، فردها الحسين الى زوجها وقال له : " ما أدخلتها في بيتي و تحت نكاحي رغبة في مالها أو جمالها و لكن أردت إحلالها لبعلمها " (١) .

فقال معاوية غاضباً :

انعمي أم خالد رب ساع لقاعد (٢) .

فان صحت هذه القصة ، وهي متواترة في كتب الثقة ، فقد اجبت نار الخصومة بين الجانبين .

وقد ذكرنا سابقاً خلق الحسين (عليه السلام) في معرض حديثنا عن صفاته ، فلا بد لنا هنا من ذكر خلق يزيد و صفاته لعقد المقابلة بين الطرفين ، وليس مقارنة لأنها لا توجد مقارنة بين الحسين سيد شباب اهل الجنة ويزيد . فأين الثرى من الثريا ، و اين الحسين من يزيد .

خلق يزيد بن معاوية:

هو يزيد بن معاوية بن ابي سفيان بني عبد مناف و قريش (٣) ، فوالد يزيد هو معاوية الذي ورد فيه ان امرأه سألت النبي (ص) في الزواج منه [اي معاوية] : فقال (صلى الله عليه و اله وسلم): " انه صعلوك " (٤) ، اما جده ابو سفيان الذي اضاع ماله في حروبه ضد الاسلام و تحشيد القبائل ضده .

١ - العقاد، ابو الشهداء، ص ٢١ - ٢٢ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة و السياسة ، ١٦٧ / ١ - ١٧٣ ؛ ابن حجة الحموي ، ثمرات الاوراق ، ١٥٣ - ١٥٧ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٣٧٤ / ٣ - ٣٧٧ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤ / ٣٨٤ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ٢٣٦ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٢٢ ؛ بن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣ / ١٩٥ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٨ ؛ ابن القيم ، زاد المعاد ، ٥ / ٤٦١ ؛ الصفدي ، الوافي في الوفيات ، ١ / ٢٢٢ ؛ الشامي ، سبل الهدى و الرشاد ، ١١ / ٤٩٧ .

يقول العقاد لابد لنا ان نذكر حقيقة أخرى في هذا المقام : " أن معاوية ليس من كتاب الوحي كما اشاع خدام دولته ، ولكنه كان يكتب للنبي (ص) في عامة الحوائج و في أثبات مايجبى من الصدقات ، ولم يسمع عن ثقة قط أنه كتب للنبي شيئاً من آيات القرآن الكريم " (١) . وهذا ما يؤكد العلامة ابن المطهر الحلي حيث يقول : ان معاوية كان هارباً من الرسول بعد فتح مكة ، وعندما لم يجد مأوى له ، اعلن اسلامه قبل خمسة اشهر من وفاة النبي ، فعفا عنه النبي بشفاعه العباس بن عبد المطلب و جعله ليكتب الرسائل (٢) .

والأقرب للصواب كما يبدو هو كلام ابن المطهر . كاتب رسائل وليس كاتب وحي ، من غير الممكن أن يجعل النبي (ص) من دخل الاسلام بعد ثلاث وعشرين سنة من الدعوة كاتباً للوحي ، ما الذي يعرفه معاوية عن الوحي والتنزيل ليكتب للنبي ذلك ، الامر الاخر ان النبي (ص) كان يعلم تام سبب دخول معاوية للاسلام و ان اسلامه قد يكون ظاهرياً فقط .

وكان معاوية لا يملك حلمه اذا تعلق الامر بالمساس بملكه الراسخ ، فقد عمد الى قتل حجر بن عدي (٣) ، و ستة نفر من اصحابه لانهم انكروا سب علي (عليه السلام) وشيعته (٤) .

وبقي معاوية نادماً بقية حياته لهذا الفعل ويقول : " ما قتلت أحداً ألا و أنا أعرف فيم قتلته ما خلا حجراً ، فأني لا أعرف بأي ذنب قتلته " (٥) ، وقد كان الحسين (عليه السلام) قد كتب الى معاوية يوبخه لقتل حجر قائلاً : " ألسنت قاتل حجر بن عدي أخا كندة و أصحابه المصلين ، العابدين ، الذين ينكرون الظلم . و يأمرون بالمعروف ، و ينهاون عن المنكر ، و لا يخافون في الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلمً و عدواناً من بعدما أعطيتهم الايمان المغلظة و المواثيق المؤكدة ، و لا تأخذهم بحدث كان بينك و بينهم ، جرأة على الله و استخفافاً بعهده " (٦) .

١ - ابو الشهداء ، ص ٣٨ .

٢ - كشف الحق ، ص ٣١٠ ؛ الكوراني ، جواهر التاريخ ، ٢ / ١٣٧ .

٣ - حجر بن عدي : بن الأدير الكندي يكنى أبا عبد الرحمن كوفي ، هو من فضلاء الصحابة ، شارك مع علي هـ الجمل و صفين و النهروان ، فبعد تولي زياد بن أبيه العراق أعلن حجر خلعه لزياد لسوء سيرته ، فكتب زياد به الى معاوية فيعته اليه فقتله معاوية بمرج عذراء . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٦ / ٢١٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ٩٧ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ١ / ٢١٤ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٤٨ - ٣٤٩ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٢ / ٥٢ .

٥ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٣٨ .

٦ - صالح ، نعمة الله صالح نجف آبادي ، الشهيد الخالد الحسين بن علي ، ترجمة سعد رستم ، الانتشار العربي ، بيروت ، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٣ م ، ص ٥٧ ؛ السبحاني ، الأئمة الاثنى عشر ، ص ٥١ .

ويشرب الخمر و يدع الصلاة ، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسناً " (١)

و ان هذا الكلام لخير دليل على سوء خلق يزيد و صفاته ، ومات ولم يتجاوز عمره السابعة و الثلاثين ، وقيل ثمان و ثلاثين (٢) ، و قد تعرض لأصابة في الكبد من ادمانه للشراب و افراطه في الملذات .

و ذكر السهمودي ان وفاة يزيد جاءت بعد ثلاثة اشهر من وقعة الحرة او دونها ويكمل قائلاً وكانت وقعة الحرة ، و قتل الحسين و رمي الكعبة من ابشع ما حدث في عهد يزيد (٣) .

كما ويرى العقاد بأنه : " لا يعقل أن يكون هذا كله اختلاقاً و اختراعاً من الاعداء ، لأنّ الناس لم يختلفوا مثل ذلك على أبيه او على عمرو بن العاص ، وهما بغيطان أشد البغض على عداء الامويين ، ولان الذين حاولوا ستره من خدام دولته لم يحاولوا الثناء على مناقب فيه تحل عندهم محل مساوئه و عيوبه " (٤) .

و عرف يزيد بعدم اهتمامه بقيادة الجيوش و الفروسية ، فعندما ارسله ابوه مع جيش سفيان بن عوف الى القسطنطينية لغزو بلاد الروم و الدفاع عن بلاد المسلمين ، تمارض و تتأفل حتى رحل الجيش ، و قد ابتلى الجيش في طريقه بالمرض و الجوع . فقال بذلك يزيد :

ما إن ابالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى و من موم

إذا اتكأت على الانماط مرتفعا بدير مران عندي أم كلثوم (٥) .

و " من اعجب عجائب المناقضة التي تمت في كل شيء بين الحسين و يزيد ان يزيد لم يختص بمزية محمودة تقابل نظائرها من مزايا الحسين " (٦) .

١ - ابو الشهداء ، ص ٣٩ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦ / ١٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٤ ؛ السهمودي ، خلاصة الوفا ، ص ٧٢ ؛ السعيد ، خالد ، تاريخ بلا أصباغ ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م ، ص ٨٣ .

٢ - ابن المطهر ، البدء و التاريخ ، ١ / ٣٣٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٩٣ .

٣ - السهمودي ، خلاصة الوفا ، ص ٧٤ .

٤ - ابو الشهداء ، ص ٤٠ .

٥ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١ / ٢٠٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٢٦ ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ١ / ٥٤ .

٦ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤١ .

اهداف معاوية بن ابي سفيان :

كان معاوية ينوي منذ اليوم الاول لتوليته الخلافة بأن يجعلها دولة اموية متوارثة في ذريته ، بمعنى انه اراد اقامة ملكاً قوياً فعلم على كسب ثقة الامصار من اجل اقامة ملكاً وراثياً في نسل الفرع السفياني ، كان يتكتم ولا يفشي برغبته هذه الى اقرب المقربين اليه ، لكن بعد ان كبر سنه بدأ بالتمهيد لبيعة ولده يزيد ، فأجابه اهل الشام ^(١) ، وكان يخشى امر الحجاز ، فكتب الى ولاته هناك لكن لم يجيبه احد الى ذلك ، فكتب بعد ذلك الى عبد الله بن عباس ، وعبدالله بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر ، والحسين بن علي ، و كان قد امر عامله سعيد بن العاص بأن يبعث كتبه اليهم ، وكتب معاوية اليه كتاباً قال له فيه : " فهمت ماذكرت من ابطاء الناس ، وقد كتبت الى رؤسائهم كتباً فسلمها اليهم ، وعليك بالرقيق ، و أنظر حسيناً خاصة فلا يناله منك مكروه ، فإنه له قرابة وحقاً عظيماً لاينكره مسلم ولا مسلمة ، وهو ليث عرين ، ولست أمنك إن ساورته الا تقوى عليه " ^(٢) ، لكن عجز سعيد بن العاص في اقناع الناس من الوجهاء والعامّة لهذه البيعة البغيضة ، فذهب بعد ذلك معاوية الى مكة ومعها الجند والاموال و ارسل الى اولئك النفر وقال لهم : " قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم ، يزيد أخوكم و ابن عمكم و و أردت أن تقدموا يزيد بأسم الخلافة ، وتكونوا أنتم تعزلون و تؤمرون و تجبون المال و تقسمونه " ^(٣) .

ومن جميع ماذكر يتبين ان معاوية لم يخش على بيعة يزيد الا من الحسين (عليه السلام) ، فكان حذراً من تعامله مع الحسين ، وكان عارفاً بعظيم مقامه وقرابته ، وكذلك شجاعته وهو يصفه بالليث العرين .

بعد ان اتم معاوية كلامه اجابه عبدالله بن الزبير ، و طلب منه ان يفعل كما فعل رسول الله ولم يخلف احداً او كما فعل أبي بكر فإنه قد ولى رجل ليس من اهله ، او كما فعل عمر حين ترك الأمر شورى في ستة رجال لم يكن فيهم أحد من أولاده او بني أبيه ، لكن معاوية رد عليه غاضباً : " هل عندك غير هذا " .

قال : " لا " ، والتفت الى الحضور سائلاً : " فأنتم ؟ " فوافقوا ابن الزبير . فقال مهدداً : " أعذر من أنذر .. أني كنت أخطب فيكم ، فيقوم الي القائم منكم فيكلمني على رؤوس الناس ، فأحمل

^١ - العقاد، ابو الشهداء ، ص ١٦ ؛ الدعجة ، مهند نايف مصطفى ، حمص منذ الفتح العربي الاسلامي حتى نهاية العصر الاموي ، دار مؤسسة رسلان ، دمشق ، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

^٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٦ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، ١ / ٢٠٠ .

^٣ - العقاد ، ابو الشهداء، ص ١٦ ؛ ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ص ١٤٨ .

ذلك و أصفح ، فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا ، لاترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه ، فلا يبقين رجل الا على نفسه " ، و امر بعد ذلك صاحب حرسه أن يقيم على رأس كل واحد رجلين و معهم سيوفهم ، وقال له : " إن ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب ، فليضرباه بسيفيهما " ، فخرج بهم الى المسجد وصعد المنبر ، وقال : " هؤلاء الرهط سادة المسلمين و خيارهم لا يبرم أمر دونهم ولا يقضى ألا على مشورتهم ، و أنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ، فبايعوه على اسم الله " . فبايع الناس وبهذه الصورة تمت البيعة ليزيد في الحجاز (١) .

و ان هكذا بيعة بالاكراه و تحت تهديد السلاح تكون باطلة تماماً ، وكان معاوية يعلم ببطلانها ، وكذلك عامة المسلمين وخاصتهم ، لكن تهديد معاوية لبعضهم ، و اغراء البعض الاخر بالاموال والقرب منه ، فكانت هذه حيلة تمكن معاوية من خلالها ضمان البيعة لولده ، ومن اقامة دولة أموية متوارثة بينهم، وقبل موته اوصى ابنه يزيد ببعض الوصايا منها : " انه لا يخاف الا هؤلاء من قريش : الحسين بن علي ، و عبدالله بن عمر ، و عبد الله بن الزبير ، فأما عبدالله بن عمر فرجل قد وفدته العبادة و اذا لم يبق أحد غيره بايعك ، و اما الحسين بن علي فلا اظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فأخرج عليك فظفرت به فأصفح عنه ، فأن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً ، اما ابن الزبير فإنه خب صب ، فأن امكنته فرصة وثب ، فأن هو فعلها ففدرت عليه ، فقطعه أرباً أرباً ، ألا أن يلتمس منك صلحاً فأن فعل فأقبل و احقن دماء قومك ما استطعت " (٢) .

خلافة يزيد:

و على هذا الحال آل الامر الى يزيد في سنة ستين للهجرة ، وهو ما بين الرابعة والثلاثين (٣) و الخامسة والثلاثين (٤) ، اما المسعودي فيذكر ان عمره عن وفاته كان " ثلاث

١- العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٦ - ١٧ ؛ ابن العربي ، العواصم والقواصم ، ص ٢٤٨ ؛ صالح ، الشهيد الخالد ، ص ٥٥ ؛ كريم ، موسوعة اعلام المجددين ، ص ٥٩ .

٢- العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٧ ؛ الجاحظ ، البيان و النبين ، ٢ / ١٣١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٢١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٤٨ ؛ المدني ، تحفة الازهار ، ٢ / ٤٣ ؛ الدعجة ، حصص منذ الفتح العربي الاسلامي حتى نهاية العصر الاموي ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

٣- العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٨ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ٣٠٦ .

٤- العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٧ .

وثلاثين" (١) . ولم تكن له تجارب سابقة في الإدارة والحكم ، ولم يكن حوله من المستشارين او النصحاء من مثال عمرو بن العاص ، و زياد بن ابيه ، والمغيرة بن شعبة ،الذين كانوا حول معاوية ، فبدأ حكمه بالكتابة الى الوليد بن عتبة بن ابي سفيان عامله على المدينة قائلاً : " خذ حسيناً وعبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير بالبيعة أخذ شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا . والسلام " (٢) .

فارسل الوليد الى مروان بن الحكم لاستشارته في الامر ، فأشر عليه قائلاً : " أرى أن تبعث الساعة الى هؤلاء النفر ، فتدعوهم الى البيعة . أما ابن عمر فلا أراه يرى القتال ، ولكن عليك بالحسين و عبد الله بن الزبير فأن بايعا ، و ألا فأضرب أعناقهما " (٣) .

و نقرأ من قول مروان هذا أمرين ، الاول : قد يكون له رغبة حقيقة بالتخلص من منافسين يزيد الابرز لكي يستتم الامر ليزيد .

اما الثاني : هو رغبته بإثارة فتنة جديدة في الدولة الإسلامية وهي قتل الحسين (عليه السلام) وبمقتله يؤدي الى عدم استقرار الامر ليزيد . وذلك لطمع مروان بالخلافة التي تاققت اليها نفسه منذ مقتل الخليفة عثمان .

وبعد ذلك أرسل الوليد رسوله الى الحسين (عليه السلام) الذي كان في المسجد ، فعلم (عليه السلام) ما يراد منه ، جمع طائفة من أهل بيته و مواليه يحملون أسلحتهم ، فقال لهم قبل دخوله بيت الوليد : " إن دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فاقتموا علي بأجمعكم ، و إلا فلا تبرحوا حتى اخرج اليكم " (٤) .

فعرض عليه الوليد البيعة ليزيد ، فقال (عليه السلام) : " اما البيعة فأن مثلي لا يعطي بيعته سراً ، ولا أراك تقنع بها مني سراً " قال الوليد : " أجل " . قال الحسين (عليه السلام) : " فأذا خرجت الى الناس فدعوتهم الى البيعة دعوتنا معهم ، فكان الامر واحد " . وعندما غادر الحسين (عليه السلام) كان مروان غاضباً صامتاً لم يتكلم ، وبعد ان توارى الحسين عن الانظار صاح بالوليد : " عصيتني والله لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه " ،

١ - مروج الذهب ، ٣٧١ / ١ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٥ / ١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢٢٨ / ٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٥١ / ٢ ؛ المدني ، تحفة الازهار ، ٤٣ / ٢ .

٣ - العقاد . ابو الشهداء ، ص ١٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢٢٨ / ٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٥١ / ٢ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٨ ؛ ابو حنيفة الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ٢١٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢٢٨ / ٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٥٢ / ٢ .

انكر الوليد عليه ذلك ، وقال له: " أتشير علي بقتل الحسين ؟ والله إن الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله " (١).

وبهذا الموقف يقول العقاد : " هكذا انتهت المنافسة بين امية وبنو هاشم الى مفترق طريق لا سبيل فيه الى توفيق ، ولم تنقطع قط سلسلة هذه المنافسة منذ اجيال و ان غلبها الاسلام في عهد النبوة ، وكفى بالاسلام فضلا في هذا المجال انه غلب العصبية بالعقيدة ، فجعلها تابعة لها غير قادرة على الجهر بمخالفتها ، ولكن العصبية المكبوحة عصبية موجودة غير معدومة " (٢).

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ، ١٨ - ١٩ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢١١ ؛ المدني ، تحفة الازهار ، ٤٤/ ٢ ؛ صالح ، الشهيد الخالد ، ص ٥٩ ؛ كريم ، موسوعة أعلام المجددين ، ص ٦٠ ؛ شاكر ، محمود ، التاريخ الاسلامي ، ط ٧ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ٤ / ١١٦ .
٢ - ابو الشهداء ، ص ١٩ .

المبحث الثاني

اسباب خروج الحسين (عليه السلام) على حكم يزيد

اسباب الخروج :

يوضح العقاد الاسباب التي دفعت الحسين (عليه السلام) للخروج و الاعتراض على حكم يزيد بن معاوية و يستهل تلك الاسباب بالقول : " كانت هناك سعة من الخروج لو كان يزيد في الخلافة رضى المسلمين من العقل و الخلق و سلامة التدبير ، و كان المسلمون قد توافقوا على اختياره لحبهم اياه و تعظيمهم لعقله و خلقه و اطمئنانيتهم الى سياسته و اعتمادهم على صلاحه و إصلاحه ، ولكنه على النقيض من ذلك كان رجلاً هزلاً في احوج الدولة الى الجد ، لايرجى له صلاح ، و كان اختياره لولاية العهد مساومة مكشوفة قبض كل مساهم فيها ثمن رضاه و معونته " (١) ، نفهم من هذا ان خلق يزيد و انحلاله ، و الطريقة التي تمت بها البيعة له ، و عدم اتفاق المسلمين على البيعة ، كلها اسباب دفعت الحسين (عليه السلام) للخروج ضده ، و هذه الاسباب كافية لأعلان بطلان حكم يزيد و حكومته .

فيكمل العقاد مستغرباً فيقول : " و عجب شيء ان يطلب من الحسين بن علي ان يبايع مثل هذا الرجل و يزكيه امام المسلمين و يشهد له عندهم انه نعم الخليفة المأمول صاحب الحق في الخلافة ، و لامناص للحسين من خصلتين : هذه [اي ان يبايع يزيد] او الخروج ، لانهم لايتركوه بمعزل عن الامر ، لا له ولا عليه " (٢) .

و ينتقد العقاد المؤرخين المستشرقين قائلاً : " ان بعض المؤرخين من المستشرقين وضعاف الفهم من الشرقين ينسون هذه الحقيقة و لا يولونها نصيبها من الرجحان في كف الميزان و كان خليفاً بهؤلاء ان يذكروا ان مسألة العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج او مساومة ، و انه كان رجلاً يؤمن اقوى الايمان بأحكام الاسلام و يعتقد اشد الاعتقاد ان تعطيل حدود الدين هو اكبر بلاء يحيق به و بأهله و بالامة العربية قاطبة في حاضرها و مصيرها ، لانه مسلم ، و لانه سبط محمد ، فمن كان اسلامه هداية نفس فالإسلام عند الحسين هداية نفس و شرف بيت " (٣) .

١ - ابو الشهداء ، ص ٦٨ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٦٨ - ٦٩ .

٣ - ابو الشهداء ، ص ٦٩ .

ثم يكمل قائلاً : " فاذا بايع الحسين يزيد فقد وفى له بقية حياته ، ولا سيما حين يبايع يزيد على علم بكل نقيصة فيه قد يتعلل بها المتعلل لنقض البيعة و انتحال أسباب الخروج ، فملك يزيد لم يقم على شيء واحد يرضاه الحسين لدينه أو لشرفه أو للامة الاسلامية ... فمجاراة الحسين كل هذه الامور كلها في مفتح ملك جديد معناه انها سنة قد وجبت و استقرت الجيل بعد الجيل بغير امل في التغيير و التبديل ، هذه هيه البواعث النفسية التي كانت تجيش في صدر الحسين يوم دعاه أولياء بني امية الى مبايعة يزيد و النزول عن كل حق له و لأبنائه و لأسرته في امامة المسلمين ، وهي بواعث لاتنتيه عن الخروج و لاتزال تلح عليه في اتخاذ طريق واحد من طريقين لا معدل عنهما ، وهما الخروج او التسليم بما ليست ترضاه له مروءة ولا يرضاه له ايمان " (١) .

ابرز المحطات التي سار اليها الحسين (عليه السلام) :

اولا : مكة المكرمة :

عمل يزيد بما اوصاه والده فكان شغله الشاغل منذ تسلمه الملك هو الظفر ببيعة الحسين (عليه السلام) و عبدالله بن الزبير ، وبعد طلب والي المدينة من الحسين البيعة ليزيد ، وبعد رفض الحسين البيعة قرر (عليه السلام) ترك المدينة و الهجرة الى مكة (٢) ، فخرج في شهر رجب لليلتين بقيا بقيا منه في سنة ستين للهجرة ، و خرج معه جل اهل بيته (٣) ، واتخذ في طريقه الى مكة الطريق الاعظم . ولم يتكره كما فعل ابن الزبير خوفاً من الطلب ، وبذلك صحت فراسة معاوية بالرجلين .

بقي الحسين (عليه السلام) اربعة اشهر في مكة يتلقى دعوات المسلمين من اجل الظهور و طلب البيعة، و اكثر من الح عليه بذلك هم اهل الكوفة ، فكتبوا اليه : " إن هنا مائة ألف ينصرونك ، والحواء في الكتابة يستعجلونه الظهور " (٤) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٧٠ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٦ / ١ ؛ ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ٢٤ / ٣ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٩ ؛ ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ٢٤ / ٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٥٢ / ٢ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٥ / ١ .

تردد الحسين خلال هذه الفترة حتى التأكد من نية القوم ، فرأى ان يرسل لهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن ابي طالب (عليه السلام) ليمهد للحسين طريق البيعة اذا وجد فيها محل للتمهيد ، وكتب الحسين (عليه السلام) الى زعماء الكوفة كتاباً قال فيه : " اما بعد : فقد أتتني كتبكم ، و فهمت ماذكرتم من محبتكم لقدمي عليكم ، و قد بعثت اليكم اخي و ابن عمي و ثقتي من اهل بيتي مسلم بن عقيل ، و امرته ان يكتب الي بحالكم و امركم و رأيكم ، فأن كتب الي انه قد اجمع رأي ملئكم و ذوي الفضل و الحجى منكم على مثل ماقدمت علي به رسلكم و قرأت كتبكم ، اقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله . فلعمري ما الامام الا العامل بالكتاب و الاخذ بالقسط و الدائن بالحق و الحابس نفسه على ذات الله ، والسلام " (١) .

فبلغ الحسين ان رسوله مسلم (عليه السلام) قد نزل الكوفة ، فاجتمع لبيعة الحسين اثنا عشر ألفاً (٢) ، و قيل ثمانية عشر ألفاً (٣) ، فقرر الحسين الذهاب اليه قبل ان يتشتت شمله و يطول عليهم الانتظار ، فعرف اهل بيته وخاصته برغبته ، فاختلفوا بين موافق و ناصح بتغييره من العراق الى جهة اخرى ، فكان اخوه محمد بن الحنفية يرى ان يرسل الى الامصار و يدعوهم الى مبايعة قبل النزاع مع يزيد : " فأن اجتمعوا على بيعته فذاك ، و إن اجتمع رأيهم على غيره لم ينقص الله بذلك دينه و لا عقله " (٤) .

اما عبدالله بن الزبير فقال له : " ان شئت ان تقيم بالحجاز أزرنالك و نصخنا لك و بايعناك ، و أن لم تشأ البيعة بالحجاز توليني أنا البيعة ، فتطاع و لاتعصى " ، فيقول العقاد : " يزعم كثير من المؤرخين ان ابن الزبير كان متهم النصيحة للحسين " . ومن هؤلاء المؤرخين ابو الفرج الاصفهاني ، قال : " ان عبدالله بن الزبير لم يكن شيء اثقل عليه من مكان الحسين بالحجاز ، و لا احب اليه من خروجه الى العراق طمعاً في الوثوب بالحجاز ، لان لا يتم له الا بعد خروج الحسين " (٥) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٩٣ / ٢ ؛ غالب ، مصطفى ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، ط ٢ ، دار الاندلس ، بيروت ، (د.ت) ، ص ٩٥ .
٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٠ ؛ ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ١٥٣ ص ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٩٢ / ٢ ؛ ابن العديم ، بغية الطلب ، ٢٨ / ٣ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت النبي ، ٢ / ٢٥٩ .
٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٠ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٤٣ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٧٢ .
٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٠ .
٥ - ابو الشهداء ، ص ٥٠ ؛ ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٩ ؛ ابن العربي ، العواصم و القواصم ، ص ١٥٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٥٢ .

وعندما التقى قال له : " على اي شيء عزمت يا ابا عبد الله " . فأخبره الحسين برأيه بالمسير الى الكوفة وما كتب اليه مسلم بن عقيل ، فقال ابن الزبير : " فما يحبسك ؟ فوالله لو كان لي مثل شيعتك بالعراق ما تلومت في شيء " (١) .

و ان رغبة ابن الزبير في أبعاد الحسين (عليه السلام) من الحجاز واضحة في كلامه ، فلم يكن من الناصحين للحسين ، بل من الراغبين في ابعاده حتى و ان كان في ذلك هلاك الحسين و اهله . وذلك لطمع ابن الزبير في حكم الحجاز و هذا لا يتحقق بوجود الحسين (عليه السلام) .

حتى ان ابو حنيفة الدينوري ينقل رواية تبين مدى كشف حقيقة ابن الزبير و رغبته في خروج الحسين من الحجاز ، وذلك عندما عجز ابن عباس من اقناع الحسين بعد الخروج للعراق ، فعندما خرج ابن عباس من الحسين (عليه السلام) مر بابن الزبير فقال له : " قرت عينك يا بن الزبير بخروج الحسين ، ثم تمثّل : خالك الجو ، فيبيضي و أصفري و نقري ، ما شئت أن تنقري " (٢) .

بينما كان انصح الناس للحسين في هذه المسألة هو عبدالله بن عباس و ذلك بحكم القرابة التي كانت بينهم ، وكذلك لما عرف به ابن عباس من دهاء ، فسأل الحسين : " ان الناس ارجفوا انك سائر الى العراق ، فما انت صانع ؟ " .

قال : " قد اجمعت السير في احد يومي هذين " ، فقال ابن عباس بعد ان اعاد بالله من ذلك : " اني اتخوف عليك في هذه الوجه الهلاك ، ان اهل العراق قوم غدر ، اقم بهذا البلد فأنتك سيد اهل الحجاز ، فأن كان اهل العراق يريدونك كما زعموا ، فلينفذوا عدوهم ، ثم أقدم عليهم ، فأن أبيت الا تخرج فسر الى اليمن فأن بها حصوناً و شعاباً و لأبيك بها شيعة " (٣) . ثم قال : " أن كنت لا بد فاعلاً ، فلا تخرج احداً من ولدك و لا حرمك و لا نسانك ، فخليق أن تقتل وهم ينظرون اليك كما قتل ابن عفان " (٤) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٠ - ٥١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٧٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢٥٠ / ٣ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٦٠ .

٢ - الاخبار الطوال ، ص ٢٤٤ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٧٢ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥١ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ٣ / ٣٧٣ - ٣٧٤ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٤٤ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٧٢ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٦٠ .

كما و ينقل ابن حمزه الطوسي عن جابر ابن عبد الله الانصاري (رض) قوله " لما عزم الحسين بن علي عليهما السلام ، على الخروج الى العراق اتيته فقلت له : أنت ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، و احد سبطيه ، لا أرى الا انك تصالح كما صالح اخوك الحسن ، فإنه كان موفقاً راشداً ، فقال لي : يا جابر ، قد فعل اخي ذلك بأمر الله و امر رسوله ، و اني أيضاً افعل بأمر الله و امر رسوله " (١) .

ثانياً : العراق :

خرج الامام الحسين (عليه السلام) في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة ، لان البيعة واخبارها في الكوفة دعتة للتعجيل (٢) ، و بلغ من بايع مسلم ثمانية عشر الفاً على تقدير ابن كثير (٣) ، و قيل ثلاثون الفاً (٤) ، و ابن عبد ربه يذكر انهم " ثلاثين الفاً " (٥) .

فتسابق انصار بني امية بنقل اخبار الكوفة الى يزيد ، فأشار عليه سرجون الرومي مولى معاوية بعزل النعمان بن بشير والي الكوفة وتعيين عبيد الله بن زياد (٦) ، فعمد ابن زياد بعد وصوله الى الكوفة بجمع عرفاء الكوفة و أذرهم : " ايما عريف وجد في عرفته من بغية امير المؤمنين احد لم يرفعه اليه ، صلب على باب داره ، و ألغيت تلك العرافة من العطاء " .

ثم اخذ ابن زياد بالتحايل من اجل القبض على مسلم بن عقيل وقتله و اتبع كل وسيلة من اجل تخذيل الناس عن مسلم حتى كانوا يبعثون الزوجة وراء زوجها والام خلف ابنها ، الاخ خلف اخيه يتعلقون فيهم حتى يقنعوهم بالعودة الى ديارهم ويدخلوا في جيش ابن زياد (٧) .

فأخذ كل من هؤلاء ينسحب واحداً تلو الاخر فيقولوا لهم اهلهم : " انت ما عليك و شغل السلاطين " ، فيعقب الشهيد الصدر الاول محمد باقر عن ذلك قائلاً : " اصبح الانسان لا يعييش

١ - الثاقب في المناقب ، ص ٣٢٢ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥١ ؛ الري شهري ، محمد ، الصحيح من مقتل سيد الشهداء و أصحابه عليهم السلام ، دار الحديث للطباعة و النشر ، قم ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٧٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١٩٣ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٥٨ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥١ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٤٣ ؛ البداية و النهاية ، ٨ / ١٥٢ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥١ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ١ / ١٣١ .

٥ - العقد الفريد ، ٥ / ١٢٦ .

٦ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١ / ٢٠٦ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥ / ١٢٦ .

٧ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٢ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٩ .

الا مصالحه الخاصة لا بد في وضع من هذا القبيل ماتت فيه الارادة . لابد فيه من هز ضمير الامة ، و احياء هذه الارادة و اعادتها من جديد " (١) .

ولما غربت شمس ذلك النهار فلم يبقى مع مسلم (عليه السلام) سوى خمسمائة من تلك الالاف الاربعة ، وعندما صلى المغرب لم يكن خلفه في الصلاة سوى ثلاثين تسلموا عنه تحت ظلام الليل ، حتى بقي وحيداً في المسجد لا يجد منزل يأويه (٢) .

فأمر ابن زياد بعد ذلك بالصلاة في المسجد وقال " برئت ذمة الله من رجل وجدنا ابن عقيل في داره " ، وماهي الا ساعات و جيء بمسلم (عليه السلام) بعد دفاعه عن نفسه فوصل جريحاً الى القصر ظمناً ، فجرت عدة أحداث داخل القصر انتهت بقيام عبيد الله بدعوة احد جنوده الذي ضربه مسلم على رأسه ، و اسمه بكير بن حمران ، فصعد به الى اعلى القصر ، فضربوا عنقه و القوا جثته على الناس و ارسلوا رأسه الى يزيد (٣) . ، فكان مقتله في " التاسع من ذي الحجة الحجة ليلة العيد " وكان خروج الحسين قبل ذلك بيوم ، ولم يسمع الحسين بمقتل مسلم (عليه السلام) الا وهو في اخر الطريق (٤) .

ولما بلغ الحسين على مشارف العراق ، رغب في التاكيد من نواياهم قبل الدخول ، فكتب الى اهل الكوفة و أرسله مع قيس بن مسهر الصيداوي ليخبرهم بقدم الحسين ، وعندما وصل الى القادسية وجد فيها شرطة عبيد الله ، فأعتقلوه و احضروه الى عبيد الله فأمره ان يصعد الى اعلى القصر فيسب " الكذاب بن الكذاب الحسين بن علي " وينهي الناس عن الحسين ، فصعد قيس و قال : "ايها الناس ان هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله ، وانا رسوله اليكم ، وقد فارقت بالحاجز فأجيبوه ، والعنوا عبيدالله بن زياد و ابيه " فما كان من رجال ابن زياد الا ان رموه من حالق فمات ، وكذلك حصل الامر مع عبدالله بن

١ - الصدر ، محمد باقر (ت ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م) ، ائمة اهل البيت و دورهم في تحصين الرسالة الاسلامية ، تح: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ، ط ٢ ، شريعت ، قم ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م ، ص ٤٦٥ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٣ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٩ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٤ - ٥٥ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٤١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١٩٢ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ١ / ١٣١ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ٤٢ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١ / ٢٠٦ .

يقطر الذي رفض سب الحسين وعمد الى لعن ابن زياد فألقوا به من القصر فاندكت عظامه ولم يمت فعمدوا الى ذبحه (١) .

و جعل الحسين (عليه السلام) يسأل كل من رآه قادماً من العراق فيخبرونه بمقتل رسله ، مما دفع اصحابه بدعوته للرجوع وقال آخرين : " ما انت مثل مسلم بن عقيل و ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك اسرع " ، لكن بنو عقيل رفضوا الرجوع و اقساموا بأن يدركوا ثأرهم (٢) .

فهنا رأى الحسين ان لا يصطحب معه احداً الا ان يكون على بصيرة من امره عما هو ملاقيه فخطب بصحبه قائلاً : " قد خذلنا شيعتنا فمن احب منكم ان ينصرف فلينصرف ، ليس عليه منا ذمام " ، فتفرق عنه البعض فلم يلزمه الا اهل بيته و قليلا ممن اتبعوه في الطريق (٣) .

و استمر بالمسير حتى بلغ كربلاء التي شاءت المصادفة ان يساق الى هذه المدينة ركب الحسين (عليه السلام) بعد ان حيل بينه وبين كل مكان اخر، فأقترن تاريخها منذ تلك اللحظة بتاريخ الاسلام ، ومن حقه الاقتران بتاريخ بني الانسان حيثما عرفت لهذا الانسان فضيلة يستحق بها التخليد والتنويه ، " فهي اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى ، و يزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة ، لكنها لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد ، لحق لها ان تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة و حظاً من الفضيلة ، لأننا لانذكر بقعة من بقاع هذه الارض يقترن اسمها بجملة من الفضائل و المناقب اسمى و ألزم لنوع الانسان من تلك التي اقترنت بأسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها " ، ثم يكمل العقاد قائلاً : " ما من احد قتل في كربلاء ، الا كان في وسعه ان يتجنب القتل بكلمة او بخطوة ، ولكنهم جميعاً آثروا الموت عطاشاً جياعاً مناظرين على أن يقولوا تلك الكلمة او يخطوا تلك الخطوة ، لأنهم آثروا جمال الاخلاق على تاع الحياة ، وحسبك من تقويم الاخلاق في نفس قائدها و قدوتها انهم رأوه بينهم

١ - العقاد ، ابو الشهداء و ص ٥٥ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ٣ / ٣٧٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٦٢ ؛ باسولم ، موسوعة آل بيت النبي ، ٢ / ٢٦١ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٥٣ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٥٦ ؛ الامين العاملي ، محسن الامين العاملي ، لواعج الاشجان في مقتل الحسين ، تح: حسن الامين ، دار الامير ، بيروت ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٦٧ .

فأقتدوه بأنفسهم ، ولن يبتعث المرء روح الاستشهاد فيمن يلزمه الا ان يكون اهلاً للاستشهاد في سبيله و سبيل دعوته ، و ان يكون في سليقة الشهيد الذي يأتم به الشهداء " (١) .

و مع هذا نجد بأنه لا يوجد قول اجمل مما قاله العقاد بحق كربلاء ، وهي كما قال اصبحت مزاراً و مناراً للمسلمين وغير المسلمين و رمزاً للثوار ضد فساد الحاكم وحاشيته ، و رمزاً للتضحية من اجل صلاح الامة ، فلم تكن كربلاء يوماً حكراً على طائفة دون اخرى ، وانما كانت و مازالت لبني الانسان جميعاً كما اراد لها الحسين ان تكون .

انصار الفريقين:

عندما كان الامام الحسين (عليه السلام) في طريقة الى الكوفة ، يسأل من يلقاه عن اوضاع الناس فيخبرونه عن موقفهم منه و من بني امية ، و سأل الحسين (عليه السلام) الفرزدق عند خروجه من مكة ، و الفرزدق معروف بتشيعه لآل البيت (عليهم السلام) ، فقال له : " قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل مايشاء " (٢) .

وقال مجمع بن عبيد العامري للحسين : " اما اشراف الناس فقد اعظمت رشوتهم و ملئت غرائرهم ، فهم ألب واحد عليك ، و أما سائر الناس بعدهم فأن قلوبهم تهوى اليك و سيوفهم غداً مشهورة عليك " (٣) .

فقد صاب الرجال فأن جميع الناس كانت أفئدتهم و أهوائهم مع الحسين مالم تكن لديهم منفعة موصولة ببني أمية ، و قد أعطيت الرشوة للرؤساء و كذلك الوعود والامال ، فعرفوا أن دوام عزهم بدوام ملك بني أمية ، فالرؤساء الذين لديهم مكانة بمعزل عن الامويين كانوا يناصرون الحسين (عليه السلام) و من هؤلاء هانئ بن عروة من زعماء قبيلة كندة ، وشريك بن الاعور و سليمان بن صرد وجميعهم من ذوي الدين والشرف . وهناك من العاملين مع بني أمية ممن أوقفه ضميره عندما بلغ العداة للحسين اشده ، فتركوا معسكر الامويين و لاذوا بمعسكر

١ - ابو الشهداء ، ص ٧٧ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٢ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ٣ / ٣٧٦ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٥١ ؛ ابن خياط ، تاريخ ، ص ٥٧ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٦٥ ؛ السماوي ، محمد بن طاهر (ت ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠م) ، ابصار العين في انصار الحسين ، تح: محمد جعفر الطبسي ، مركز الدراسات الاسلامية لحرس الثورة ، قم ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م ، ص ١٤٦ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت النبي ، ٢ / ٢٥٩ .

الحسين . كما فعل الحر بن يزيد الرياحي في كربلاء الذي عندما لاحظ القوم يهمون بقتل أبا عبدالله ولا يقتنعون بحصاره ، فعمد الى سؤال عمر بن سعد قائد الجيش : " أمقاتل أنت هذا الرجل ، فقال : " نعم " ، ترك الحر الجيش الاموي بعد سماع ذلك ، و اقترب من الحسين (عليه السلام) وقال له : " جعلت فداك يا ابن رسول الله . أنا صاحبك حبستك عن الرجوع و جعلت بك في هذا المكان ، وما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم ، و والله لو علمت أنهم ينتهون بك الى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت ، و أني تائب الى الله مما صنعت فهل ترى لي من توبة " ، فقبل الحسين توبه وقاتل بين يدي الحسين حتى قتل و آخر كلام دار على لسانه هو : " السلام عليك يا أبا عبد الله " (١) .

ويذكر العقاد عند المقارنة بين يزيد ووالده معاوية يقول أن معاوية كان له مشيرون من ذوي الرأي كالمغيرة بن شعبة و عمرو بن العاص و زياد بن أبيه و هؤلاء من الدهاة أنصار الدول و بناء العروش كما يسميهم التاريخ ، لكنهم بادوا جميعاً في زمن معاوية ، ولم يبقى ليزيد غير شردمة وصفت بشرذمة من الجلادين ، فيقتلون من أمر بقتله ويقبضون الثمن فرحين . فيصف العقاد انصار يزيد قائلاً : " كان أعوان يزيد جلادين وكلاب طراد في صيد كبير وكانوا في خلانقهم البدنية على المثال الذي يعهد في هذه الطغمة من الناس و نعني به مثال المسخاء المشوهين " ، وشر هؤلاء جميعاً كما يصغه العقاد هو شمر بن ذي الجوشن مسلم بن عقبة و عبيد الله بن زياد و عمر بن سعد بن ابي وقاص (٢) .

فأما شمر بن ذي الجوشن كان كرية المنظر أبرص قبيح الصورة (٣) ، و يصطنع المذهب الخارجي و أتخذ حجة ليحارب به علياً و أولاده ، ولم يتخذ حجة لحرب معاوية و أبناءه ، أي أنه يتخذ الدين حجة للحقد ، ينسى بعد ذلك الحقد والدين من أجل المال، و عندما تلقى ابن زياد كتاباً من عمر بن سعد جاء فيه أن الحسين : " أعطاني أن يرجع الى المكان الذي أقبل منه او ان نسيره الى اي ثغر من الثغور شتناً، او ان يأتي يزيد فيضع يده في يده " (٤) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٣ - ٤٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٧١ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٨٠ ؛ الصلابي ، تاريخ الدولة الاموية ، ص ٢٤٣ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٤٤ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٥ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ١١٧ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٦٠ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥ / ١٢٨ ؛ ابن المطهر ، البدء و التاريخ ، ١ / ٣٣١ ؛ ابي القاسم الاصبهاني ، ابي القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التميمي الاصبهاني (٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م) ، الحجة في بيان المحجة و شرح عقيدة أهل السنة ، تح: محمد بن محمود أبو رحيم ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ٢ / ٥٢٤ ؛ ابن العربي ، العواصم و القواصم ، ص ٢٤٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٦٨ ؛ ابن العديم ، بغية الطلب ، ٣ / ٣٠ ؛ المغلوث ، سامي بن عبدالله بن أحمد ، أطلس الفرق و المذاهب في التاريخ الاسلامي ، العبيكان للتعليم ، الرياض ، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م ، ص ٨٥ .

وقبل الدخول في تفاصيل هذا الكتاب ، نذكر موقفاً شمرأً منه ، حيث عندما وصل هذا الكتاب الى ابن زياد جنح ابن زياد الى شيء من الهوادة ، لكن شمرأً نهاه و دعاه الى الاعتساف و الشدة وقال له : " أتقبل هذا منه و قد نزل بأرضك و الى جنبك ، والله لنن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة و العزة و لتكونن أولى بالضعف والعجز ، ولكن لينزل على حكمك هو و أصحابه ، فأن عاقبت كنت أولى بالعقوبة و أن عفوت كان ذلك لك " (١)

ومن كلام شمرأً هذا يتضح لنا على اي شر انطوت سريرته وهو يلح على عبيد الله بالمضي لقتل الحسين (عليه السلام) مع سبق الاصرار ، ومن هنا يتضح لنا أن شمرأً كان متعمداً قتل الحسين دون تردد ، ولم يثنيه قرابة الحسين للنبي و شرفه و خلقه.

اما في شأن الكتاب الذي ارسله عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد و يقول له في نهاية كلامه بأن الحسين طلب منه ان يأتي يزيد فيضع يده في يده ، فيعقب العقاد على هذا الكتاب ، مشككاً به لا بل نافياً له فيقول : " و الذي نراه نحن من مراجعة الحوادث و الاسانيد أن الحسين ربما أقترح الذهاب الى يزيد ليرى رأيه ، لكنه لم يعدهم أن يبايعه أو يضع يده في يده ، لأنه لو قبل ذلك لبايع في مكانه ، ولعل عمر بن سعد قد تجاوز في نقل كلام الحسين عمداً ليأذنو له في حمله الى يزيد فيلقى عن كاهله مقاتلته و ماتجر اليه من سوء القالة و وخز الضمير ، أو لعل الاعوان الامويين قد أشاعوا عن الحسين اعترامه للمبايعة ليلزموا بالبيعة أصحابه من بعده ، ويسقطوا حجتهم في مناهضة الدولة الاموية " (٢) .

فلا نجد كلام خيرا مما قاله العقاد في نفي صحة هذا الكلام ولم يقف عند هذا الحد بل يذهب العقاد الى نقل كلام بعض ممن صاحب الحسين حتى استشهاده من اجل الاطلاع الكامل على رأي الحسين (عليه السلام) و قراره حتى نهاية حياته ، ليثبت بأن قرار الحسين و موقفة من رفض بيعة يزيد كان ثابتاً منذ خروجه من المدينة حتى استشهاده .

فينقل عن عقبه بن سمعان قوله : " صحبت الحسين من المدينة الى مكة و من مكة الى العراق ، ولم أفارقه حتى قتل و سمعت جميع مخاطباته الى الناس الى يوم قتله . فو الله ما أعطاهم ما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد و لا أن يسيره الى ثغر من الثغور ، ولكنه

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٦١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٦٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٦٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢ / ١٠٣ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٦٠ .

قال : دعوني أرجع الى المكان الذي أقبلت منه أو دعوني أذهب في هذه الارض العريضة حتى ننظر الى ما يصير اليه أمر الناس " (١) .

اذا كان العقاد نقل كلام من رافق الحسين (عليه السلام) ليثبت اصرار الحسين على عدم بيعة يزيد. فنحن هنا نذهب الى نقل كلام للحسين (عليه السلام) نفسه ، وذلك عندما طلب منه عبد الله بن عمر بن الخطاب ان يبايع يزيد و أن يصبر عليه كما صبر على ابوه معاوية خوفاً عليه من القتل ، فأجابه الحسين (عليه السلام) قائلاً : " أبا عبد الرحمن ! أنا أبايع يزيد و أدخل في صلحه ، و قد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه و في أبيه " (٢) .

فمن كانه رده بهذا التعجب من قول ابن عمر ، كيف يمد يده فيما بعد لمبايعة يزيد

اما مسلم بن عقبة يصفه العقاد : " بأنه مخلوق مسمم الطبيعة في مسلاخ إنسان " وبلغ به شره وهو مريض و شيخ فان حيث اباح مدينة رسول الله ثلاثة ايام و جزر أهلها بالسيف كما يجزر القصاب الغنم ، قتل أبناء الصحابة من المهاجرين والانصار (٣) ، و أخذ ليزيد البيعة من كل من أبقاه من الصحابة على أنه " عبد قن لأمير المؤمنين " (٤) ، و انطلق جنوده الى "جوار قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسلبون اموال الناس و يفسقون بالنساء حتى بلغت القتلى سبعمائة من الأشراف و عشرة الاف من الموالي " (٥) ، ثم كتب بذلك الى يزيد واصفاً له ما فعل وصف المتهمل الظافر فقال له : " فأدخلنا الخيل عليهم .. و أوقعنا بهم السيوف و قتلنا من أشرف لنا منهم و أتبعنا مدبرهم و أجهزنا على جريحهم و أنهبناها ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين .. وجعلت دور بني الشهيد عثمان بن عفان في حرز و أمان . و الحمد لله الذي شفا صدري من

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٦٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٦٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٦٨ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٥٧ ؛ البلداوي ، وسام برهان ، تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء ، العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م ، ١ / ١٨٢ - ١٨٣ .

٢ - ابن أعمم الكوفي ، الفتوح ، ٣ / ٢٦ .

٣ - ابو الشهداء ، ص ٤٥ ؛ الياضي ، مرآة الجنان ، ص ٦٣ ؛ ابن الضياء العمري ، تاريخ مكة المشرفة و المدينة ، ص ٤٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١ / ٦٤ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٥ ؛ ابن حبيب ، المنمق في اخبار قریش ، ص ٩١ ؛ المسعودي ، تاريخ ، ١ / ٢٠٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٣٠٦ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٧٨ ؛ ابن حبان ، السيرة ، ١ / ٥٥٥ ؛ ابن المطهر ، البدء و التاريخ ، ١ / ٣٣٢ ؛ ابن حزم الاندلسي ، جوامع السيرة ، ص ٣٥٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٩١ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ٤٣ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ١ / ١٣٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ٤٤٨ م) ، لسان الميزان ، تج: دائرة المعارف النظامية - الهند ، ط ٢ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م ، ٣ / ١٢٦ .

٥ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ٢٠٦ .

أهل الخلاف القديم و النفاق العظيم ، أكتب هذا الى أمير المؤمنين و أنا في منزل سعيد بن العاص مدناً مريضاً ما أراني الا لما بي ، فما كنت أبالي متى مت بعد يومي هذا " (١) .

روى ابن خلكان يصف لنا بشاعة ما حصل من استباحة جيش مسلم بن عقبة للمدينة فيقول : " ولدت أكثر من ألف بكر من اهل المدينة، ممن ليس لهم ازواج، بسبب ما جرى فيها من الفجور " (٢) .

فأى فسق هذا ، و اي فجور دون رعاية قدسية المكان ، فضلاً عن عادات العرب و تقاليدهم .

اما تعقيب العقاد على هذا الكلام فيقول : " وكل هذا الحقد المتأجج في هذه الطوية العفنة إنما هو الحقد في طبائع المسخاء الشائهيين . يوهم نفسه أنه الحقد من ثأر عثمان أو من خروج قوم على ملك يزيد " (٣) .

و لنا تعقيب اخر لكلام مسلم هذا ، حيث يثير كلام مسلم بن عقبة في النفس عدة أسئلة منا :

لماذا اباح المدينة بالتحديد دون مكة ؟

ومن هم أهل الخلاف القديم الذين يصفهم مسلم ؟

من كلام مسلم يتبين لنا الحقد الدفين الذي يعتلي ليس قلوب بني أمية فقط و إنما حاشيتهم أيضاً ، و مدى الحقد الي يحملونه للسنين ، فأباحته للمدينة هو استهداف لشخص النبي دون غيره وهو الحقد الذي لايزال في نفوس الامويين ضده لأسباب تتعلق بالزعامة السياسية و المالية التي كان يتمتع بها بني أمية قبل بزوع شمس الدين الجديد .

‘ ما أهل الخلاف القديم فيصف من قتلهم من المهاجرين و الانصار ، و (الخلاف القديم) انا لنظنه قاصداً بذلك معركة بدر ، و من قتل من الامويين في هذه المعركة و الثأر لهم و ليس الثأر لعثمان ، لان بدر الذي قتل فيها علي (ع) من الامويين ماقتل ، و صرح يزيد حين قتل الحسين بأنه اخذه بثار بدر ، ولم يصرح يزيد يوماً بالثار لعثمان ربما لأنه كان عارفاً بأنه لم يكن

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ٤٥ - ٤٦ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة و السياسة ، ١١ - ٢٤٠ - ٢٤١ ؛ السمهودي ، خلاصة الوفا ، ص ٧٢ .

٢ - وفيات الاعيان ، ٦ / ٢٧٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢ / ٦٣ ؛ السمهودي ، خلاصة الوفا ، ص ٧٣ .

٣ - ابو الشهداء ، ص ٤٦ .

علي (عليه السلام) يد بمقتله ، و انما تلك اكدوبةً أحدثها والده معاوية لتأجيج الامة على علي (عليه السلام) ، و ان مقام به مسلم من سفك الدماء و هنك الاعراض بجوار قبر النبي ما هو الا تنفيذاً لطلب يزيد، وذلك ماقاله مسلم في كلامه بأنه اباحها ثلاثاً تنفيذاً لأمر [امير الفاسقين] يزيد لعنه الله .

ومن رجال يزيد الاخرين هو عبيد الله بن زياد : " متهم النسب في قريش ، لان أباه زياداً كان مجهول الاب فكانوا يسمونه زياد بن أبيه ، ثم الحقة معاوية بأبي سفيان ، لان أبا سفيان ذكر بعد نبوغ زياد ، أنه قد سكر بالطائف ليلة فألتمس بغياً فجاؤوا بجارية تدعى سمية ، فقالت له بعد مولد زياد أنها حملت به في تلك الليلة " (١) ، وهذا ما اعاب به الحسين (عليه السلام) معاوية في كتاب ارسله له : " أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الولد للفراش و للعاهر الحجر ، فتركت سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تعمدا .. ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ، يقطع أيديهم و ارجلهم ، ويسمل عيونهم .. كأنك لست من هذه الامة و ليسوا منك " (٢).

اما أم عبيد الله كانت جارية مجوسية أسمها مرجانة (٣) ، وكان عبيد الله يأمر بالقتل و قطع الايدي والارجل في ساعة الغضب وذلك عليه هين، وصدق مسلم بن عقيل حين قال عنه : " ويقتل النفس التي حرم الله قتلها على الغضب والعداوة وسوء الظن ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيء " (٤) .

ويقول العقاد : " من لم يمسخوا في تكوينهم هذا المسخ من أعوان يزيد بن معاوية ، كان الطمع في المناصب و الاموال واللذات قد بلغ بهم يبلغه المسخ من تحويل الطبائع و طمس البصائر و مغالطة النفوس في الحقائق و من هذا القبيل عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي أطاع عبيد الله بن زياد في وقعة كربلاء ، ولم يعدل بتلك الوقعة عن نهايتها المشؤمة ، وقد كان

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٦ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٥٠ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١ / ١٥٥ - ١٥٦ ؛ القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، تح: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ١٢٥ ؛ الذهبي ، العبر ، ٤١/١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٤ / ٤٩٥ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ١ / ٤٠٣ ؛ ابن حجر ، لسان الميزان ، ٤١٠/١ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٤٨ / ٢ .
٢ - ابن قتيبة الدينوري ، الامامة و السياسة ، ١ / ٢٧٩ ؛ السبحاني ، الائمة الاثنى عشر ، ص ٥١ ؛ القرشي ، باقر شريف ، حياة الامام الحسين ، مدرسة العلمية الايرواني ، قم ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ٢ / ١٥٠ .
٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٦ ؛ ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ٥ / ١١٤ .
٤ - ابن أعمش الكوفي ، الفتوح ، ٣ / ٦٤ ؛ المفيد ، ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م) ، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث ، مؤسسة آل البيت ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ٢ / ٦٢ .

العدول بها عن تلك النهاية بيده " ، وقد أغرى ابن زياد عمر بن سعد بمنحه ولاية الري (١) ، وهذه تعد درة التاج في ملك الاكاسرة القدماء ، وكان عمر بن سعد يمني النفس بحكمها منذ فتحها أبوه ، كما وينسب اليه وهو يحدث نفسه في مقاتلة الحسين ، انه قال :

فو الله ما أدري و أني لحائر أفكر في أمري على خطرين
أترك ملك الري و الري منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرّة عيني (٢) .

و اذا لم تكن هذه الابيات له ، فهي بلا شك عن لسان حاله، لكن الواقع الذي لا ينكره الجميع أن ابن سعد هذا لم يكن يخلوا من غلظة في الطباع فهو الذي سار بنساء الحسين (عليه السلام) بعد قتله على طريق جثث القتلى وهي لاتزال بالعراء ، فتصايحن بعد لمحها في الطريق صيحة أجرت الدمع من عيون رجاله ، وهم الذين قتلوا الحسين و ذويه .

ومن أمثلة هؤلاء كثيرون ، فيصف العقاد يزيد ورجاله قائلاً : " ومنذ قضى على يزيد أن يكون هؤلاء و أمثالهم أعوانا له في ملكه قضى عليه من ساعتها أن يكون علاجه لمسألة الحسين علاج الجلادين الذين لايعرفون غير سفك الدماء ، والذين يسفكون كل دم أجروا عليه ، وهكذا كان ليزيد أعوان اذا بلغ أحدهم حده معونته فهو جلال مبذول السيف والسوط في سبيل المال . و كان للحسين أعوان اذا بلغ أحدهم حده في معونته فهو شهيد يبذل الدنيا كلها في سبيل الروح ، وهي أذن حرب جلادين و شهداء " (٣) .

ان ما ذكره العقاد عن أعوان يزيد وجنوده و الصفات المأثومة و الرذيلة التي اتصفوا بها فضلاً عن الجشع و حبهم لدنيا المناصب والملذات فلا نستغرب منهم أن يقدموا على ما أقدموا عليه من قتل ابن بنت رسول الله و ريحانته من الدنيا ، فمن يتحمل هذا الوزر العظيم غير هذه النفوس الدنيئة .

١ - ابو الشهداء ، ص ٤٧ ؛ ابن المطهر ، البدء و التاريخ ، ١ / ٣٣١ .
٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٦٧ ؛ بن طاووس ، علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني (ت ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م) ، الملهوف في قتلى الطفوف ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ١٩٣ .
٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٤٨ .

بعد الحديث عن أعوان يزيد و أنصاره ، ننتقل لذكر أنصار الامام الحسين (عليه السلام) و صحبه الاوفياء الذين عجز التاريخ من أن يجد لهم مثيل .

نجد العقاد عند حديثه عن صحب الحسين (عليه السلام) يستهل كلامه بالبدء بالحديث عن ولده علي الاكبر (عليه السلام) حيث أتى الفتى الصابر على أبيه الحسين (عليه السلام) ، وقد عرف انهم مخيرون بأمرين لا ثالث لهما وهو اما الموت و أما التسليم فسأل والده :

" أسنا على الحق ؟

قال الوالد المنجب النجيب : بلى والذي يرجع اليه العباد .

فقال الاكبر : يا أبة . فأذن لانبالي . فكان علي الاكبر (عليه السلام) هو أول من قتل من آل أبي طالب (١) . فهكذا كانوا جميع أنصار الحسين لا يباليون ما يواجهون طالما علموا أنهم عاملون بالحق ويقتلون من أجله . و أن الحسين علم أن الموت لا يريد غيره ، فأراد أن يجنب ذلك صحبه ، فجمعهم مرة بعد أخرى فيقول لهم " لقد بررتم و عاونتم و القوم لا يريدون غيري ، و لو قتلوني لم يبتغوا غيري أحدا ، فأذا جن عليكم الليل فتفرقوا في سواده و أنجوا بأنفسكم " . و قول الحسين هذا لأصحابه كان مؤثراً بهم حيث يصف العقاد ردة فعلهم لهذا الكلام قالاً : قول الحسين هذا لهم " فكأنما كان أراد لهم الهلاك ولم يرد النجاة ، و فزعوا من رجائهم أياه ما يفزع غيرهم من مطالبتهم بالثبات و البقاء " . فقالوا له : " معاذ الله والشهر الحرام . ماذا نقول للناس اذا رجعنا لهم ؟ أنقول لهم أنا تركنا سيدنا و ابن سيدنا و عمادنا تركناه غرضاً للنبل و دريئة للرماح و جزراً للسباع ، و فررنا عنه رغبة في الحياة ، معاذ الله ، بل نحيا بحياتك و نموت معك " (٢) .

فقالوا له نموت معك ولم يخطر في بال أحد منهم أن يقنعه بالعدول عن رأيه من أجل نجاتهم ونجاته ، ولم يزينوا له التسليم و يسمونه نصيحة مخلصين مريدين الحياة ، لكنهم لم يخدعوا أنفسهم و لم يخدعوه ، فرأوا أصدق النصح له هو أن يجنبوه البيعة و التسليم و " لا يجنبوه الموت " (٣) .

١- ابو الشهداء ، ص ٧٨ ؛ الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م) ، استشهاد الحسين ، تح: السيد الجميلي ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٣٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٦٦ ؛ السماوي ، اصار العين في أنصار الحسين ، ص ٥٠ - ٥١ .

٢- ابو الشهداء ، ص ٧٨ - ٧٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١ / ٢٠٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٦٩ ؛ بن طاووس ، الملهوف لقتلى الطفوف ، ص ٥٥ - ٥٦ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٧٦ .

٣- العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٧٩ .

ولم يكونوا جميعهم من أبناء عمومته و أقرباه بل كان فيهم من الغرباء الكثير ، فقال له زهير بن القين : " والله لو ددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة ، و يدفع الله بذلك القتل عن نفسك و عن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك " (١) .

اما مسلم بن عوسجه قال له و كأنه يعاتب الحسين حين أختار لهم السلامة : " أنحن نخلى عنك ؟ و يم نعتذر الى الله في أداء حقك ؟ لا والله حتى أطعن في صدورهم برمحي و اضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي و لو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقتلهم بالحجارة ، و الله لانخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك ، و أما والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أحرق ثم أذرى و يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارتكك حتى ألقى حممي دونك " (٢) .

و احد اصحابه الغرباء جاءه خبر عن ولده في فتنة الديلم و أن الديلم قد اسروه ، و لا يطلقون سراحه بغير فداء ، فطلب الحسين منه أن ينصرف و قال له بأنه في حل من بيعته و أن يعطيه الحسين فداء ولده ، فرض الرجل ذلك رفضاً شديداً و قال : " عند الله أحسبه و نفسي " ثم قال للحسين : " هيهات أن أفارقك ثم أسأل الركبان عن خبرك ، لا يكن والله هذا أبداً " (٣) .

ولم يذكر العقاد اسم هذا الرجل من أنصار الحسين ، لكن بعد الاطلاع على سير أصحاب الحسين (عليه السلام)، تبين لنا أنه بشر بن عمرو الحضرمي الكندي (٤) .

فهؤلاء خير الاصحاب فما رأوه من الحسين حتى يذوبوا به هذا الذوبان ، فمدى ذلك العشق الذي يجعل صاحبه يقول حتى أقتل الف مرة ليدفع له عنك ذلك ، و الاخر يغضب ويحزن من دعاء الحسين لهم بالنجاة ، و الاخر يترك الابن مرتين بين الاعداء وقد منحه الحسين الرخصة و المال لكنه يفضل الاستشهاد مع الحسين ، فيقف العقل هنا وقفة الذهول ، و حب الدنيا من طباع بني آدم ما الذي أصاب هؤلاء ؟ فماذا قال لهم الحسين ؟ وماذا صنع بقلوبهم ؟ وماذا رءوا منه ، أم هو الحق الذي وجدوه بوجود الحسين و هو اخر ابن بنت نبي على وجه الارض . فهنيئاً لهم ذلك الموقف الخالد ، يا ليتنا كنا معكم فنفوز معكم كما فزتم و خلدتم .

^١ العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٧٩؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤ / ٣١٨ ؛ بن طاووس ، الملهوف لقتلى الطفوف ، ص ٥٦ ؛ السماوي ، ابصار العين ، ص ١٦٤ .

^٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٧٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤ / ٣١٨ .

^٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٧٩ ؛ ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٧٨ ؛ السماوي ، ابصار العين ، ص ١٧٤ .

^٤ - ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٧٨ ؛ السماوي ، ابصار العين ، ص ١٧٣ .

فإذا كانت هذه شجاعة جنده فما شجاعته ، فيقف العقاد عاجزاً في وصف الحسين في كربلاء : " فلا يدري أكان في شجاعته أشجع ، أم في صبره أصبر أم في كرمه أكرم أم في إيمانه و أنفته و غيرته على الحق بالغاً من تلك المناقب المثلى أقصى مداها ، فكان الحسين شبل علي في شجاعته الروحية والبدنية . وكان مضرب المثل بين الرعيل الاول من أشجع الشجعان في أبناء أدم وحواء " (١) .

ثم يكمل العقاد واصفاً رباطة جأش الحسين (عليه السلام) : " ملك جأشه و كل شيء من حوله يوهن الجأش ، ويحل عقدة العزم ، و يغرى بالدعة و المجارة ، ملك جأشه و من حوله نساؤه و أبناؤه في نضارة العمر ، يجوعون و يظمأون و يتشبثون به و يبكون ، فكان قبل القتال وفي حومة القتال قوياً بصيراً ينفذ الضعف عن عزائمه ، كما ينفذ الاسد غبرات الحصباء عن لبدته ، ولم يخامرہ الاسف قط في ذلك الموقف المرهوب الا من اجل احبائه و اعزائه الذين يراهم و يرونه و يسمع صيحتهم و يسمعون " ، و جلس في ليلة القتال بخيمته وهو يعالج سهاماً له وكان يرتجز أبيات من الشعر و أمامه يرقد ابنه العليل علي السجاد (عليه السلام) :

يا دهر أف لك من خليل

كم لك بالاشراق و الاصيل

من صاحب وماجد قتيل

والدهر لا يفتن بالبديل

وكل حي سالك سبيل (٢)

و الامر في ذلك الى الجليل

لكنه (عليه السلام) لم يبدو عبرته لكي لا يراه ابنه فيزيد ألماً الى المه ، فسمعتة اخته العقيلة زينب (عليها السلام ت ٦٢ هـ) فخرجت اليه من خيائها وهي حاسرة و نادته : " واثكلاه ، اليوم مات جدي رسول الله و امي فاطمة الزهراء و ابي علي و أخي الحسن فليت الموت أعدمني الحياة يا حسيناه ، يا بقية الماضين و ثمالة الباقيين " (٣) .

١ - ابو الشهداء ، ص ٨٠ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٨٠ ؛ البيهقي ، تاريخ ، ١ / ٢٠٦ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤ / ٣١٩ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١٩٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٦٩ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٧٧ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٤ / ٣٣٥ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٨٠ ؛ ابن نما الحلبي ، محمد بن جعفر بن ابي البقاء (٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م) ، مثير الاحزان ، تح: مؤسسة الامام المهدي ، (د.ط) ، قم ، (د.ت) ، ص ٤٩ ؛ بنت الشاطي ، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ، تراجم سيدات بيت النبوة ، دار الريسان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٧٤٦ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت النبي ، ٢ / ٢٦٧ .

فبكى الحسين لبكائها ، لكن ذلك لم يثني ذرة من عزمه ، وقال لها : " يا اخت لو ترك القطا لنام . ولم يزل يناشدها و يعزيها و هو في قرارة نفسه مستقر كالطود على مواجهة الموت و أباء التسليم أو النزول على حكم أبن مرجانه كما قال ، ثم أحتملها ماشياً عليها حتى ادخلها الخباء " (١) .

شجاعة أصحاب الامام الحسين (عليه السلام) :

كان هنالك عسكران أحدهما كان صغيراً و يعاني من الضيق و العطش ، وفي الوقت ذاته كان مطمئناً للموت ، لانه كان في سبيل الحق و ما يزيده هذه الضيق و العطش الاطمأنينة هذا المصير ، اما العسكر الثاني كان أكبر لكنه يخون نفسه ، وكل واحد منهم تملكه الحيرة بين الخوف و الندم و الاضطراب ، فطال القلق الذي داخل عمر بن سعد فأطلق سهمه في الفضاء فيقول العقاد: " كأنه كان متشبهاً بصدوره فأستراح منه بأنطلاقه" ثم زحف ابن سعد بالقرب من معسكر الحسين ، و اخذ سهماً ورماه على المعسكر و هو يقول: " اشهدولي عند الامير انني اول من رمى الحسين " (٢) .

ثم توالى عليهم السهام ، بذلك تكون قد بطلت حجة السلم ، وعندما لاحظ الحسين (عليه السلام) السهام ، قال لأصحابه : " قوموا ياكرام فهذه رسل القوم اليكم " (٣) ... و بذلك بدأ القتال .

و استعد الحسين لهذه المنازلة التي كان ينتظرها ، لكنه تريث حتى يبدؤه بالقتال من جانبهم فيكون عليه الدفاع و جوباً ، وقد أختار رابية له يحتمي من ورائها ، فوسع وهدتها فأصبحت خندقاً ، لا يمكن عبوره ، فأوقد بها النار ليمنعهم الالتفاف عليه من الخلف ، و عددهم ضعف جيش الحسين بستين مره لو أصح الترجيح ، وكان معه (عليه السلام) " اثنتان و ثلاثون فارساً

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٨٠ - ٨١ ؛ القزويني ، محمد كاظم ، زينب الكبرى من المهدي الى اللحد ، تح: مصطفى القزويني ، دار المرتضى ، بيروت ، (دب) ، ص ٢٢١ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٨٩ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٧٤ ؛ الطبري ، أستشهاد الحسين ، ص ١٢٠ ؛ الخوارزمي ، مقتل الحسين ، ١ / ١١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٧٢ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٨١ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٢ / ٨٠ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٨٩ ؛ ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ٣ / ١١٢ .

و أربعون رجلاً^(١) ، وهم نيف و أربعة الاف ، يكثر فيهم الفرسان و راكبوا الابل يحملون صنوفاً مختلفة من السلاح " .

اما الطبري فيقول كان اصحابه "خمسة و أربعين فارساً ومائة رجل" (٢) ، اما الخوارزمي يذكر كان عدد جيش عمر بن سعد "أثنين وعشرين ألفاً يزيد أو ينقص" (٣) .

ومع ذلك التفاوت الكبير في عدد المعسكرين ، فكان المعسكر القليل كفوفاً للاخر الكثير لو تم القتال على طريقة المبارزة ، التي كانت معروفة بذلك العصر ، فيقول العقاد : " أن آل علي جميعاً كانوا من أشهر العرب – بل من أشهر العرب والعجم – بالقوة البدنية و الصبر على الجراح و الاضطلاع بعناء الحرب ساعات بعد ساعات ومنهم من كان يلوي الحديد فلا يقيمه غيره " ، و فمهم محمد بن الحنفية الذي غلب جبابرة القوة البدنية من العرب والعجم في أيامه ، و من أشهر هؤلاء الجبابرة رجلاً من أرض الروم كان يفتخر به قومه ، فأرسله ملكهم الى معاوية ليعجز به العرب عن مناجزته ، فجلس محمد بن الحنفية و طلب من ذلك الرومي أن يقيمه ، " فكان كأنما يحرك جبلاً لصلابة أعضائه و شدة أسرة ، فلما أقر الرجل بعجزه رفعه محمد فوق رأسه ثم جلد به الارض مرات " (٤) .

إذا هذه كانت شجاعة محمد بن الحنفية فما هي شجاعة الحسين (ع) ، وليس ذلك بغريب عن ولد علي وهو قالع الباب التي عجز الرجال عن هزها .

اما الحسين (ع) كان هو و من كان معه من شباب آل علي ورثو تلك القوة البدنية كما كانوا قد ورثوا رباطة الجأش ، وكانوا كفوفاً لمبارزة الاعداء واحداً بعد آخر حتى يفرغ معسكر عبيد الله من فرسانه و رجاله المعروفين بالمبارزة ، و كان مع الحسين (ع) نخبة من أشهر فرسان العرب لهم شهرة في الشجاعة و سداد الرمي بالسهم والبأس و مضاء الضرب في السيف فيقول العقاد أن مصاحبة هؤلاء للحسين في هذه المرحلة تعد لوحدتها آية على الشجاعة في ملاقات الموت ، فبدأ القتل بهجوم خيل جيش عبد الله فشرع الاصحاب لهم رماحهم و جثوا على ركبهم ينتظرونها ، فلم تقم الخيول للرماح وكادت ان تجفل مولية براكبيها ، فمال الفريقين للمبارزة ، فلك يخرج أحد من جيش ابن زياد الا تعرض للفشل ، فخاف رؤساء الجيش من عاقبة هذا المبارزة التي لا امل عندهم في الانتصار بها ، فصاح عمر بن الحجاج بأصحابه : "

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٨٩ ؛ الخوارزمي ، مقتل الحسين ، ٦ / ٢ .

٢ - استشهاد الحسين ، ص ٨١ .

٣ - مقتل الحسين ، ٧ / ٢ .

٤ - ابو الشهداء ، ص ٨٩ - ٩٠ .

أندرون من تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان مصر و قوماً مستميتين ، لا يبرز اليهم منكم أحد فأنهم قليل . لو لم ترموهم الا بالحجارة لقتلتموهم " . فأستحسن عمر بن سعد كلامه و نهى الجيش من المبارزة (١) .

و عندما برز عابس بن أبي شبيب الشاكري فتحدهم لبيارزوه فأمتنعوا لشجاعته ، فهربوا عنه بعيداً حتى قال عمر لهم : " أرموه بالحجارة " ، فرموه من جميع الجوانب فأستمات و رمى درعه و حمل عليهم فهزمهم وثبت حتى مات (٢) . رحمه الله

فعجزت خيلهم مع كثرتها من مناجزة خيل الحسين (عليه السلام) و هي تنكشف في كل ساعة عن قتيل جديد من الفرسان فأرسل عروة بن قيس و هو مقدم الفرسان لجيش عبيد الله بن زياد الى عمر بن سعد يقول : " ألا ترى ماتلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ؟ أبعث اليهم الرجال و الرماة " فبعث اليهم ابن سعد خمسمائة من الرماة و قائدهم الحصين بن نمير فرموا أصحاب الحسين (عليه السلام) بالنبال حتى عقروا الخيول و جرحوا الرجال و الفرسان (٣) . و كان مع هؤلاء الرماة أبو الشعثاء يزيد بن زياد الكندي ممن ترك جيش ابن زياد و مال للحسين و كان من أشهر الرماة في زمانه ، لما تكاثرت عليهم رمى السهام و النبال ، وجثا بين يدي أبا عبد الله الحسين فرمى مئة سهم لم يخطأ منها خمسة أسهم ، فقاتل حتى قتل (٤) .

و ان الذين عدلوا الى جيش الحسين كانوا من أشد أصحابه عزماً في القتال و همة للموت ، و من هؤلاء الحر بن يزيد الرياحي ، قاتل بكل ما أوتي من قوة لأقناع أصحابه الاولين بترك حرب الحسين (عليه السلام) او بالعدول الى جانبه .

ما من احد من اصحاب الحسين (عليه السلام) لا يطلب الموت و يبحث عنه فهذا نافع بن هلال البجلي عمل على كتابة اسمه على أفواق النبال و يرميها فيقتل منهم و يجرح ، و قلما خطأ في مرماه ، لكنهم احاطوا به فضربوه على ذراعيه فكسروهن و اسروه و الدماء تسيل من يديه و وجهه ، فأعتقدوا سوف يلين و يخشى من التمثيل ، لكنه بدأ بتسميعهم ما يكرهون و أخذ

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٧٧ ؛ المفيد ، الارشاد ، ٢ / ١٠٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٧٣ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٠ - ٩١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٧٥ ؛ السماوي ، ابصار العين ، ص ١٢٨ ؛ الحسن ، نبيل ، الجمال في عاشوراء ، ط ٢ ، وحدة الدراسات التخصصية في الامام الحسين ، كربلاء ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م ، ص ١٥٤ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩١ ؛ الطبري ، استشهاد الحسين ، ص ١٢٧ ؛ المفيد ، الارشاد ، ٢ / ١٠٤ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩١ ؛ السماوي ، ابصار العين ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

يزيد يغیظهم فيقول : " لقد قتلت منكم أثنى عشر رجلاً سوى من جرحت ، ولو بقيت لي عضد و ساعد لزدت" (١) .

فلا يوجد اشجع من الحسين (عليه السلام) ولا اشجع من اصحابه ، شجاعة جعلت دولة بأكملها تستنفر بكل طاقاتها و قاداتها لمواجهة فئة قليلة قد تجاوزوا السبعين او لم يتجاوزوه، ما هو الا دليل قاطع لشجاعة و المكانة الجليلة لهؤلاء النفر .

مصرع الإمام الحسين (عليه السلام) :

نورا بدماء الشهادة مخضب ، نفس النبي وريحانته ، صريع لم يرى اهييب منه ولا اجلا ولا قتيلاً مخضب بدمائه جلله الاباء والصمود والصبر ، حياة كانت من الله والله وفي سبيل الله قد ختمها يوم تلقى الارض ساقطاً من فرسه ودماء تسيل منه ، اجهده العطش والحر ، اتعبه حمل الحديد ، نسائه واطفاله خلفه وثلاثون الفا اماماه ... كلها تريد ان تتال من جسده ، ماذا عساي ان اصف مصرعه

فيقول العقاد كانت سيوف القوم وسهامهم تستهدف الحسين (عليه السلام) لكن أصحابه يحمونه بنفسهم ، و يقاتلون بين يديه ، وكلما يسقط شهيد منهم أسرع آخر لسد مكانه حتى يذهب على أثره ، فضافت تلك الفئة الكبيرة بهذه الفئة القليلة ، وضاقوا ذرعاً من ثباتهم فسولت لهم أنفسهم لحرق الاخبية التي فيها النساء و الاطفال من أجل أن يحيطوا بالعسكر، و أصحاب الحسين يمنعونهم ، فرأى الحسين (عليه السلام) ان انشغال أنصاره بمنعهم يحول بينهم وبين الانشغال بقتالهم فقال لهم : " دعوهم يحرقونها . فأنهم إذا حرقوها لا يستطيعون أن يجيزوا اليكم منها " (٢) .

ثم يبحر العقاد في وصف الحسين في تلك اللحظات من المعركة قائلاً : " و ظل على حضور ذهنه و ثبات جأشه في تلك المحنة المرتبكة التي تعصف بالصبر و تطيش بالالباب وهو جهد عظيم لا تحويه طاقة اللحم و الدم و لا ينهض به الا أولو العزم من أندر من يلد آدم و حواء ، فإنه [] كان يقاسي جهد الطش و الجوع و السهر و نرف الجراح و متابعة القتال ،

١ - العقاد ، ابوالشهداء ، ص ٩١ ؛ ابو مخنف ، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م) ، مقتل الحسين و مصرع أهل بيته و أصحابه في كربلاء ، ط ٢ ، مكتبة الافين ، الكويت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٠٨ ؛ السماوي ، أبصار العين ، ص ١٤٩ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٩١ - ٩٢ .

و رغم ذلك كله فأذا بالرماح و السهام و السيوف تتناوشه من جميع جوانبه ، و لم يكتفوا بقتل رجاله بل تعدوه لقتل الصبيان و الاطفال من آ بيته و عترته ، فسقط كل من كان بجانبه واحداً بعد آخر فلم يبقه عه الا ثلاثة يقاتلون دونه ، و هو يسبقهم و كان يأذن لمن أراد منهم أن ينجوا و قد دنت الخاتمة ووضح المصير" (١).

وكان معه غلام و هو ابن أخيه الحسن (عليه السلام) و هو عبد الله بن الحسن ، كان ينظر من الخيام ، فشاهد رجلاً كان يضرب عمه الحسين بالسيف ليقتله حين أخطأ زميله ، مما أدى الى هرولت هذا الغلام باتجاه عمه و صاح بكل ما يحمل من براءة بذلك الرجل :

" يا ابن الخبيثة .. أنتقتل عمي ؟ " فقصدته الرجل بسيفه يريد قتله ، فتصدى الغلم لضربته بيده فقطعها فتعلقت بجلدها ، فأعتنقه عمه (عليه السلام) و أخذ يواسيه و هو مشغول في الدفاع عن من يليه لكن الحسين أجهز على قاتله (٢) .

"ثم بعد ذلك سقط هؤلاء الثلاثة الذين كانوا قد بقوا معه ، فأنفرد (عليه السلام) وحده لقتال هذه الزحوف المطبقة له " (٣) .

ونلاحظ ان العقاد لم يذكر النفر الثلاثة ممن تبقى مع الحسين (عليه السلام) في اللحظات الاخيرة ، ومن المؤكد ان أحد هؤلاء الثلاثة هو أخيه أبو الفضل العباس (عليه السلام) ، أم الاثنان الاخرين فلم يتم التوثيق منهما

فكان (عليه السلام) " يحمل على الذين عن يمينه فيتفرقون ، ويشد على الخيل راجلاً و يشق الصفوف وحيداً و يهابه القرييون فيبتعدون ، ويهم المتقدمون بالاجهاز عليه ثم ينكصون ، لانهم تخرجوا من قتله ، و أحب كل منهم أن يكفيه غيره مغبة وزره " فغضب شمر و أمر الرماة أن يرموه بالنبال من بعيد ، وصاح بهم : " و يحكم .. ماذا تنتظرون بالرجل ؟ أقتلوه تكلتكم أمهاتكم " (٤) .

١ - ابو الشهداء ، ص ٩١ - ٩٢ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٢ - ٩٣ ؛ الطبري ، استشهاد الحسين ، ص ١٤١ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١٢٩ / ٥ ؛ الكرباسي ، محمد صادق محمد ، معجم أنصار الحسين ، المركز الحسيني للدراسات ، لندن ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ١ / ٣٥٧ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت النبي ، ٢ / ٢٧١ .

٣ - العقاد ؛ ابو الشهداء ، ص ٩٣ .

٤ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٣ ؛ الزرندي ، نظم درر السمطين ، ص ٢٧٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ١٧٧ / ٢ ؛ الموصلي ، مناقب آل محمد ص ، ١٠٣ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٨٧ ؛ العفاني ، حسين ، الجزء ، قدم له ابو بكر الجزائري و آخرون ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، ٢ / ١٦٧ .

فكل واحد من هؤلاء الجنود بما فيه قائدهم عمر بن سعد كانوا يحاذرون أن ينهوا حياة الحسين بأيديهم خوفاً من أن يلحقهم عار قتله ، لكن حب المال و الطمع بجوائز أبن زياد قلبت تلك الموازين .

فأندفع الجيش تحت عيني أبن ذي الجوشن مخافة من عقابه و وشايطته ، فضربه زرعة بن شريك التميمي على يده اليسرى فقطعها ، وضربه آخر على عاتقه فسقط على وجهه ، ثم أخذ (عليه السلام) يقوم ويكبوا و هم يضربونه بالسيف و يطعنونه بالرماح حتى سكن حراكه (١) .

وينقل ابن عبد البر عن سعيد بن نصر قال حدثنا قاسم بن أصيغ حدثنا ابن وضاح قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبه قال حدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا عمار بن عمار عن ابن عباس قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ما يرى النائم منتصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا قال: " هذا دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم " ، فوجد قد قتل في ذلك اليوم (٢) .

ووجد به (عليه السلام) بعد استشهاده " ثلاث و ثلاثون طعنه و أربع و ثلاثون ضربة غير أصابة النبل و السهام ، و أحصاها بعضهم في ثيابه فأذا هي مائة و عشرون " (٣) . ، بينما يذكر الطبري الاملي عن الامام الصادق قوله " وجد بالحسين ثلاث و ثلاثون ضربة و أربع و أربعون طعنة " (٤) ، اما صاحب كتاب مناقب آل محمد يذكر أنها " ثلاث و ثلاثين طعنه و أربع و عشرين ضربه و الصحيح أنها سبعون جراحاً " (٥) .

فنزل خولي احد جنود بن زياد وهو خولي بن يزيد الاصبحي لكي يحتز رأس الحسين (عليه السلام) ، فتملكته رعدة في جسده و يديه فنحاه شمر وقال له : " فت الله في عضدك " و أحتز شمرأ [لعنه الله] الرأس ، و رفض أن يسلمه لخولي ألا في رعدته تماديا في الشر و سخرية (٦) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٣ ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٥٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٨٦ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٧٥ ؛ الطبرسي ، اعلام الوري ، ١ / ٢٥٠ ؛ ابن طاووس . اللهوف في قتلى الطفوف ، ص ٧٤ .

٢ - الاستيعاب ، ١ / ١١٧ ؛ الطبرسي ، اعلام الوري ، ١ / ٢٢٠ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٣ ؛ الطرشة ، عدنان ، ماذا يحب النبي محمد ، ط ٦ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ص ١٧٩ .

٤ - دلائل الامامة ، ص ٧٢ .

٥ - الموصلي ، ص ١٠٣ .

٦ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٣ ؛ الطبرسي ، اعلام الوري ، ١ / ٢٥٠ .

وهنا نجد العقاد يجزم بالقول ان من احتز رأس الحسين هو الشمر ، لكن هناك بعض المصادر تذكر ان من احتز رأس الحسين ليس الشمر بل هو سنان بن أنس النخعي (١) .

اما ابو حنيفة الدينوري و ابن العديم ينفردان بالقول أن من احتز رأس الحسين ليس شمرأ و لاسنان و انما هو شبل بن يزيد أخو خولي بن يزيد الاصبحي (٢) ، أما ابي الفداء و ابن كثير فأنهم تحيروا بين الشمر و سنان (٣) .

وكما هو شائع لدينا أن من أحتز رأس الحسين (عليه السلام) هو الشمر بن ذي جوشن عليه لعائن الله ، وهذا ما أكده ابي مخنف في مقتله : فيقول عندما طلب عمر بن سعد بأن يعجلوا بقتل الحسين فإن أول " من أبتدر اليه شبت بن ربيعي و بيده السيف فدنا منه ليحتز رأسه فرمقه الحسين بطرفه ولى هارباً و هو يقول : ويحك يا بن سعد تريد أن تكون بريئاً من دم الحسين (عليه السلام) معاذ الله أن القي الله بدمك يا حسين ، فأقبل اليه سنان بن أنس و قال ثكلتك أمك لم رجعت عن قتله ؟ فقال أنه فتح عينيه في وجهي فأشبهتني عيني رسول الله فأستحييت أن أقتل شبيهاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال له أعطني السيف فأنا أحق منك بقتله ، فأخذ السيف وهم أن يعلو رأسه فنظر اليه فأرتعد سنان و سقط السيف من يده وولى هارباً ، فأقبل اليه الشمر و قال ثكلتك أمك ما أرجعك عن قتله ؟ فقال أنه فتح في وجهي عينيه فذكرت شجاعة أبيه فذهلت عن قتله ، فقال الشمر هلم الي السيف فو الله ما أحد أحق مني بدم الحسين أني لأقتله سواء شبه المصطفى أو علي المرتضى فأخذ السيف من يده و ركب صدر الحسين (عليه السلام) فلم يهرب منه وقال : لا تظن أني كمن أتاك فلست أرد عن قتلك يا حسين ، فقال له الحسين (عليه السلام) : من أنت و يلك فلقد أرتقيت مرتقى صعباً طالما قبله النبي ، فقال له أنا الشمر الضبابي .

فقال له الحسين : أما تعرفني ؟ " (٤) .

" فقال ولد الزنا : بل أنت الحسين و أبوك المرتضى و أمك الزهراء و جدك المصطفى و جدتك خديجة ، فقال له : ويحك فلم تقتلني ؟ فقال له : اطلب بقتلك الجائزة من يزيد ، فقال له الحسين : ايما أحب اليك شفاعة جدي أم جائزة يزيد؟ فقال : دائق من جائزة يزيد أحب الي منك و من شفاعة جدك و ابيك .

١ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٨٦ ؛ ابن المطهر ، البدء و التاريخ ، ١ / ٣٣١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ،

٢ / ١٩٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٢ / ١٧٧ ؛ بن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ص ٧٤ .

٢ - الاخبار الطوال ، ص ٢٥٨ ؛ بغية الطلب في تاريخ حلب ، ٣ / ٣٧٧ .

٣ - المختصر ، ١ / ١٣٢ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٨ / ١٨٨ .

٤ - مقتل الحسين ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

فقال له : اذا كان لا بد من قتلي فأسقني شربة من الماء .

فقال : هيهات هيهات والله ما تذوق الماء أو تذوق الموت غصة بعد غصة و جرعة بعد جرعة.

ثم قال الشمر : يا بن ابي تراب الست تزعم أن اباك على الحوض يسقي من أحب ؟ أصبر قليلا حتى يسقيك أبوك .

فقال (عليه السلام) : سألتك بالله الا ما كشفت عن لثامك . فكشف عن لثامه فأذا هو أبرص أعور له بوز كبوز الكلب و شعر كشعر الخنزير ، فقال له الامام (عليه السلام) : صدق جدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال له الشمر و ماقال جدك رسول الله ؟

قال : سمعته يقول لأبي يا علي يقتل ولدك هذا أبرص أعور له بوز كبوز الكلب و شعر كشعر الخنزير .

فقال لعنه الله : يشبهني جدك بالكلاب والله لأذبحنك من الفقا جزاء لما شبهني جدك ثم أكبه على وجهه و جعل يحز أوداجه بالسيف " (١) .

اي مسخ هؤلاء ، و أي وحشية تجمعت بهم ، فأرتكبوا بحريهم هذه كل فنون الخسة و الوحشية ، فلم يكونوا يحسبون على البشر و هم لا يراعون حرمة البشر عند الله ، لم يكونوا مسلمين حتى ، بل لم يعرفوا الاسلام قط ، و ما كان فعلهم الا بغضاً برسول الله و علي (عليه السلام) ، و طمعاً بدنيا يزيد .

فيكمل ابي مخنف : " لما أحتز الرأس تزلزت الارض و أظلم الشرق و الغرب و أخذت الناس الرجفة و الصواعق و أمطرت السماء دماً عبيطاً ، و ناد مناد من السماء قتل والله الامام بن الامام أخو الامام أبو الائمة " (٢) .

فجميع الدلائل تشير الى ان من قتل الحسين (عليه السلام) هو الشمر لعنه الله ، لكن لما أحصل الاختلاف في من قتله (عليه السلام) مع وجود هذه الادلة ، فربما يكون لكثرة الجيوش محتشدة و غبرة الصحراء ، و أن كل من سنان و شبت تقدموا لقتل الحسين لكنهم رجعوا فيما بعد ، فظن الظان من تلك الجموع أن أحدهم قتله ، والسبب الاخر كون الشمر عندما ذهب الى الحسين (عليه السلام) و ارتقى صدره الشريف كان ملثماً ، ربما كان قد أشتبته على الناس من هذا الرجل .

١ - ابي مخنف ، مقتل الحسين ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

٢ - مقتل الحسين ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

لكن هذه مجرد تبريرات لمن قال أن من قتل الحسين (عليه السلام) غير الشمر ، فالدليل بقتل الشمر للحسين موجود ، هو وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لشخص الشمر .

و هذا هو الشمر الذي وصفه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل للحسين (عليه السلام) فتذكر الحسين قول جده عندما جثى الشمر على صدر الحسين : " الله أكبر قال جدي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أني رأيت كلباً أبقع يلغ في دماء أهل بيتي " (١) .

فلم يكن في تلك الساعة في معسكر الحسين احداً الا رmq من الحياة باق برجل من أنصاره طعين مثنخ بجراحه لم يجهزوا عليه بل تركوه لانهم ظنوا انه مات، وهذا الرجل الشريف هو سويد بن ابي المطاع كان من انبل الابطال و اصدق الانصار ، فأبى الله لذلك الرmq الضعيف بمفارقة الحياة دون مكرمة ينهي بها مكرمات يومه (٢) .

فتصايح القوم بمقتل الحسين (عليه السلام) فبلغت صيحتهم مسامعه ، " الذي اثقله النزاع و اوشك ان يجهل ما يسمع فلم يخطر له ان يسكن لينجوا و قد ذهب الامل و حم الختام ، ولم يخطر له أنه ضعيف منزوف يعجل به القوم قبل أن ينا من القوم أهون منال ، فألتمس سيفه فأذا هم قد سلبوه ، ونظر الى شيء يجاهد به فلم تقع يده الا على مدية صغيرة لا غناء بها مع السيوف و الرماح ، لكنه قنع بها ، ثم وثب على قدميه من بين الموتى وثبة المستئس . فتولاهم الذعر و شلت أيديهم التي كانت خليفة أن تمتد اليه ، و أنطلق وهو يثخن فيهم قتلاً و جرحاً حتى أفاقوا من ذعرهم ، فلم يقوموا عليه حتى تعاون على قتله رجالان ، فكان هذا حقاً هو الكرم و المجد في عسكر الحسين الى الرmq الاخير " (٣) .

وهؤلاء هم صحبة الحسين (عليه السلام) لم يبخلوا عليه بحاتهم وهم بكامل قواهم الجسدية و العقلية فكيف يبخلون عليه وهم في لحظاتهم الاخيرة و قد قاتلوا دفاعاً عنه و عن أهل بيته ، فسلام على الحسين و على انصاره .

١ - الموصلي ، مناقب آل محمد ، ص ١٠٢ ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ١٨٨ / ٨ .
٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢٨٦ / ٣ ؛ ابن طاووس ، الملهوف ، ص ٦٦ ؛ السماوي ، ابصار العين ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ؛ بيضون ، لبيب ، موسوعة كربلاء ، طليعة النور ، قم ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م ، ١٠٨ / ٢ .
٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٤ .

وحشية جيش ابن زياد:

يقول العقاد واصفاً وحشية جيش ابن زياد بأن الحرب التي دارت بين الفريقين كانت حرب بين " أشرف ما في الانسان و أوضع ما في الانسان " ، بينما كان الرجل في معسكر الحسين (عليه السلام) ينهض برمقه الاخير من أجل إيمانه ، فإذا بالآخرين يتسابقون من أجل الغنيمة و هي لاتسمن ولم تغن من الجوع ، فنراهم قبل أن يسلم أبا عبدالله نفسه الاخير ، حتى هرعوا لأسلاب نساء آل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، يسلبون الثياب و الحلي منهن ، لم يراعوا حرمة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، ثم أتجهوا نحو جثة الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) يسلبون ما عليها من ثياب و قد تخللته الطعون ، حتى كادوا أن يتركوها عارية على الارض لولا سراويل كان قد لبسها ممزقة و تعتمد أن يمزقها ليتركونها على بدنه (١) .

ثم حلت الفاجعة الكبرى التي لا تقل جرم من الجرم الاكبر وهو قتله (عَلَيْهِ السَّلَام) ، حيث انتدبوا عشرة فرسان لكي يطئون جثة الحسين و كان ذلك بأمر ابن زياد ، " فوطئوها مقبلين و مدبرين حتى رضوا صدره و ظهره (٢) .

ولا يستبعد على هؤلاء ما فعلوه و هم حرموا روي على طفلٍ عليل ظمئٍ ، وبعثوا الى احشائه بدل الماء السهام ، وقتلوا من لا حاجة في قتله ، وربما خرج طفلاً من الخيام للنظر وهو خائفاً لا يفقه ما يحصل فينقض عليه أحد الفرسان برمحه من على فرسه فيطعنه الطعنة طعنة قاضية تحت مرأى الام والعمة والاخت و القريبة ، فيكمل العقاد قائلاً : " لم تكن في الذي حدث مبالغة يزعمونها كما زعم أجراء الذمم بعد ذلك عن حوادث كربلاء و جرائم كربلاء " (٣) .

وقتل في كربلاء كل صغير وكبير من آل علي (عَلَيْهِ السَّلَام) و لم ينجوا من الذكور غير علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ، وفي هذا قال سراقه الباهلي :

عين جوبي بعبرة وعويل و اندبي ما ندبت آل الرسول

١ - ابو الشهداء ، ص ٩٤ - ٩٥ ؛ ابي مخنف ، مقتل الحسين ، ص ١٤٧ - ١٥٤ - ١٥٥ ؛ الطبرسي ، اعلام الوري ، ٢ / ٢٥٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٧٧ ؛ ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ص ٧٦ - ٧٧ ؛ بيضون ، موسوعة كربلاء ، ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٥ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ١ / ٣٧٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢ / ١٩٩ ؛ ابي الفداء ، المختصر ، ١ / ١٣٢ .

٣ - ابو الشهداء ، ص ٩٥ .

سبعة منهم لصلب علي

قد أبيدوا و سبعة لعقيل (١) .

وكانت نجاة زين العابدين اعجوبة من أعاجيب القدر ، وذلك لأنه كان مريضاً (٢) ، وكانوا يتوقعون موته اليوم او غداً و ان شمرأ [لعنه الله] أراد قتله لكن منعه عمر بن سعد ربما حياء من قرابة الرحم و امامه النساء ، وكان يجتمع معه بنسب في بني عبد المناف ، وربما تركه ابن سعد لتوقعه موته من السقم الذي يعانيه ، فنجأ (عليه السلام) وحفظ نسل الحسين و لولاه لباد (٣) .

يمكن ان نعقب على كلام العقاد هنا ، حيث يقول ان ابن سعد منع شمر من قتل زين العابدين ربما لأنه يجتمع معه بنسب في عبد مناف ، لم أفهم أي نسب يقصد ، لو كان النسب من جهة والدة الحسين (عليه السلام) فلما لم يرع عمر بن سعد ذلك النسب بقتل الحسين وقد فعل ما لم يفعله قبله أحد من العرب و العجم لأحد من بني آدم من القتل و الترويع و التمثيل و منع الماء و السلب ، و اذا كان العقاد يقصد بأنه نسب من جهة الام ، فوالدة علي زين العابدين (عليه السلام) فارسية بنت يزدرج الثالث ، بينما ذكر ابن عنبه بأن اسمها (شهربانوا بنت كسرى يزدرج بن شهريار) (٤) .

وينقل الشيخ عباس القمي بأن امه هي : " ذات العلي و المجد شاه زنان بنت يزدرج "

وهو ابن شهريار بن كسرى ذو سؤدد ليس يخاف كسرى

ويقال كان اسمها (شهر بانويه) وفيه قال ابو الاسود :

و ان غلاماً بين كسرى و هاشم لأكرم من نيطت عليه التمام (٥) .

فأي نسب هذا ؟ فأن من حفظ زين العابدين ليس النسب بل المشيئة الالهية من اجل حفظ

هذا النسل الطاهر الذي يستمر من خلاله عقب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٥؛ الكرباسي ، محمد صادق محمد ، ديوان القرن الاول ، المركز الحسيني للدراسات ، لندن ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ٢ / ١٢٦ - ١٢٧ ؛ المصري ، حسين مجيب ، في الادب الشعبي الاسلامي المقارن ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ص ٢٢٢ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٥؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٨٦ ؛ الخوارزمي ، مقتل الحسين ، ٣٦ / ٢ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٥٨ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٥؛ المفيد ، الارشاد ، ٢ / ١١٣ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٢٥٨ .

٤ - عمده الطالب ، ص ١٠٩ .

٥ - الانوار البهية ، ص ١٠٧ .

و لم يكتفوا بذلك قاموا بقطع الرؤوس و عمدوا الى رفعها أمام العائلة على الحراب ، و تركوا جثثهم ملقاة في الارض لم يدفنوها . و الاصعب من ذلك قاموا بمرور النساء حواسر على طريق الجثث فولولن باكيات فنادت زينب (عليها السلام) " يا محمداه . هذا الحسين بالبراء و بناتك سبايا و ذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا " ويقول العقاد : "فوجم القوم مبهوتين و غلبت دموعهم قلوبهم ، فبكى العدو كما بكى الصديق " (١) .

ثم يكمل العقاد معترضاً على فعل هؤلاء المسوخ مبيناً عدم مراعاتهم حرمة رسول الله فيقول : " لم تنقض خمسون سنة على انتقال النبي محمد (ﷺ) من هذه الدنيا الى حظيرة الخلود، محمد الذي بر بدينهم ودنياهم فلم ينقل من الدنيا حتى نقلهم من الظلمة الى النور ، ومن حياة التيه في الصحراء الى حياة عامرة يسودون بها أمم العالمين ، ثم هذه خمسون سنة لم تنقض بعد ، و اذا هم في موكب جهير يجوب الصحراء الى مدينة بعد مدينة ، سبايا محمد (ﷺ) على المطايا و أعلامه رءوس أبنائه على الحراب ، وهم داخلون به دخول الظافرين " (٢) .

هل كان جزاء محمد (ﷺ) هذا ؟ هو قتل عترته و سبي بناته ، لم نجد امة من الامم فعلت بأبناء نبيها كما فعلت امة العرب ، و كان (ﷺ) قد اوصى بأهل بيته قبل أن ينتقل الى جوار ربه ، هل هكذا تحفظ الوصية ؟ فقد لاقت عترته من بعده مالم يلاقي أهل بيت نبي في العالمين ، حيث بدأت محنهم قبل أن يدفن (ﷺ) اولها غضب علي الخلافة ، و ضرب الزهراء واسقاط الجنين و حرق الدار ، و حرب الحسن و قتله ، لكن ما كان مع الحسين أعظم حيث اكتملت بقتله صورة الحقد الذي كان يضمرونه لمحمد صلى الله عليه و اله ، و لم ينتهي الامر بل أستمر ذلك الحقد ليطل أبناء الحسين و عياله من بعده ، وصولاً الى عصرنا هذا .

وبقيت الجثث على الارض و عند نزول الليل خرج مجموعة من بني اسد و هم من سكنة ذلك المكان ، لما امنوا من العيون ابن زياد بعد يوم او يومين ، " سرورا مع القمر الى حيث طلعت بهم على منظر لا يطلع القمر على مثله - شرفاً و لا وحشية - في الابد بعد الابد " (٣) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٦ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٨٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢ / ١٧٨ ؛

بن طاووس ، اللهوف ، ص ٧٨ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٩٦ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٦ ؛ المفيد ، الارشاد ، ٢ / ١١٤ .

وكان يوم مقتل الحسين في العاشر من شهر محرم (١) ، كان القمر بتلك الليلة على وشك التمام ، فبدئوا بحفر القبور لدفن الجثث بعد الصلاة عليها ، ثم تركوها هنالك في ذمة التاريخ ، ، " فهي اليوم مزار يطيف به المسلمون متفقين ومختلفين ، ومن حقه أن يطيف به كل إنسان ، لأنه عنوان قائم لأقدس ما يشرف به هذا الحي الآدمي بين سائر الاحياء ، فما أظلت قبة السماء مكاناً لشهيد قط هو أشرف من تلك القباب بما حوته من معنى الشهادة و ذكرى الشهداء " (٢)

اقول الا ليت العقاد على قيد الحياة الان ليرى و يسمع صدى الحسين (عليه السلام) في العالم اجمع ، و قبره في كربلاء الذي بات الان قبلة يقصدها الاحرار ومن يطلب الحرية ليستلهم من الثائر الحر معنى الاباء والتضحية في سبيل الحق والقضية ، و مكان يعتد به و لا يخفى على الموالي و المخالف ، و ذكره يتجدد في كل عام لا بل في كل يوم في أنحاء المعمورة ، و بات رمزاً للتضحية و عنواناً يرهب الطغاة الفاسقين ، و كل من يستضعف الشعوب ، ان تلك الوقفة المشرفة التي ندر لا بل لم يوجد مثلها لا يمكن لأي انسان ان يفهمها وان يؤديها حقها كما يجب الا من تربى في بيت النبوة وحضن الرسالة ومدرسة الامامة ، وكان ما جرى على رسول الله والامام علي بن بعده و امه الزهراء واخيه الحسن هي عوامل ساعدت وادت بالنهاية الى تمام هذه الصورة الكاملة في فن التضحية والاباء.

و مع كل ما قدمه الحسين (عليه السلام) من تضحيات في سبيل ايقاظ الامة الاسلامية من سباتها ، و مآلقاه (عليه السلام) من هؤلاء العناية المردة ، ومع ذلك يخرج ابن العربي ليقول : " ان الحسين قتل بسيف جده " (٣) .

فيرد عليه ابن خلدون قائلاً : " وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال ما معناه أن الحسين قتل بشرع جده، وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الأراء " (٤) .
وهنا لا بد لنا من الرد على ذلك .

١ - العقاد، ابو الشهداء ، ص ٩٦؛ الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ص ١٣٣؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١٢٩/٥ ؛ ابن العديم ، بغية الطلب ، ٣ / ٢٨ ؛ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٤٢ ؛ الذهبي ، العبر ، ١ / ٤٧ ؛ الزرندي ، درر السمطين ، ص ٢٧٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ٣ / ١٢٦ ؛ بن خياط ، تاريخ ، ص ٥٧ ؛

عباس القمي ، الانوار البهية ، ص ١٠٢

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٦ .

٣ - العواصم و القواصم ، ص ٢١٤ .

٤ - مقدمة ابن خلدون ، ص ١٧١ .

لماذا قتل بسيف جده ؟ اي لانه خرج على امام المسلمين يزيد ؟

فهل يزيد امام المسلمين ؟ فماذا اذن نسوي ربحانة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اذا كان يزيد امام المسلمين ؟ هل كان المسلمين مقتنعين بامامة يزيد ؟

فنجيب : لقد كان المسلمين على علم بيزيد و عيوبه وعدم اهليته للخلافة ، بل حتى الامويين لم يكونوا على قناعة به ، بل حتى معاوية لم يكن على قناعة بولده ، و هذا مايفسر خوفه و ترده في طلب البيعة له في بادئ الامر .

اما القول بأن الحسين قتل بسيف جده ما هو الا من أجل تبرئة يزيد من دم الحسين (عليه السلام) ، وهو ما أطلقه أصحاب الذم و الاقلام المأجورة ، من أعوان بني أمية و ندماهم .

وفي معرض الكلام في هذا الحديث ، فهناك كلام جميل للأستاذ سامح كريم يقول فيه : " من ذلك كله يحق القول بأن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) راح شهيداً من اجل القضاء على الرجعية السياسية التي ارادها معاوية و ابنه يزيد ، وبنو امية بعد ذلك للإسلام ، وله في ذلك اجر الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الخير للناس و وفي سبيل المصلحة العامة ، و من انصار هذه الرجعية من يرى ان الحسين قتل بسيف جده [صلى الله عليه و اله وسلم] ، لخروجه على إمام من أئمة المسلمين ، وهذا قول مردود من أساسه ، وقد رد عليه المفكر الاسلامي الاستاذ [عبد المتعال الصعيدي] في ثلاث نقاط "

اولها : ان بيعة يزيد من الاساس كانت باطلة .

ثانياً : لم يجتمع المسلمين على بيعة يزيد بعد موت والده ، و كان ممن خرجوا عليه هم أهل المدينة ، حيث طردوا عامله فقام بتعين آخر و هو مسلم بن عتبة ، فحاصر المدينة حتى استسلمت لجيشه ، فستباحها جيشه ثلاثة أيام فعمل على سلب أهلها و قتلهم ، كذلك خرج عليه أهل مكة ، حيث دعا فيها عبد الله بن الزبير الى نفسه ، فأرسل اليه مسلم بن عقبه ، لكنه مات في طريق ، و قام بعده الحصين بن نمير ، فدار بينه وبين ابن الزبير قتال أستمر حتى وفاة يزيد ، و هذا يعني أن كل من مكة و المدينة لم يجتمعا على بيعة يزيد ^(١) .

^١ - موسوعة اعلام المجددين ، ١ / ٦٢ - ٦٣ .

ثالثاً : ان الحسين (عليه السلام) ، لم يكن عمله مجازفة ، او من غير تقدير للامور فقد بعث قبل كل شيء ابن عمه مسلم بن عقيل الى العراق ، فأخذ البيعة له قبل ان يسير الحسين اليهم ، فأرسل مسلم (عليه السلام) الى الحسين يبلغه بأن في العراق قوة تمكنه من القضاء على تلك "الرجعية الجاهلية" ، فسار الحسين (عليه السلام) على هذا الاساس ، ولو انهم ثبتوا على ما بايعوا عليه مسلم لتمكن الحسين من الوصول الى غرضه ، و يذهب امر يزيد الذي كان يحتج به عليه ، ولا يكون بذلك عليه اية شائبه ، فدمه في عنق يزيد بن معاوية اولاً ، وفي عنق من دعاه و تخلى عنه ثانياً (١)

موطن رأس الحسين (عليه السلام):

يقول العقاد ان الاقوال اتفقت على مدفن جسد الحسين (عليه السلام) ، لكنها تعددت في موطن الرأس منها من قال أن الرأس قد اعيد بعد مدة الى كربلاء و دفن مع جسده الطاهر (٢) ، و منها انه قد بعث الى عمرو بن سعيد بن العاص وهو والي المدينة من قبل يزيد فدفنه في البقيع الى جوار قبر امه فاطمة (٣).

وهنا لنا وقفة : كما هو معروف ان علي (عليه السلام) عندما دفن فاطمة لم يخرج معه إلا الحسنان و بعض خاصته حتى بعض الموالين له لم يخبرهم بقبرها ، وكذلك الخليفة في وقتها لم يعلم بوقت دفنها و مكان القبر الطاهر ، فكيف علم عمرو بن سعيد بن العاص مكان القبر و هو اموي ولم يكن على هوى علي (عليه السلام) ، و لكن ربما كان ذلك تخمين بما كان شائع لدى الناس بأن قبر فاطمة في البقيع .

١ - كريم ، موسوعة اعلام المجددين ، ١ / ٦٣ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ٩٧ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٢٦٥ ؛ ابن نما الحلبي ، مثير الاحزان ، ص ١٠٦ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٧ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ؛ ابن نما الحلبي ، مثير الاحزان ، ص ١٠٦ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ص ٦٢ .

كما قيل ان الرأس الشريف وجد بخزنة يزيد بن معاوية التي فتحت بعد موته، على اثرها دفن الرأس في دمشق عند باب الفراديس^(١) .

وقد طيف بالرأس ببلاد الشام حتى وصل عسقلان فقام اميرها بدفنه هناك ، و بقي هناك حتى سيطر الافرنج عليها اثناء الحروب الصليبية ، فأرسل لهم وزير الفاطميين وهو الصالح طلائع بن رزبك في مصر ثلاثين ألف درهم لينقله لمدينة القاهرة حيث تم دفنه بمكانه المشهور الآن^(٢) .

و يقال ايضا " إن الوزير صالح طلائع بن رزبك خرج هو و عسكره حفاة الى الصاحية ، فتلقى الرأس الشريف و وضعه في كيس من الحرير الاخضر على كرسي من الابنوس و فرش تحته المسك و العنبر و الطيب ، و دفن في المشهد الحسيني قريبا من خان الخليلي في القبر المعروف - أما عسقلان - فيها مشهد الحسين رضي الله عنه كان رأسه بها ، فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون الى مدينة القاهرة سنة تسع و أربعين و خمسمائة للهجرة " ^(٣) .

لكن هناك بعض المصادر تنكر وجود الرأس في عسقلان كاليافعي يقول : " وماذكر انه نقل الى عسقلان او القاهرة لا يصح " ^(٤) .

و لا بد من اعتماد مصادر الشيعة حول مكان دفن رأس الحسين (عليه السلام) ، فكل من ابن نما الحلبي يقول : " والذي عليه المعول من الاقوال أنه أعيد الى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودفن معه " ^(٥) .

اما المجلسي فيذكر : " المشهور بين علمائنا الامامية أنه دفن رأسه مع جسده رده علي بن الحسين " ^(٦) .

١ - العقاد ، ابو الشهداء، ص ٩٧ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٢٦٦ ؛ ابن نما الحلبي ، مثير الاحزان ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ؛ الزرندي ، نظم درر السمطين ، ص ٢٨٤ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ١٤٥ / ٤٥ ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ٩٠ / ٢ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء، ص ٩٧ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٢٢٦ ؛ الامين العاملي ، لواعج الاشجان ، ص ١٩١ .

٣ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٧ .

٤ - مرآة الجنان ، ص ٦٢ .

٥ - مثير الاحزان ، ص ١٠٧ .

٦ - بحار الانوار ، ١٤٦ / ٤٥ .

اما العقاد فيعلق قائلاً: " فالأماكن التي ذكرت ستة في ست مدن وهي : المدينة ، و كربلاء ، و الرقة ، و دمشق ، و عسقلان ، و القاهرة ، وهي تدخل في بلاد الحجاز و العراق و الشام و بيت المقدس و الديار المصرية ، وتكاد تشتمل على مداخل العالم الاسلامي كله من وراء تلك الاقطار فإن لم تكن هي الاماكن التي دفن فيها رأس الحسين فهي الاماكن التي تحيا بها ذكراه لامراء " (١) .

و يتضح مما سبق ان الله تعالى أراد ان يكون في كل جزء من أقطار العالم الاسلامي مكان شاخص يحدث ذلك القطر و رواده عن فاجعة لم تحدث نظيرتها في التاريخ ، حيث يكون المقتول هو المنتصر ، والغالب هو الخاسر الاكبر على مر الزمان ، حتى و أن كان ذلك المكان لم يدفن به جزء من جسد الحسين (عليه السلام) ، ربما فقط لوضع الرأس هناك أو ربما لمرور عائلة الحسين من هناك ، فخلدت تلك الاماكن بخلود الحسين (عليه السلام) .

وقاحة عبيد الله بن زياد:

بعد انتهاء فاجعة كربلاء حملوا الرؤوس و معهم النساء و الاطفال الى الكوفة ، فأمر اللعين ابن زياد بأن يطوفوا بهم في في أحياء و أزقة الكوفة و بعدها يرسلوهم الى يزيد ، و بات خولي بن يزيد بالرأس في تلك الليلة في بيته ، وهو حالماً بغنى الدهر ، و كانت له زوجةً حصرية أقسمت : " لا يجمع رأسها و رأسه بيت ، وفيه رأس ابن رسول الله " .

ثم ذهب بالرأس لقصر ابن زياد فبدأ ينكت ثانياً الرأس الذي وضع في اجانة امامة، وكان عنده احد اصحاب النبي (ص) و هو يزيد بن الارقم (ت ٦٦ هـ) ، الذي صاح بأبن زياد مغضباً : " أرفع قضيبك عن هاتين الثنيتين .. فو الذي لا اله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما " ، فهزىء به عبيد الله بن زياد و قال له : " لولا انك شيخ قد خرفت و ذهب عقلك لضربت عنقك " ، بينما يذكر الراوندي ان هذه الحادثة حصلت في قصر يزيد في الشام و ليس عند عبيد الله بن زياد (٢) .

١ - ابو الشهداء ، ص ٩٨ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٨ - ٩٩ ؛ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ٢٥٧ ؛ الخوارزمي ، مقتل الحسين ، ٥١ / ٢ ؛ الراوندي ، الخرائج و الجرائح ، ٥٨١ / ٢ .

ومصادر اخرى تذكر ان انس بن مالك هو من كان حاضراً عند ابن زياد وليس يزيد بن الارقم فيذكرها الخوارزمي ايضا بالاسناد الى حماد بن سلمه عن علي بن زيد (١) .

فخرج يزيد ونادى في الناس ولم يأب ابن زياد فقال يزيد : " أنتم معشر العرب العبيد بعد اليوم .. قتلتم ابن فاطمة و أترتم ابن مرجانة ، فهو يقتل شراركم و يستعبد خياركم " ، اما السيدة زينب (عليها السلام) فقد دخلت القصر و عليها أرذل الثياب و بصحبتها أطفال الحسين و أمأوها ، و جلست ناحية ولم تتكلم و لم تنظر الى مايقع أمامها ، فسأل عبيد الله : " من هذه التي انحازت ناحية و معها نساؤها ؟ " ، فلم تجيبه ، فكرر السؤال ثلاثاً وهي ممتنعة من الجواب ، فأجابته إحدى الاماء نيابة عنها : " هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه [واله] وسلم " ، فاجترأ عبيدالله بن زياد وقال : " الحمد لله الذي فضحككم و قتلكم و أبطل أحدوثتكم " ، ولم تمهله (عليها السلام) عبيد الله حيث ثارت به مخاطبته : " الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه و طهرنا من الرجس تطهيراً .. انما يفضح الفاسق و يكذب الفاجر ، وهو غيرنا و الحمد لله " ، فقال لها ابن زياد : " فقد شفي الله نفسي من طاغيتك و العصاة " ، هنا غلبها (عليها السلام) الغيظ و الحزن من ذلك التشفي الذي لاينصرها أحداً منه فقالت: " لقد قتلت كهلي ، و أبدت أهلي ، وقطعت فرعي ، و أجتثتن أصلي ، فأن يشفيك هذا فقد أشتفيت " ، فسخر ابن زياد قائلاً : " هذه سجاعة .. لعمرى لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً " ، فقالت السيدة زينب (عليها السلام) : " إن لي عن السجاعة لشغلاً .. ما للمرأة و السجاعة ؟ " (٢) .

و يقول مرتضى المطهري ان ابن زياد لم يقل ما قال الا غضبا لعدم اكرام السيدة زينب (عليها السلام) له ، فقد دخلت القصر و هي مرفوعة الهامة و تحف بها اماؤها ولم تسلم عليه ، فاحس عبيد الله بروح المقاومة العالية التي تملكها سيده ، فأنزعج من ذلك ، وهو عرف ان عدم سلامها يعني: " انها تريد بذلك أن تقول له : أن أرادنا نحن أهل ابنتك لاتزال حية لم تمت ، و لسنا نكثر بمقامك و موقعك ، و لاتزال روح الحسين بن علي في أبداننا و هي تنادي هيهات من الذلة ، و لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل و لا أفر أفر العبيد او لا أقر اقرار العبيد " (٣) .

١ - ينظر : الخوارزمي ، مقتل الحسين ، ٥٠١٢ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٦٢١١ .
٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ٩٩ - ١٠٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢٨٨ / ٣ ؛ المفيد ، الارشاد ، ١١٥ / ٢ - ١١٦ ؛ الخوارزمي ، مقتل الحسين ، ٤٧ / ٢ - ٤٨ ؛ موسوعة آل بيت النبي ، ٢٤٠ / ٢ - ٢٤١ .
٣ - الملحمة الحسينية ، تعريب محمد صادق الحسيني ، ط ٢ ، الدار الاسلامية ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ١٦٧ / ٢ .

وهنا يصف العقاد السيدة زينب (عليها السلام) قائلاً: " كانت زينب رضي الله عنها حقاً جديرة بنسبها الشريف في تلك الرحلة الفاجعة التي تهد عزائم الرجال . كانت كأشجع و أرفع ماتكون حفيذة محمد و بنت علي و أخت الحسين . وكتب لها ان تحفظ يشجاعتها و تضحيتها بقية العقب الحسيني من الذكور ، ولولاها لأنقرض من يوم كربلاء " (١) .

علي بن الحسين (زين العابدين (ع)):

و في ذات المجلس هو مجلس بن زياد حيث نظر الى غلام ليليل كان مع السيدة زينب فقال له من انت ؟

قال : " علي بن الحسين "

قال : " أو لم يقتل الله علي بن الحسين "

قال : " كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس "

فكرر عبيد الله قوله : " الله قتله "

فقال زين العابدين (ع) : " الله يتوفى الانفس حين موتها ، وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله "

فأخذت عبيد الله عزة الاثم فأنتهره قائلاً : " و بك جرأة لجوابي " فصاح عبيد الله الاثيم الخبيث بجنده : " أذهبوا به فأضربوا عنقه " ، فيقول العقاد: " جاشت بعمه الغلام قوة لا يردها سلطان و لا يرهبها سلاح ، لأنها قوة من هان لديه الموت و هانت عليه الحياة " ، فقامت السيدة زينب بأعتناق من عزم ألا يفارقها إلا وهو جثة هامة ، فأقسمت السيدة لئن قتلتها أقتلني معه ، فأرتد عبيد الله مشدوهاً و قال متعجباً : " يا للرحم ، أني لأظنها ودت أني قتلتها معه " . ثم قال اللعين : " دعوه لما به " ربما قال ذلك لعل العلة التي به تقتله (٢) .

و ان هذا ما أراده الامويين و اتباعهم إشاعته و هو الجبرية اي أن يزيداً كان مجبراً على قتل الحسين ، إن الله قد جبره و أن هذا هو قدر الحسين أن يقتل ، فأن يخرج هذا الكلام من

١ - ابو الشهداء، ص ٩٩ .

٢ - ابو الشهداء ، ص ١٠٠ - ١٠١ ؛ المفيد ، الارشاد ، ٢ / ١١٦ - ١١٧ ؛ باسلوم ، موسوعة آل بيت النبي ، ٢ / ٢٤٠ ؛ الحسيني ، سيرة الائمة الاثني عشر ، ص ١٢١ .

مسخ كعبيد الله ليس بغريب ، لكن الغريب عندما نجد هذه الفكرة لدى مؤرخ مشهور بمؤلفاته التاريخية الكبيرة كالذهبي الذي عندما يتحدث عن مقتل الحسين و ما جرى له يقول : " فجرى ما جرى و كان امر الله قدراً مقدوراً " (١) ، و ما هذه الا محاولة فاشلة تبرئة يزيد من دم الحسين ، و علي هذا هو زين العابدين جد كل منتسب الى الحسين عليهما السلام ، ولولا استماتة عمته كما ترى ، لقد كادت تذهب بهذه البقية الباقية كلمة على شفتي ابن زياد " (٢) ، كما وصفه البعض بالقول " ما رأيت قرشياً أفضل منه و لا أفقه " (٣) .

الرأس المقدس عند يزيد:

بعد قضى ابن زياد رغبته من الطواف برأس الحسين في الكوفة فأرسل رأس الحسين و أصحابه مرفوعة على أسنة الرماح الى دمشق ، و أرسل معهم النساء و الاطفال ، ومع الركب زين العابدين (عليه السلام) ، كان مغلولاً الى عنقه ، يقوده شمراً و محضر بن ثعلبه ، فساروا الى الشام حتى دخلوا على يزيد ، فنكر منظر قصر الكوفة في قصر يزيد في دمشق ، فيقول العقاد : " لا نستغرب أن يتكرر بعضه حتى يظن أنه قد وقع في التاريخ خلط بين المنظرين ، لان المناسبة في هذا المقام تستوحي ضرباً واحداً من التعقيب و ضرباً واحداً من الحوار " (٤) .

فأرتاع من كان حاضراً في مجلس يزيد من خبر قتلة كربلاء ، وقال يحيى بن الحكم وهو أموي :-

لهام بجنب الطف أدنى قرينة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى و بنت رسول الله ليست بذى نسل (٥) .

لكن يزيد اسكته ، و أشار الى الرأس الشريف ينكت ثنايا الحسين بقضيب كان بيده وقال : " أتدرون من أين أتى هذا ؟ أنه قال أبي علي خير من أبيه ، و أمي فاطمة خير من أمه ،

١ - تاريخ الاسلام ، ٢ / ٢٣ .

٢ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٠١ .

٣ - الفسوي ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م) ، المعرفة و التاريخ ، تح : اكرم ضياء ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ١ / ١٢٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢ / ٢٦٦ ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، طبقات الحفاظ ، تح: لجنة من العلماء بأشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ص ٣٧ ؛ محمد باقر الصدر ، أئمة أهل البيت ، ص ٥٦٩ ؛ السبحاني ، الأئمة الاثنى عشر ، ص ٦١ .

٤ - ابو الشهداء ، ص ١٠١ .

٥ - العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٠١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٨٩ .

وجدي رسول الله خير من جده ، و أنا خير منه و أحق بهذا الامر " ، ودخل بعد ذلك علي بن الحسين (عليه السلام) ، هو مقيد ، فأمر اللعين بفك القيد ، وقال : " أيه يا ابن الحسين ، أبوك قطع رحمي و جهل حقي و نازعني سلطاني ، فصنع الله به ما رأيت " . قال زين العابدين (عليه السلام) :

" ما صاب الله من مصيبة في الارض و لا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها أن ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور " (١) ، فتلا يزيد الآية : " وما أصابتكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم " (٢) .

وكان لقاء نساء يزيد أفضل من لقائه ، فلقد أحسنن مواساة السيدة زينب و السيدة فاطمه (عليهن السلام) ، و أخذن يسألنهن عما جرى لهن في كربلاء .

و يقول العقاد : أن يزيد حاول أن يتدارك ما فاتته ، فالتجأ بذلك الى النعمان بن بشير الذي كان واليه على الكوفة ، لكنه عزله من ولاية الكوفة لما عرف عنه رفقة لدعاة الحسين ، فأمر النعمان أن يسير بال الحسين و يرجع بهم الى المدينة ، مع تجهيزهم بما يصلحهم ، ويقال أن يزيد ودع الامام زين العابدين وقال له : " لعن الله بن مرجانه . أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألتني خصلة أبداً الا أعطيتة غياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما أستطيع ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن الله قضى ما رأيت يابني . كاتبني من المدينة . و أنا الى كل حاجة تكون لك " .

و إن صحت هذا الرواية فهي لم تكون الا لمحاولة يزيد تدارك امره بعد ان نقم عليه المسلمين لعظيم عمله وهو قتل سبط النبي المختار ، و ان اتهمه ابن مرجانه بالتعجيل بقتل الحسين فما عذره بحرق الكعبة و استباحة المدينة .

فكان العقاد موفقا في اغلب ما نقله عن سيرته الامام الحسين (عليه السلام) .

١- سورة الحديد : آية (٢٢-٢٣) ؛ العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٠١-١٠٣ .
٢- سورة الشورى : آية (٣٠) ؛ العقاد ، ابو الشهداء ، ص ١٠٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠ .



الخاتمة



الخاتمة :

وفي خاتمة هذه الدراسة تعرضت الباحثة الى جملة من النتائج منها :

- ١- يُعَدُّ العقاد من الشخصيات التاريخية الفذة التي ترفعت عن النزاعات المذهبية وسلطت الضوء على الرسول و أهل بيته (صلوات الله و سلامه عليهم) محاولاً اظهار ما اخفته يد الزمان من الفضائل و الحقائق .
- ٢- انتهج العقاد المنهج النفسي العقلاني في كتابة الحوادث التاريخية ، فنجده يؤيد بعض المواقف و يخالفها في مواضيع اخرى .
- ٣- كتب العقاد تاريخ النبي و أهل بيته بأسلوب تاريخي أدبي مفصل و ابتعد عن التسلسل الزمني للاحداث ، ذاكرأ أهم وقائع عصرهم الاجتماعية و السياسية و دورهم في مواجهة تلك الاحداث سواء كانت تخصهم او تخص عموم الناس .
- ٤- على الرغم من عدم اكماله للتحصيل الدراسي الا انه نبغ نبوغاً كبيراً جداً لم يرتق اليه العديد من مثقفي عصره و اساتذة الجامعات في زمانه ، مما يدل على سعة اطلاعه و ثقافته الواسعة ، و ان ظروف المعيشة لم تكن لتثنيه عن السعي الدؤوب للبحث عن الحقيقة .
- ٥- إن كتاباته بخصوص أهل البيت (عليهم السلام) كان منبعثاً من إيمانه الكبير بفضلهم و دورهم الفعال في تاريخ الدولة الاسلامية ، في الوقت الذي انكر الكثير فضلهم و احقيتهم .
- ٦- امتازت كتاباته بنصرة الحق و انصافه ، حيث نجده ينقل الحقائق كما هي و يصدر حكمه النهائي عليها في كثير من الاحيان ، لكن أحيانا نجده ينقل الحادثة التاريخية أسبابها و نتائجها ثم يتوقف عن إعطاء حكمه و رأيه فيها ، ربما كان يترك ذلك للقارئ ليصدر هو الحكم .
- ٧- كتاباته المنصفة هذه قد عرضته للكثير من المضايقات السياسية و الدينية ، حتى بلغت حد محاولات الاغتيال لاسيما بعد ظهور بعض الجماعات الدينية المتطرفة الراضية لنشر حقائق و فضائل آل محمد .



المصادر والمراجع



قائمة المصادر و المراجع

- ١- القرآن الكريم
- الابشيهي ، شهاب الدين محمد (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م).
- ٢- المستطرف في كل فن مستظرف ، تح: عبد الله أنيس الطباع ، شركة دار الارقم بن أبي الارقم ، بيروت ، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٦ م.
- ابن ابي اصيبعة ، احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) .
- ٣- عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تح: نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د.ت).
- ابن ابي الحديد ، عزالدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م).
- ٤- شرح نهج البلاغة ، تح: محمد ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ابن ابي مخنف ، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م).
- ٥- مقتل الحسين و مصرع أهل بيته و أصحابه في كربلاء ، ط ٢ ، مكتبة الالفين ، الكويت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.
- ابن اسحاق ، محمد ابن اسحاق بن يسار المطلبى المدني (١٥١ هـ / ٧٦٨ م).
- ٦- سيرة ابن اسحاق ، تح: سهل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ابن اعثم الكوفي ، ابي محمد أحمد بن اعثم (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م).
- ٧- الفتوح ، تح: علي شيري ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م).
- ٨- اسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الحزم ، بيروت، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٩- الكامل في التاريخ ، تح: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، لبنان، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ابن الاثير الجزري ، مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م).

- ١٠- النهاية في غريب الحديث و الاثر ، تح: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الاثري، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ابن البري ، محمد بن أبي بكر الانصاري التلمساني (ت ١٢٤٥ هـ / ١٢٤٧ م).
- ١١- الجوهرة في نسب النبي و اصحابه العشرة، تح: محمد التونجي ، ط٢ ، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- ابن البطريق ، شمس الدين يحيى بن الحسن بن الحسين الاسدي الحلبي (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م).
- ١٢- عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الابرار ، تح: سعيد عرفانيان ، مكتبة العلامة المجلسي ، قم ، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٤ م.
- ابن الجزري ، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م).
- ١٣- غاية النهاية في طبقات القراء ، تح: ج. برجسراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م).
- ١٤- المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تح: محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ابن الحجاج المزني ، يوسف بن الزكي عبد الرحمن (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م).
- ١٥- تهذيب الكمال ، تح: بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ابن الضياء العمري، محمد ابن احمد بن الضياء محمد القرشي العمري بهاء الدين ابو البقاء (ت ٨٥٤ هـ / ١٤٤١ م).
- ١٦- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تح: علاء ابراهيم وايمن نصر ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.
- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م).
- ١٧- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، تح: عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

- ابن العديم ، عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي كمال الدين بن العديم (ت ٦٦٠هـ - ١٢٦١م).
- ١٨- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) .
- ابن العربي ، محمد بن عبدالله ابوبكر بن العربي الاشيلي المالكي (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م).
- ١٩- العواصم من القواصم ، تح: محب الدين الخطيب و محمود الاستانبولي ، ط ٢ ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ابن القيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر أيوب الزرعي (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م).
- ٢٠- زاد المعاد في هدى خير العباد ، تح: شعيب الارناؤوط و اخرون ، ط ٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ٢ / ٩٦ .
- ابن المغازلي، ابو الحسن علي بن محمد الجلابي الواسطي المالكي.
- ٢١- مناقب أهل البيت ، تح: محمد كاظم المحمودي ، المجمع العالمي لتقريب بين المذاهب ، طهران ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- ابن الملقن، ابوحفص عمر بن علي الانصاري (ت ٨٠٤هـ / ١٤٠١م).
- ٢٢- غاية السؤل في خصائص الرسول ، تح: عبدالله بحر الدين عبدالله ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ابن تيمية ، ابي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحلیم (٧٢٤هـ / ١٣٢٣م).
- ٢٣- منهاج السنة النبوية ، تح: محمد رشاد سالم ، (د.ط) ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ابن جماعة ، عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم ، (ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥م).
- ٢٤- المختصر الكبير في سيرة الرسول (ص) ، تح: سامي مكي العاني ، دار البشير ، عمان ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ابن حبيب الحلبي، الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب ابو محمد بدر الدين الحلبي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م).
- ٢٥- المقتفى من سيرة المصطفى (ص) ، تح: مصطفى محمد الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- ابن حجة الحموي ، تقي الدين ابي بكر بن علي بن محمد (ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣م).
- ٢٦- ثمرات الاوراق ، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

- ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م).
- ٢٧- لسان الميزان ، تح: دائرة المعارف النظامية - الهند ، ط ٢ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م.
- ٢٨- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تح: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د.ت).
- ٢٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، بيت الافكار الدولية ، بيروت ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- ٣٠- تقريب التهذيب ، تح: محمد عوامه ، دار الرشيد ، سوريا ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٣١- الاصابة في تميز الصحابة ، تح: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٣٢- اتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة ، تح: حامد عبد الله المحلاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
- ابن حزم الاندلسي ، علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م).
- ٣٣- جوامع السيرة النبوية ، تح: عبد الكريم سامي الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٢ م.
- ابن حمزة الطوسي ، عماد الدين ابي جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بابن حمزة.
- ٣٤- الثاقب في المناقب، تح: نبيل رضا علوان ، شبكة رافد للتنمية الثقافية ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون ابو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م).
- ٣٥- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، تح: خليل شحادة ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- ٣٦- مقدمة ابن خلدون ، تح: إيهاب محمد إبراهيم، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م).

- ٣٧- وفيات الاعيان ، تح: احسان عباس ، دار الصادر ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م.
- ابن سعد ، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م).
- ٣٨- الطبقات الكبرى ، تح: محمد عبدالقادر عطا، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ابن سيد الناس ، ابو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الربيعي ابو الفتح فتح الدين (ت ٧٣٤هـ / ١٣٢٣م).
- ٣٩- عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير ، تح: ابراهيم محمد رمضان ، مكتبة دار القلم ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ابن شهر آشوب ، ابي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي.
- ٤٠- مناقب ال ابي طالب ، تح: يوسف البقاعي ، ط٢، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- ابن طاووس ، علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م).
- ٤١- الملهوف في قتلى الطفوف ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م.
- ابن عبد ربه الاندلسي ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م).
- ٤٢- العقد الفريد ، تح: عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- ابن عنبه ، جمال الدين أحمد بن علي الحسن بن الداودي (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م).
- ٤٣- عمدة الطالب الصغرى في نسب آل ابي طالب ، تح: مهدي الرجائي ، مركز الدراسات الاسلامية للأسباب ، قم ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ابن قتيبة الدينوري ، ابن قتيبة (٢٧٦هـ / ٨٨٩م).
- ٤٤- الامامة والسياسة ، تح: الشيري ، (د.ط) ، (د.ت).
- ابن قنفذ ، ابي العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب (٨١٠هـ / ١٤٠٧م).
- ٤٥- الوفيات ، تح: عادل نويهض ، ط٤ ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

- ٤٦- جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن ، تح: عبد المعطي امين فلعجي، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م
- ٤٧- الفصول في السيرة ، تح: محمد العيد الخطراوي و محي الدين مستو ، ط ٣ ، مؤسسة علوم القرآن ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٤٨- البداية والنهاية ، تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٤٩- السيرة النبوية ، تح مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٦ م.
- ابن مطهر الحلي ، الحسن بن يوسف (٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م).
- ٥٠- نهج الحق و كشف الصدق ، تح: فرج الله الحسيني ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.
- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م).
- ٥١- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت).
- ٥٢- مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر ، تح: روحية النحاس واخرون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٤ م.
- ابن نما الحلي، محمد بن جعفر بن ابي البقاء (٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م).
- ٥٣- مثير الاحزان ، تح: مؤسسة الامام المهدي ، (د.ط) ، قم ، (د.ت).
- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام (ت ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م).
- ٥٤- السيرة النبوية ، تح: رضوان جامع رضوان ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- أبو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين الاصفهاني (٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م).
- ٥٥- الأغاني ، تح: إحسان عباس و آخرون ، دار الصادر ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- ٥٦- مقاتل الطالبين ، تح: كاظم المظفر ، ط ٢ ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.
- أبو القاسم الاصبهاني ، أبو القاسم أسماعيل ابن محمد بن الفضل التميمي الاصبهاني (٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م).

- ٥٧- الحجة في بيان المحجة و شرح عقيدة أهل السنة ، تح: محمد بن محمود أبو رحيم ، دار الراية،الرياض،١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- أبو جعفر الاسكافي ، محمد بن عبدالله المعتزلي (ت ٢٢٠هـ/٨٣٦م).
- ٥٨- المعيار والموازنة في فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، تح: محمد باقر المحمودي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م.
- أبو حنيفة الدينوري ، أبوحنيفه احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م).
- ٥٩- الاخبار الطوال ،تح: عبدالمنعم عامر ، دار احياء الكتاب العربي ،القاهره ،١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- أبو داود ، سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ/٨٨٨م).
- ٦٠- سنن ابي داود ، تح: محمد عوامة ، مؤسسة الريان ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨.
- ابوالفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١م).
- ٦١- المختصر في أخبار البشر ،المطبعة الحسينية المصرية، مصر ، (د.ت).
- الاتليدي ، محمد دياب.
- ٦٢- اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، دار الصادر ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- الادنروي ،أحمد بن محمد الادنروي.
- ٦٣- طبقات المفسرين ، تح: سليمان بن صالح الخزي ،مكتبة العلوم والحكم ، القاهرة ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م.
- الاربلي ، ابي الحسن علي ابن عيسى بن ابي الفتح الاربلي (ت ٦٩٢ هـ /١٢٩٢م).
- ٦٤- كشف الغمة في معرفة الائمة، تح: علي آل كوثر ، دار التعارف ، بيروت ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م.
- الازرقى ،ابو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الازرق الغساني المكي (ت ٢٥٠ هـ/٨٦٤م).
- ٦٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تح: رشدي صالح ملحس ، دار الاندلس للنشر، بيروت ، (د.ت)
- الاصبهاني ، ابي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أسحاق (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م).

- ٦٦- تاريخ أصبهان ، تح: سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- الاصفهاني ، الحافظ ابي نعيم أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م).
- ٦٧- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
- الأمدي ، ناصح الدين ابي الفتح عبد الواحد (ت ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م).
- ٦٨- غرر الحكم و درر الكلم، تدقيق عبد الحسم ذهيني ، دار الهادي ، بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- الاندلسي ، ابو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م).
- ٦٩- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله و الثلاثة الخلفاء ، تح: محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- الباجي ، سليمان بن خلف بن سعد ابو الوليد الباجي (٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م).
- ٧٠- التعديل والتجريح ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- البخاري ، محمد ابن سماعيل بن أبراهيم (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م).
- ٧١- التاريخ الكبير ، تح: محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد ، الدكن ، (د.ت).
- ٧٢- صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- البزار ، ابي بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م).
- ٧٣- البحر الزخار بمسند البزار ، تح: محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
- البغوي ، الحسين بن مسعود (٥١٦ هـ / ١١٢٢ م).
- ٧٤- شرح السنة ، تح: شعيب الارناؤوط ، ط٢ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، (د.ت).
- البلاذري ، ابي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م).
- ٧٥- فتوح البلدان ، تح: عبد القادر محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.

- ٧٦- انساب الاشراف ، تح: سهيل زكار و رياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- بن تغري بردي ، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي ابو المحاسن جمال الدين (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).
- ٧٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة ، دار الكتب ، مصر ، (د.ت).
- بن حبان ، محمد بن حبان أبو حاتم البستي(ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م).
- ٧٨- الثقات ، تح: شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
- ٧٩- السيرة النبوية و أخبار الخلفاء ، تح: عزيز بك ، ط ٣ ، دار الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- بن حبيب البغدادي ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م).
- ٨٠- المحبر ، تح: أيلزه ليختن شتيتز ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م.
- ٨١- المنمق في أخبار قریش ، تح: خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- بن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م).
- ٨٢- الطبقات ، تح: أكرم ضياء العمري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- ٨٣- التاريخ ، تح: أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م
- بن شدقم ، ضامن بن شدقم الحسيني المدني.
- ٨٤- تحفة الازهار و زلال الانهار، تح: كامل سلمان الجبوري ، مرآة التراث ، طهران ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- بن طاهر ، أبو الفضل احمد بن ابي طاهر (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م).
- ٨٥- بلاغات النساء ، تح: احمد الالفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الاول ، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م.
- بن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م).

- ٨٦- الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تح: علي محمد البجاوي ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- ٨٧- الدرر في اختصار المغازي والسير ، تح: شوقي ضيف ، ط٢ . دارالمعارف ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .
- بن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) .
- ٨٨- تاريخ دمشق ، تح: عمرو بن غرامة العموري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) .
- ٨٩- المحاسن والمساوي ، تح: محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٢٢٥ هـ / ١٩٠٦ م .
- البيهقي ، أبو الحسن علي بن ابي القاسم زيد البيهقي (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) .
- ٩٠- لياب الانساب و الالقاب و الاعقاب ، تح: مهدي الرجائي ، ط٢ ، الخزانة العالمية للمخطوطات الاسلامية ، قم ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .
- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن سورة (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .
- ٩١- الشمائل المحمدية ، تح: عزت عبيد الدعاس ، دار الحديث ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- ٩٢- الجامع الكبير ، تح: بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) .
- ٩٣- البيان والتبين ، تح عبد السلام محمد هارون ، ط٧ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د.ت) .
- جمال الدين الشامي ، جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي .
- ٩٤- الدر النظيم في مناقب الائمة اللهايم ، ط٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩ م .
- الجمحي ، محمد بن سلام (٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) .
- ٩٥- طبقات فحول الشعراء ، دراسة طه احمد ابراهيم ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

- الجوهري ، أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عايش (ت ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م).
 ٩٦- مقتضب الاثر في النص على الائمة الاثنى عشر ، اعداد نزار المنصوري ،
 (د.ط) ، (د.ت).
- الجوهري ، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م).
 ٩٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: احمد عبد الغفور عطار ، ط ٤ . دار
 العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- الحاكم النيسابوري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م).
 ٩٨- المستدرک على الصحيحين ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، ط ٢ ، دار الكتب
 العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- الحراني ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني.
 ٩٩- تحف العقول عن آل الرسول ، تح: حسين الاعلمي ، ط ٧ ، مؤسسة الاعلمي ،
 بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
- الخازن ، علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي المتصوف (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م).
 ١٠٠- الروض والحدائق في تهذيب سيرة خير الخلائق ، تح: حسن خليل ابراهيم ،
 دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
- الخوارزمي ، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م).
 ١٠١- مقتل الحسين عليه السلام ، تح: محمد السماوي ، أنوار الهدى ، قم ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- ١٠٢- المناقب ، تح: مالك المحمودي ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.
- الداوودي ، الحافظ شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م).
 ١٠٣- طبقات المفسرين ، تح: لجنة من العلماء بأشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ،
 بيروت ، (د.ت).
- الدمشقي ، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد
 القيسي (٢٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م).
 ١٠٤- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم والقابهم وكناهم ، تح محمد
 نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

- الدولابي ، محمد ابن احمد (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م).
- ١٠٥- الذرية الطاهرة النبوية ، تح: سعد المبارك الحسن ، (د.ط) ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- الذهبي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م).
- ١٠٦- العبر في خبر من غبر، تح: ابو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
- ١٠٧- تاريخ الاسلام، تح: بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .
- الراوندي ، ابو الحسن سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م).
- ١٠٨- الخرائج والجرائح ، تح: مؤسسة الامام المهدي بأشراف محمد باقر المرتضى الابطحي الاصفهاني ، ط ١ ، المطبعة العلمية ، قم ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- الزبيري ، الزبير بن بكار بن عبدالله بن القريشي الاسدي المكي (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م).
- ١٠٩- المنتخب من كتاب ازواج النبي ، تح: سكينه الشهابي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .
- الزرقاني ، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن احمد شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (١١٢٢ هـ / ١٧١٠ م).
- ١١٠- شرح الزرقاني على المواهب الدنية بالمنح المحمدية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- الزرندي ، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م).
- ١١١- نظم درر السمطين ، تح: علي عاشور ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
- الزمخشري ، جار الله ابي القاسم محمود (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م).
- ١١٢- الكشاف ، تح: عادل أحمد عبد الموجود و أخرون ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- سبط ابن الجوزي ، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م).
- ١١٣- تذكرة الخواص ، تح: محمد صادق بحر العلوم ، مكتبة نينوى الحديثة ، طهران ، (د.ت).

- ١١٤- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تح: كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت).
- سبط ابن العجمي ، ابي ذر موفق الدين أحمد بن ابراهيم (ت ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م).
- ١١٥- الناظر الصحيح على الجامع الصحيح ، تح: حامد عبد الله المحلاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م.
- السمهودي ، علي بن عبدالله بن احمد الحسني (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م).
- ١١٦- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، تح: محمد الامين محمد الجكني ، (د.ط) ، (د،ت) .
- السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد السهيلي (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م).
- ١١٧- الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تح: عمر عبدالسلام السلامي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م).
- ١١٨- الخصائص الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ١١٩- الديباج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج ، تح: ابو اسحاق الحويني ، دار أبين عفان ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- ١٢٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث و الدراسات الاسلامية ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ١٢١- عقود الزبرجد ، تح: سلمان القضاة ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ١٢٢- طبقات الحفاظ ، تح: لجنة من العلماء بأشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ١٢٣- اسعاف المبطأ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
- ١٢٤- طبقات المفسرين ، تح: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م.
- ١٢٥- تاريخ الخلفاء ، تح حمدي الدمرداش ، القاهرة ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م،
- الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م).

- ١٢٦- سبل الهدى و الرشاد ، تح: عادل أحمد عبد الموجود و آخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- شرف الدين الحسيني ، شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي (ت ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م).
- ١٢٧- تأويل الايات الطاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، تح: مدرسة الامام المهدي عليه السلام ، مدرسة الامام المهدي ، قم ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.
- الشعرائي ، عبد الوهاب (ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م).
- ١٢٨- الطبقات الكبرى لواقح الانوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية ، تح: احمد عبد الرحيم السايح و آخرون ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابوية القمي (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م).
- ١٢٩- الامالي ، تح: حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- ١٣٠- علل الشرائع سلوا أهل البيت عليهم السلام ، دار المرتضى ، بيروت ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك بن عبدالله (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م).
- ١٣١- الوافي بالوفيات ، تح: احمد الارناؤوط و تركي مصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م).
- ١٣٢- أعلام الورى بأعلام الهدى ، تح محمد مهدي السيد حسن الخراسان ، ط ٢ ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- ١٣٣- مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار المرتضى ، بيروت ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م).
- ١٣٤- تفسير جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

- ١٣٥- استشهاد الحسين ، تح: السيد الجميلي ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- ١٣٦- تاريخ الامم والملوك ، ط٢ ، دار التراث ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- ١٣٧- المنتخب من ذيل المذيل ، ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، (د.ت).
- الطبري الإمامي ، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري .
- ١٣٨- دلائل الامامة ، ط٢ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- ١٣٩- المسترشد ، تح: احمد المحمودي، مطبعة سلمان الفارسي ، قم ، (د.ت).
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م).
- ١٤٠- مصباح المتهدج ، صححه: حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
- العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م).
- ١٤١- الاوائل ، دار البشير ، طنطا ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.
- شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ١٣٤٨ هـ / ١٣٤٨ م).
- ١٤٢- مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تح: كمل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م.
- العياشي ، ابي نصر محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي (٣٢٠ هـ - ٩٣٢ م).
- ١٤٣- تفسير العياشي ، تح: هاشم الرسولي المحلاتي ، دار الاعلمي ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- العيني ، أبو محمود محمد أبين أحمد (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م).
- ١٤٤- شرح سنن أبي داود ، تح: أبو المنذر خالد أبين ابراهيم المصري ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- الفسوي ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م).
- ١٤٥- المعرفة و التاريخ ، تح : اكرم ضياء ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م).
- ١٤٦- شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار ، تح: محمد الحسيني الجلاي ، ط٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩ م.

- القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).
- ١٤٧- اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، تح: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- القمي ، أبو الحسن علي بن أبراهيم (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤٠م).
- ١٤٨- تفسير القمي ، تح: محمد باقر الموحّد الابطحي الاصفهاني ، تفسير القمي ، قم المقدسة ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٢م.
- القمي ، محمد بن الحسن.
- ١٤٩- العقد النضيد والدر الفريد في فضائل أمير المؤمنين و اهل بيت النبي ، تح: علي اوسط الناطقي ، دار الحديث ، قم ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م .
- الكنجي الشافعي ، الإمام الحافظ ابي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩م).
- ١٥٠- كفاية الطالب في مناقب علي ابن أبي طالب: ، تح: محمد هادي الاميني ، ط٣ ، دار أحياء تراث اهل البيت ، طهران ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م.
- الكندي ، محمد بن يوسف (٣٥٥هـ / ٩٦٦م).
- ١٥١- ولاية مصر، تح حسين نصار ، دار الصادر ، بيروت ، (د.ت).
- المامطيري ، أبو الحسن علي بن مهدي الطبري (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧٠م).
- ١٥٢- نزهة الابصار ومحاسن الاثار ،تح: محمد باقر المحمودي ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، طهران ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م.
- المحب الطبري ، ابو العباس احمد بن عبدالله بن محمد (ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤م).
- ١٥٣- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
- ١٥٤- ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م.
- المحلي ، جلال الدين بن أحمد (ت ٨٦٤ هـ / ١٤٥٩م) و اخرون.
- ١٥٥- تفسير الجلالين ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣م.
- المزي ، يوسف ابن الزكي عبد الرحمن ابو الحجاج (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١م).
- ١٥٦- تهذيب الكمال ، تح: بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي (٣٤٦هـ/٩٥٧م).
- ١٥٧- أثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب ، مؤسسة أنصاريان ، قم ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م.
- ١٥٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح: اسعد داغر ، قم ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م.
- المطهر ، المطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٥م).
- ١٥٩- البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة العربية ، بورسعيد (د.ت).
- المفيد ، ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢م).
- ١٦٠- الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث ، مؤسسة آل البيت ، بيروت ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م.
- المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥ هـ / ١٤٤١م).
- ١٦١- فضل آل البيت ، تح: محمد أحمد عاشور ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.
- ١٦٢- النزاع و التخاصم فيما بين أمية و هاشم ، تح: حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت)
- الموصل ، شرف الدين أبو محمد عمر بن شجاع الدين (ت ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨م).
- ١٦٣- مناقب آل محمد النعيم المقيم لعنرة البأ العظيم ، تح: علي عاشور ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م.
- النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ / ٩١٥م).
- ١٦٤- تهذيب خصائص الامام علي ، تح: أبو إسحاق الحويني الاثري الحجازي بن محمد بن شريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤م.
- النووي ، ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م).
- ١٦٥- تهذيب الاسماء واللغات ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
- ١٦٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ط٢ ، مؤسسة قرطبة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.
- النووي ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ / ١٣٣٢م).

- ١٦٧- نهاية الارب في فنون الادب ، تح: عبد المجيد ترحيني و عماد علي حمزة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤ م.
- الهندي، حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م).
- ١٦٨- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، تح: بكري حياني و صفوة السقا ، طه ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- الهيثمي، الحافظ نورالدين علي بن ابي بكر (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م).
- ١٦٩- مجمع الزوائد ، تح: محمد عبدالقادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
- الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلامي ابو عبدالله (ت ٢٠٧ هـ / ٨٨٣ م).
- ١٧٠- المغازي ، تح: مارسدن جونس ، ط٢. دار الاعلمي بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- ١٧١- فتوح الشام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- الوزير ، الهادي بن ابراهيم بن علي (ت ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م).
- ١٧٢- البروج في أسماء أمير المؤمنين ، تح: محمد الاسلامي اليزدي ، منشورات جامعة الاديان ، طهران ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- اليافعي ، ابو محمد عفيف الدين عبدالله بن اسعد بن علي بن سلمان اليافعي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م).
- ١٧٣- مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- اليعقوبي ، احمد ابن اسحاق ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م).
- ١٧٤- تاريخ اليعقوبي ، تح: محمد صادق بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- اباطة ، نزار.
- ١٧٥- في بيت رسول الله ، ط٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٦ م.
- اسماعيل ، أحمد محمد.
- ١٧٦- صلح الحسن ، دار الولاة ، بيروت ، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.

- الاصبهاني ، فتح الله بن محمد جواد (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م).
- ١٧٧- القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع ،تح: حسين الهرساوي ، مؤسسة الامام الصادق ، قم ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م.
- الأَعْظَمِي ، علي ظريف.
- ١٧٨- مختصر تاريخ البصرة ، تح: عزة رفعت ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، (د.ت).
- آل قطيط ، هشام.
- ١٧٩- سلوا عليا عن طرق السماوات والارض ، ط٢ ، منشورات الفجر ، بيروت ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- أمين ، عثمان.
- ١٨٠- نظرات في فكر العقاد ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.
- أمين العاملي ، محسن الامين العاملي.
- ١٨١- لواعج الاشجان في مقتل الحسين ، تح: حسن الامين ، دار الامير ، بيروت ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- الأميني ، عبد الحسين أحمد الاميني النجفي (ت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م).
- ١٨٢- موسوعة الغدير ، تح: مؤسسة بإسراف محمود الهاشمي الشاهرودي ، ط٥ ، مؤسسة دائرة المعارف الفقه الاسلامي ، قم ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- باسلوم ، مجدي محمد سرور ، و سميرة جميل مسكي.
- ١٨٣- موسوعة آل بيت النبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
- البدوي ، محمد.
- ١٨٤- اوهام العقاد في العبقريّة ، دار المعارف ، تونس ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- البلداوي ، وسام برهان.
- ١٨٥- تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء ، العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.
- بيضون ، إبراهيم .
- ١٨٦- الامام علي في رؤية النهج و رواية التاريخ ، ط٢ ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩ م.
- بيضون ، لبيب.

- ١٨٧- موسوعة كربلاء ، طليعة النور ، قم ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م.
- بيومي ، محمد بيومي مهران.
- ١٨٨- السيدة فاطمة الزهراء ، ط٢ ، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- بيومي ، محمد رجب.
- ١٨٩- النهضة الاسلامية في سير اعلامها المعاصرين ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- جبلاوي ، محمد ظاهر.
- ١٩٠- في صحبة العقاد ، ط١ ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- جبوري ، كامل سلمان.
- ١٩١- معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ م ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- جرداق ، جورج.
- ١٩٢- روائع نهج البلاغة ، ط٣ . دائرة معارف الفقه الاسلامي ، قم ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ١٩٣- موسوعة الامام علي صوت العدالة الانسانية ، تح: ميخائيل نعيمة ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م.
- الحسني ، نبيل.
- ١٩٤- الجمال في عاشوراء ، ط٢ ، وحدة الدراسات التخصصية في الامام الحسين ، كربلاء ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- الحسني ، هاشم معروف.
- ١٩٥- سيرة الائمة الاثنى عشر ، ط٢ ، روح الامين ، قم ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٨ م.
- الحسيني الشيرازي.
- ١٩٦- محمد ، ثورة الامام الحسن عليه السلام ، دار المؤمل ، بيروت ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.
- الحسيني الميلاني، علي
- ١٩٧- الائمة الاثنى عشر في كتاب منهاج الكرامة للعلامة الحلي و نقد كلام ابن تيمية ، مركز الحقائق الاسلامية ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

- الحكمي ،حافظ بن محمد بن عبد الله.
١٩٨ - مرويات صلح الحديبية ، مطابع الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.
- الحلوجي ، عبد الستار عبد الحق.
١٩٩ - عباس محمود العقاد نشرة ببلبيوجرافية بأثاره العلمية ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- حمد ، مهدي رزق الله.
٢٠٠ - السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، الرياض ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- الحيدري ، نبيل فخر الدين رافع.
٢٠١ - التشيع العربي والتشيع الفارسي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٩ م.
- الخضري ، محمد بن عفيفي.
٢٠٢ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، تح: هيثم هلال ،دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- الدعجة ، مهدي نايف مصطفى.
٢٠٣ - حمص منذ الفتح العربي الاسلامي حتى نهاية العصر الاموي ، دار مؤسسة رسلان ، دمشق ، ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩ م.
- دياب ، عبد الحي.
٢٠٤ - عباس العقاد ناقداً ، ط١ ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م.
- الديدي ، عبد الفتاح.
٢٠٥ - عبقرية العقاد ، (د.ط) ، (د.ت) .
- رضا ، محمد.
٢٠٦ - ذي النورين عثمان بن عفان ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٢٠٧ - محمد رسول الله ، دار القلم ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- الري شهري ، محمد.

- ٢٠٨- الصحيح من مقتل سيد الشهداء و أصحابه عليهم السلام ، دار الحديث للطباعة و النشر ، قم ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- ٢٠٩- ميزان الحكمة ، دار الحديث ، قم ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
- السبحاني ، جعفر.
- ٢١٠- الائمة الاثنى عشر ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ | ٢٠٠١ م.
- السداني ، علي خالد.
- ٢١١- منهج العقاد في دراسة الشخصيات الاسلامية ، ط١ ، المكتبة المصرية ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- السعيد ، خالد.
- ٢١٢- تاريخ بلا أصباغ ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م.
- سفر ، حسن محمد.
- ٢١٣- نظرات استشرافية في فقه العلاقات الانسانية بين المسلمين وغير المسلمين ، (د.ط.) ، (د.ت.).
- السماوي ، محمد بن طاهر (ت ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م).
- ٢١٤- ابصار العين في انصار الحسين ، تح: محمد جعفر الطبسي ، مركز الدراسات الاسلامية لحرس الثورة ، قم ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- سمرة ، محمود .
- ٢١٥- العقاد دراسة أدبية ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، الاردن ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- السيلوي ، غالب.
- ٢١٦- الانوار الساطعة من الغراء الطاهرة ، ط٢ ، ثامن الحجج ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- الشاذلي ، عبد المجيد.
- ٢١٧- الحكومة الاسلامية رؤية تطبيقية معاصرة ، دار الكلمة ، القاهرة ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- الشاطي ، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي.
- ٢١٨- تراجم سيدات بيت النبوة ، دار الريسان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ | ١٩٨٧ م.

- شاکر ، محمود.
- ٢١٩- التاريخ الاسلامي ، ط ٧ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- الشاهرودي ، علي النمازي (ت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م).
- ٢٢٠- مستدرك سفينة البحار ، تح: حسن بن علي النمازي ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- شاهين ، عبد الصبور و إصلاح عبد السلام.
- ٢٢١- صحايبات حول الرسول ، ط ٣ ، دار النهضة ، مصر ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- الشرفاوي ، عبد الرحمن.
- ٢٢٢- علي أمام المتقين ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، (د.ت).
- شمس الدين ، ابراهيم شمس الدين.
- ٢٢٣- قصص العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- الشيباني ، محمد شريف.
- ٢٢٤- الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، (د.ط) ، (د.ت).
- الشيخ ، حسن.
- ٢٢٥- ملامح من الفكر الاداري عند الامام علي ، دار أرسلان ، دمشق ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م.
- صالح ، نعمة الله صالح نجف آبادي.
- ٢٢٦- الشهيد الخالد الحسين بن علي ، ترجمة سعد رستم ، الانتشار العربي ، بيروت ، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٣ م.
- الصدر ، محمد باقر (ت ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م).
- ٢٢٧- ائمة اهل البيت و دورهم في تحصين الرسالة الاسلامية ، تح: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر ، ط ٢ ، شريعت ، قم ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م.
- الصغير ، فالج بن محمد بن فالج.
- ٢٢٨- الاستشراق وموقفه من السنة النبوية ، مجمع الملك فهد للطباعة ، المدينة المنورة ، (د.ت).
- الصلابي ، علي محمد.

- ٢٢٩- السيرة النبوية ، ط٧ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- ٢٣٠- سيرة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب ، (د.ط) ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٢٣١- الحسن بن علي شخصيته وعصره ، مؤسسة أقرأ ، القاهرة ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- الصنعاني ، محمد بن أسماعيل الامير (ت ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م).
- ٢٣٢- التنوير شرح الجامع الصغير ، تح: محمد اسحاق محمد ابراهيم ، مكتبة دار السلام ، الرياض ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
- الطائي ، نجاح.
- ٢٣٣- الشائعات المشهورة ضد الامام الحسن ، دار احياء التراث ، بيروت ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م.
- الطبطبائي ، محمد حسين (ت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م).
- ٢٣٤- الميزان في تفسير القرآن ، تح: حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- الطبطبائي القمي ، تقي الطبطبائي القمي.
- ٢٣٥- امير المؤمنين ، ترجمة غالب السيلوي ، المطبعة العلمية ، (د.ت).
- الطرشة ، عدنان.
- ٢٣٦- ماذا يحب النبي محمد ، ط٦ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م).
- ٢٣٧- التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م.
- العاملي ، أكرم بركات.
- ٢٣٨- حقيقة الجفر عند الشيعة ، تقديم جعفر مرتضى ، دار الصفوة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- عبد المقصود ، عبد الفتاح.
- ٢٣٩- الامام علي بن ابي طالب ، راجعه محمد علي قطب ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

- عبد الوهاب ،محمد .
- ٢٤٠- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، وزارة الشؤون الاسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- عبده ، محمد عبده .
- ٢٤١- شرح نهج البلاغة ، ط٣، ذوي القربى ، قم ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- العثيمين، محمد بن صالح .
- ٢٤٢- الضياء اللامع ،الرئاسة العامة لأدارة البحوث العلمية ، السعودية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- العسكري ، مرتضى العسكري .
- ٢٤٣- احاديث ام المؤمنين عائشة ، ط٥ . التوحيد للنشر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) .
- ٢٤٤- سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ، تح: عادل احمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- العفاني ، حسين .
- ٢٤٥- الجزاء ، قدم له ابو بكر الجزائري و آخرون ، مكتبة أين تيمية ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- العقاب ، عبد الوهاب .
- ٢٤٦- دور اليمن في العهد الاسلامي الاول ، مؤسسة رسلان ، دمشق ، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩ م .
- العقاد ، عامر .
- ٢٤٧- غراميات العقاد ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
- ٢٤٨- من اخر كلمات العقاد ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م .
- العقاد ، عباس محمود .
- ٢٤٩- أنا ، (د.ب.ط) ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢ .
- ٢٥٠- عبقرية الامام علي ، دار كتاب للنشر ، الكوم الاخضر ، (د.ب.ت) .
- ٢٥١- عبقرية الصديق ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، (د.ب.ت) .
- ٢٥٢- عبقرية محمد ، (د.ب.ط) ، دار كتاب للنشر والتوزيع ، (د.ت) .

- ٢٥٣- فاطمة الزهراء والفاطميون ، مكتبة أبن سينا ، القاهرة ، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م .
- ٢٥٤- ابو الشهداء الحسين بن علي ، ط ٨ ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .
- ٢٥٥- العقاد ، معاوية بن ابي سفيان ، ط ٦ ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م .
- علا ، امجد ربيع .
- ٢٥٦- النظرية المتكاملة في الشورى ، دار الكلمة ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠١٢ م .
- علي ، جواد علي .
- ٢٥٧- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط ٤ . دار الساقى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- العمري ، أكرم بن ضياء .
- ٢٥٨- عصر الخلافة الراشدة ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م .
- العمري ، بربك بن محمد بربك ابو مايله العمري .
- ٢٥٩- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، تح: اكرم ضياء العمري ، دار ابن الجوزي ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- العواجي ، محمد بن محمد العواجي .
- ٢٦٠- مرويات الامام الزهري في المغازي ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
- عياصرة ، بسام عوض عبد الرحيم .
- ٢٦١- الرقابة المالية في النظام الاقتصادي الاسلامي ، دار الحامد ، بيروت ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م .
- غالب ، مصطفى .
- ٢٦٢- تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، ط ٢ ، دار الاندلس ، بيروت ، (د.ت) .
- الفاسي ، ابي مدين بن احمد بن محمد (ت ١١٣٢ هـ / ١٧١٩ م) .
- ٢٦٣- مستعذب الاخبار باطبيب الاخبار ، تح: احمد عبدالله باجور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
- الفايز ، مفلح النمر .

- ٢٦٤- أثار عمر بن عبد العزيز الادبية ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠١٠ م.
- الفقيه ، فرج علي.
- ٢٦٥- تأملات في السيرة النبوية ، المجموعة العربية للنشر ، القاهرة ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م.
- فلهوزن ، يوليوس.
- ٢٦٦- تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، تح محمد عبد الهادي ابو ريده ، ط٢ ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.
- فؤاد ، نعمات احمد.
- ٢٦٧- الجمال والحرية و الشخصية الانسانية في أدب العقاد ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- قانصو ، وجيه.
- ٢٦٨- الشيعة الامامية بين النص و التاريخ ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٦ م.
- القبانجي ، السيد حسن القبانجي.
- ٢٦٩- مسند الامام علي ، تح: طاهر السلامي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- القحطاني ، سعيد بن علي بن وهب.
- ٢٧٠- فقه الدعوة في صحيح الامام البخاري ، الرئاسة العلمية لادارة البحوث العامة ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- القرشي ، باقر شريف.
- ٢٧١- حياة الامام الحسين ، مدرسة العلمية الايرواني ، قم ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- ٢٧٢- موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، مطبعة امير ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- القلقشندي الشافعي ، محمد بن عبدالله الاكراوي (ت ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م).
- ٢٧٣- اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل ، تح: محمد كاظم الموسوي ، المجمع العالمي لتقريب بين المذاهب ، طهران ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

- القريبي ، ابراهيم ابن ابراهيم.
٢٧٤- مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ، عمادة البحث العلمي ، السعودية ،
١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
- ٢٧٥- مرويات غزوة المصطلق ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية ، المدينة
المنورة (د.ت).
- القزويني ، محمد كاظم.
٢٧٦- زينب الكبرى من المهد الى اللحد ، تح: مصطفى القزويني ، دار المرتضى ،
بيروت ، (د.ت).
- ٢٧٧- فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد ، مكتبة بصيرتي ، قم ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣
م.
- القصاص ، محمد بن جلال.
٢٧٨- عمالة عباس العقاد للفكر الغربي ، (د.ط) ، (د.ت).
- القمي ، عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ / ١٨٤٣ م).
٢٧٩- بيت الاحزان ، مطبعة السرور ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ٢٨٠- الانوار البهية في تواريخ الحجج الالهية ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم
، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٢٨١- منتهى الامال في تواريخ النبي و الال ، ط ٣ ، دار المصطفى العالمية ،
بيروت ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
- القندوزي ، شيخ سليمان ابن ابراهيم المعروف بخواجه كلان ابن محمد المشتهر به
بابا خواجه الحسيني البلخي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م).
٢٨٢- ينابيع المودة ، تح: علاء الدين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٤١٨
هـ / ١٩٩٧ م.
- كارليل ، توماس.
٢٨٣- الابطال ، ترجمة محمد السباعي ، ط ٣ ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٩
هـ / ١٩٣٠ م.
- كاستري ، هنري دي.
٢٨٤- الاسلام خواطر وسوانح ، ترجمة احمد فتحي زغلول ، تعليق محمود النجيري
، دار طيبة ، الجيزة ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م.

- الكاظمي ، حبيب الكاظمي.
٢٨٥- جواهر البحار ، نور المعارف ، بيروت ، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.
- كحاله ، عمر رضا.
٢٨٦- اعلام النساء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (د.ت).
- الكرباسي ، محمد صادق.
٢٨٧- الحسين في السنة ، المركز الحسيني للدراسات ، لندن ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- ٢٨٨- ديوان القرن الاول ، المركز الحسيني للدراسات ، لندن ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٢٨٩- معجم أنصار الحسين ، المركز الحسيني للدراسات ، لندن ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- كريم ، سامح.
٢٩٠- موسوعة اعلام المجددين في الاسلام ، مكتبة الدار العربية ، القاهرة ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م.
- كريم ، فارس حسون.
٢٩١- الروض النضير في معنى حديث الغدير ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- الكشميري ، محمد انور شاه ابن معظم شاه (ت ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م).
٢٩٢- العرف الشذى شرح سنن الترمذي ، تح: محمود احمد شاكر ، دار التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- الكعبي ، شهيد كريم محمد.
٢٩٣- صورة أصحاب الكساء بين تجني النص و أستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامس أنموذجاً ، دار الكفيل ، كربلاء ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م.
- كمره اي ، عبداللطيف كوه.
٢٩٤- البديون في حرب صفين ، مركز الغدير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- الكوراني ، علي الكوراني العاملي.
٢٩٥- جواهر التاريخ ، قم ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- المازندراني ، محمد صالح (ت ١٠٨١ هـ / ١٦٧ م).

- ٢٩٦- شرح أصول الكافي ، تح: علي عاشور ، ط٢ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- المبار كفوري ، صفى الرحمن (ت ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م).
- ٢٩٧- الرحيق المختوم، دار الهلال بيروت ، (د.ت).
- المجلسي ، محمد باقر (١١١١ هـ / ١٦٩٩ م).
- ٢٩٨- بحار الانوار ، تح: مؤسسة أحياء الكتب الاسلامية ، مؤسسة أحياء الكتب الاسلامية ، قم ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- محمد ، علي محمد.
- ٢٩٩- الكوكب الدرّي في سيرة ابي السبطين علي ، ميرة الال والاصحاب ، الكويت ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.
- الصدر ، محمد باقر.
- ٣٠٠- فذك في التاريخ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- المستنبط ، احمد بن السيد رضي بن السيد أحمد (ت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).
- ٣٠١- القطرة من بحار مناقب النبي والعترة ، مطبعة سليمان زاده ، قم ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- المصري ، حسين مجيب.
- ٣٠٢- في الادب الشعبي الاسلامي المقارن ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- المصطاوي ، عبد الرحمن.
- ٣٠٣- ديون الامام علي ابن أبي طالب ، ط٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- المطهري ، مرتضى المطهري.
- ٣٠٤- الملحمة الحسينية ، تعريب محمد صادق الحسيني ، ط٢ ، الدار الاسلامية ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- المغلوث ، سامي بن عبدالله بن أحمد.
- ٣٠٥- أطلس الفرق و المذاهب في التاريخ الاسلامي ، العبيكان للتعليم ، الرياض ، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م.
- الملطاي ، حسن كامل.

- ٣٠٦- الحسن بن علي خامس الخلفاء الراشدين ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م.
- المناوي ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ / ١٦٢١م).
- ٣٠٧- اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، تح: عبد اللطيف عاشور ، مكتبة القرآن للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د.ت).
- مندور ، محمد.
- ٣٠٨- نقد النقاد المعاصرون ، ط ١ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م.
- منصور ، أنيس.
- ٣٠٩- في صالون العقاد كانت لنا أيام ، ط ١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- مهنا ، عبد الامير علي و سمير يوسف جابر.
- ٣١٠- اخبار النساء في العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
- النجار، محمد الطيب (ت ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).
- ٣١١- القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، دار الندوة ، بيروت ، (د.ت).
- نحوود ، علي بن نايف.
- ٣١٢- المفصل في الرد على الحضارة الغربية ، (د.ط) ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١ م.
- نسيم ، بلهول.
- ٣١٣- في جيوسياسية الشيعة والتشيع ، أمواج للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٤ م.
- هارت ، مايكل.
- ٣١٤- الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله (ص) ، ترجمة أنيس منصور ، (د.ط) ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة.
- هارون ، عبد السلام.
- ٣١٥- تهذيب سيرة ابن هشام ، (د.ط) ، (د.ت).
- هلال ، محمد غنيمي
- ٣١٦- الادب المقارن ، ط ٣ ، دار النهضة ، مصر ، ١٩٧٧ م / ١٣٩٧هـ.

- هيفا ، راجي انور.
٣١٧- الامام علي في الفكر المسيحي المعاصر ، ط٤، دار العلوم للطباعة والنشر ،
١٤٣٣ هـ / ٢٠١١ م.
- هيكل ، شوقي علي.
٣١٨- التعريف بالعقاد ، جمعية العقاد الادبية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧ م.
- هيكل ، محمد حسين.
٣١٩- عثمان بن عفان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ١٤٣٤ هـ/
٢٠١٢ م.
- الوداعي ، مقبل بن هادي.
٣٢٠- الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ/
١٩٩٥ م.
- الوردي ، علي.
٣٢١- وعاظ السلاطين ، ط٢ ، دار كوفان ، لندن ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م.
- ويل ديوارنت، ويليام جيمس ديوارنت (ت١٤٠٢هـ / ١٩٨١ م).
٣٢٢- قصة الحضارة ، تح: محي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب واخرين ، دار
الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

البحوث المنشورة:

- ١- الخفاجي ، مشتاق طالب حسين و اخرون ، عباس محمود العقاد و نشاطه السياسي في
مصر للمدة (١٩١٩-١٩٣٠)، مجلة العلوم الانسانية كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة
بابل، مجلد ٣٥، العدد الاول ، اذار ٢٠١٨ م .
- ٢- مشالي ، علي عبد، بطلان وصف الأمام الحسن(ع) بالمزواج والمطلق في روايات
ابن عساكر دراسة تحليلية مقارنة ، مجلة القادسية كلية الاداب ، جامعة القادسية، المجلد
السابع عشر ، العدد ١ ، ٢٠١٤ م.

قائمة المجالات :

- ١- المصري اليوم ، ماهر حسن الخميس ١٢ مارس ٢٠٠٩ ، العدد ١٧٣٣ ، وفاة عباس محمود العقاد.
- ٢- تيمور ، محمود ، العقاد كما اراه ، الهلال ، القاهرة ، العدد الرابع ، ١ ابريل ١٩٦٧ | ٢١ ذو الحجة ١٣٨٦.
- ٣- ... ، حداد على العقاد ، مجلة مصر ، القاهرة ، العدد ٨٨ ، ١ ابريل ١٩٦٤ م.

الرسائل الجامعية :

- ١- الحجامي ، خير الله حسين عبيس ، عباس محمود العقاد دراسة في نشاطه السياسي و منهجه في الكتابة التاريخية (١٨٨٩ - ١٩٦٤ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل كلية التربية للعلوم الانسانية ، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م